جامعه الأزهـــر
كليه أصول الدين والدعوة
بالمنصـــورة
قسم العقيدة والفلسفة

مسائل الهية بين التفويض والتأويل

دكتور
إسماعيل محمد إسماعيل
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة
(الطبعة الثانية)
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مقدمـــــة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليـــا مرشـــدا ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن سلك مسلكهم ، واهتدى بهديـــهم إلى يـــوم الدين .

وبعـــــد ....

فإن أصدق الكلام " كلام الله " وخير الهدى " هدى رسول الله " صلـــى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكـــل ضلالة فى النار ، أعاذنا " الله " تعالى والمؤمنين من النار برحمة إنه عزيز غفار .

وإن علم " أصول الدين " أو علم " التوحيد " أو علم " الكلام " من العلـــوم الإسلامية الأصيلة .

وإذا كانت العلوم : تشرف بموضوعاتها ومسائلها ، فإن هذا العلم من أشـــرف العلوم على الإطلاق ، لأنه يبحث فى ذات " الله " تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، ومـــا يجب له ، وما يجوز له ، وما يستحيل عليه .

بالإضافة إلى أنه يبحث فى النبوات والرسالات ، والأمور السمعية التى سمعتنـــا بها - فى الكتاب والسنة - ولم نرها بعد .

والناظر فى الكتب الكلامية التى ألفت فى هذا العلم الإسلامى الأصيل ، يجد أنها قد اشتملت على بعض المصطلحات أو العبارات التى صعب فهمها أو الوقوف علـــى معانيها ، مما دعى البعض إلى الطعن فى علم الكلام وعلمائه ، ومحاولة التقليل من أهميته لهذا السبب ، أو لأسباب أخرى من بينها :

ماقام به أعداء الشريعة الإسلامية ، والدخلاء عليها على مر التاريخ الإسلامى . سواء كانوا من " اليهود " أو " النصارى " أو المذاهب ، والطوائف ، والملل والنحل الأخرى ، كالمستشرقين والمبشرين ، وأذنابهم ، فقام هؤلاء وأولئك : بتأليف الرسائل والكتب التى تطعن فى الإسلام ، وأحكامه ، وتعاليمه ، وتسخر من أهله والمؤمنين به ، كما تطعن فى شتى العلوم الإسلامية ، بل وكل ما هو اسلامى ، أو له صلة بالإسلام .

وكان " لعلم الكلام " أو " علم أصول الدين " أو " علم التوحيد " النصيب الأكبر من طعنهم ومفاسدهم وأكاذيبهم ، والغريب أن مطاعنهم ومفاسدهم وأكاذيبهم تلك كان وما يزال لها صدى بين أبناء بعض الأمة الإسلامية ، هذه الأمة التى كرمها " الله " تعالى ، وفضلها على سائر الأمم وذلك كما قال " الله " تعالى ، وفضلها على سائر الأمم وذلك كما قال " الله " تعالى فى كتابه الكريم : -

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)

حتى سمعنا وقرأنا ووجدنا : من يصدر أحكاما جائرة عليهم ويتهمهم بأنهم " ملاحدة " أو " زنادقة " أو " مجوسية " أو غير هذا من ألفاظ وعبارات وأحكام لادليل عليها من نقل ، أو عقل سليم ، بل وصل الأمر إلى الإقدام على تكفيرهم ، وتكفير كل من يُدرِّس ، أو يَدرس فى هذا العلم الأصيل .

ومن جهتى : أرى أن إقدام هؤلاء وأولئك على هذا الأمر ليس له أساس ، أو دليل يمكن الاستناد إليه ، لأن هؤلاء المرتابين أو المنكرين لهذا العلم أعنى "علم الكلام" قد خلطوا الأوراق بعضها ببعض ، وانتهوا إلى نتائج و أحكام سمعوها ، أو قلدوا فيها

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

غيرهم ، أو تلفظوا بها من عند أنفسهم وقد أطلقوها على الجميع دون استثناء أو تقييد وهذه من الأمور الغريبة حقا ، بالإضافة إلى عدم موافقتها لتعاليم الإسلام الحنيـــف ، الذى يدعوا ضمن ما يدعوا الى : قول الحق والصدق ، والحكم بالعدل ، والبعد عـــن الظن السيئ واتهام الآخرين بالجهل والعجز والباطل ، أو السخرية بالناس فضلا عـــن العلماء والأئمة ومفكرى الإسلام والمدافعين عنه على مر التاريخ الإسلامى .

وقد نهانا رب العزة عن السخرية والاستهزاء بالآخرين بقوله تعالى : -

﴿ يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســـاء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئـــس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢)

وإنما قلت : ان هؤلاء المرتابين أو المنكرين لهذا العلم الإسلامى الأصيل قـــد خلطوا الأوراق ، وأطلقوا الأحكام ؟

لأن علماء الكلام برآء من هذه الاتهامات الكاذبة ، والأحكام الجـــائرة ، ولأن " علم الكلام ": قام أساسا من أجل الدفاع عن أصول وأركان وأحكـــام الشـــريعة الإسلامية الصحيحة ، والرد على الشراذم من الأعداء ، والدخلاء ، الذين حـــاولوا أن يبدلوا كلام " الله " تعالى وسنة رسول " الله " صلى الله عليه وسلم .

وقد هيأ " الله " تعالى " هذا الكم الغفير من علماء الإسلام وأئمته للدفاع عـــن دينه ، وشريعة نبيه " محمد " صلى الله عليه وسلم والرد على هؤلاء الحاقدين الذين فى قلوبهم مرض ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم : -

﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله النـــاس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا

(٢) سورة الحجرات آية : ١١ .

ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[٣]

وإذا حاولنا أن نذكر هؤلاء " العلماء " و " الأئمة الإسلاميين " ما انتهينا من ذلك قبل وقت طويل ، وحسبنا أن نذكر منهم : -

١ - **الإمام** : " أبو الحسن الأشعرى " المتوفى سنة (٣٣٠ هـ) .

٢ - **الإمام** : " أبو بكر الباقلانى " المتوفى سنة (٤٠٣ هـ) .

٣ - **الإمام** : " عبد القاهر البغدادى " المتوفى سنة (٤٢٩ هـ) .

٤ - **الإمام** : " أبو المظفر الإسفرايينى " المتوفى سنة (٤٧١هـ) .

٥ - **الإمام** : " أبو حامد الغزالى " المتوفى سنة (٥٠٥ هـ) .

٦ - **الإمام** : " فخر الدين الرازى " المتوفى سنة (٦٠٦ هـ) .

٧ - **الإمام** : " تقى الدين بن تيمية " المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) .

٨ - **الإمام** : " ابن القيم الجوزية " المتوفى سنة (٧٥١ هـ) .

٩ - **الإمام** : " عضد الدين الإيجى " المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) .

١٠ - **الإمام** : " سعد الدين التفتازانى " المتوفى سنة (٧٩١هـ) .

وغيرهم كثير قام بتأليف الكثير من الرسائل والكتب لبيان عالمية الشريعة الإسلامية وصلاحها لجميع الناس ، ولكل زمان ومكان .

ذلك لأن مصدرها واحد ، وكتابها الذى تأخذ منه أحكامها وا[illegible] كذلك لم يحرف و لم يزد أو ينقص منه ، وإنما هو محفوظ بحفظ " الله " تعالى له .

وكذلك المصدر الثانى للتشريع وهو : السنة النبوية الصحيحة ، جاءت متواترة

---

(٣) سورة الحج آية : ٤٠ .

رواها جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب .

قام هؤلاء العلماء والأئمة : بالرد على أعداء الإسلام والدخلاء عليه ، ومـلزال الخير فى علمائه وأئمته الباقين والمعاصرين ، إلى أن يرث " الله " الأرض ومن عليها .

لـــذا : استعنت بالله تعالى واستعذت به من الشيطان الرجيم وقمت بعمـــل هذا الكتاب وسميته : -

(مسائــل إلهيــة بيــن التفويــض والتأويــل)

وقد رتبته على مقدمة وثلاثة أبواب :

أما المقدمـة :

فبينت فيها أهمية علم الكلام ، والاهتمام بدراسته ، والنظر إليه نظرة جديـــدة بعيدة عن التأثر والتقليد والسماع دون دليل من عقل أو نقل ، وأن هذا العلـــم مـــن أشرف العلوم : لأنه يبحث فى أشرف موضوع وهو " ذات الله تعالى " وصفاتـــه ، وأفعاله ، بالإضافة إلى بحثه فى " النبوات " و " السمعيات " .

الباب الأول :

وجود " الله " تعالى وتتريهه ، ويشتمل على ثلاثة فصول هى :

الفصل الأول : إثبات وحدانية " الله " تعالى .

الفصل الثانى : إثبات القدم والبقاء " لله " تعالى .

الفصل الثالث : تتريه " الله " تعالى عن صفات الحوادث .

الباب الثانى :

صفات " الله " تعالى " ويشتمل على ثلاثة فصول هى :

الفصل الأول : صفات المعانى .

الفصل الثانى : قدم الصفات الإلهية .

الفصل الثالث : موقف السلف والخلف من الصفات الموهمة للتشبيه .

الباب الثالث :

أفعال " الله " تعالى ويشتمل على ثلاثة فصول هى :

الفصل الأول : ما يستحيل فى حق " الله " تعالى .

الفصل الثانى : ما يجوز فى حق " الله " تعالى " .

الفصل الثالث : القضاء والقدر .

هذا وقد قمت بمعالجة هذه المسائل الإلهية — موضوع دراستنا — بأسلوب سهل متجنبا الألفاظ والعبارات الصعبة قدر استطاعتى وذلك تيسيرا على القارئ العادى غير المتخصص ، ملتزما فى نفس الوقت بالمنهج العلمى الأكاديمى المتبـــع فى مثـــل هـــذه الموضوعات وكذلك لسد باب الاعتراض أو التردد من بعض المثقفين ممن لا يدرسـون " علم الكلام " ذلكم العلم الإسلامى الأصيل لذا فإن الكتاب يشتمل على هدفـين أو فائدتين هما :

الأول : أكاديمى بحت .

الثانى : ثقافى صرف .

وقد تحريت الصواب والدقة فى معالجة مسائل هذا الكتاب ، معتمـ [illegible] المقـــام الأول على القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، فهما المصدران الاول والثـــانى للشريعة الإسمية ، وفيهما الهدى والخير والسعادة فى الدنيا والدين والآخرة .

ثم ما أجمع عليه " العلماء " و " الأئمة " و " المفكرين " من أهل السنة والجماعة فى هذه المسائل الإلهية ، ثم ما قاله " العقل " الذى استأنس بالنصوص السمعية الواردة فى هذه المسائل الإلهية .

هذا العقل الذى أمرنا " الله " تعالى باستعماله فيما خلق له وهو " النظر " و " التدبر " و " التفكير " فى ملكوت السموات والأرض ، لكى نهتدى إلى " الخالق " الواحد الذى بيده كل شئ ، هذا العقل : الذى هو من أعظم وأجل نعم " الله " تعالى على الإنسان بعد هدايته للإيمان به والإقرار بوحدانيته وإنه على كل شئ قدير .

فإن كنت قد أصبت فى معالجة هذه المسائل الإلهية فهذا مرده إلى " الله " تعالى وحده .

وإن كانت الأخرى : فمرده إلى نفسى ، وحسبى أنى قد اجتهدت ، وحاولت قدر استطاعتى الوصول للتى هى أقوم .

وفى الختام : أسأل " المولى " عز وجل أن يتقبل منى عملى هذا ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا به وينفع كل من قرأه ، أو اطلع عليه ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وأختم مقدمتى بخير الكلام وأصدقه بقول " الله " تعالى :

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ (٤)

---

(٤) سورة آل عمران أية : ٨ ، ٩ .

الباب الأول

[وجود الله تعالى وتنزيهه]

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : اثبات وحدانية " الله " تعالى .

الفصل الثانى : اثبات القدم والبقاء " لله " تعالى .

الفصل الثالث : تنزيه " الله " تعالى عن صفات الحوادث .

الفصل الأول

إثبات وحدانية الله تعالى

نشير بداية : إلى أن من الأمور المتعارف عليها فى هذا العلم الإسلامى الأصيل ، أن الباحث يبدأ بحثه بالبرهنة على وجود " الله " تعالى أولا ، وذلك قبل التطرق إلى إثبات وحدانية " الله " تعالى وأن هذا هو مسلك بعض الباحثين ولكن البعض الآخر يبدأ بمسألة " العالم " من حيث حدوثه ، أو قدمه كدليل على وجود " الله " تعالى ، والبعض الثالث : يقرن بين المسألتين معا " الله تعالى والعالم " تحت عنوان واحد .

وعلى كل : فإن هذه مناهج بحث مهما تباينت فهى للصالح العام الذى يخدم أصول الدين فى كل الأحوال ، والناظر فى طريقة " معظم المتكلمين " عند كلامهم على مسألة وجود الله تعالى يجدهم يبدأون بالبرهان على " حدوث العالم " .

والعالم : كما هو مقرر عند السلف من علماء الإسلام وأئمته هو : " كل موجود سوى الله تعالى وصفاته وأفعاله " .

أما عند خلف الأمة الإسلامية : فهو عبارة عن " الجواهر والأعراض " وهم يقولون : إن العالم بجواهره وأعراضه وأجزائه وأبعاضه دلالة دالة على وجود الله تعالى وما داموا قد عرّفوا العالم بهذا التعريف لزمهم توضيح أو شرح هذه الألفاظ التى لم تذكر فى كتاب أو سنة ، و لم يعرفها " سلف الأمة " رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

فقال " علماء الخلف وأئمته " : أن " الجوهر " قد فسر أو عرف بتعريفات متعددة ، إلا أن أشهرها ينحصر فى ثلاثة تعريفات :

١ - أن " الجوهر " هو المتحيز .

٢ - وقيل : هو ما له حجم .

٣ - وقيل : ما يقبل العرض .

وكما تباينت التعريفات أو الآراء فى " الجوهر " فكذلك الأمر بالنسبة

" للعرض " فقد تباينت تعريفاته - أو الآراء فى تفسيره - ، ولكننا نقصر القول فيه

على أشهر ثلاثة تعريفات فيه :

١ - قيل : هو ما يقوم بالجوهر .

٢ - وقيل : ما يطرأ على الجواهر مثل " الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والعلوم والإرادات الحادثة وأضدادها ، والحياة والموت "

٣ - وقيل : ما يستحيل بقاؤه .

وبعد بيان " علماء الكلام " وأئمته للجوهر والعرض ، نجدهم بعد هذا يبدأون ببيان تقسيم الموجود ، فيقسمونه إلى قسمين :

١ - قديم . ٢ - حادث .

ويعرفون " القديم " بأنه : لا أول لوجوده .

أما الحادث : فهو الذى له أول .

وينتهون بعد مقدمة صغرى وكبرى إلى القول : أن العالم حادث لأن أجرامه وأجسامه لاتخلوا عن الأعراض الحادثة وما لا يخلوا عن الحادث فهو " حادث " ، ولا يخفى على كل ذى لب سليم : أن هذه المقدمات وهذه النتيجة لم تسلم من الاعتراضات من جانب الخصوم القائلين " بقدم العالم " فقالوا : لا نسلم بثبوت الأعراض ، ولئن سلمنا بثبوتها فلا نسلم بحدوثها ، ولئن سلمنا بحدوثها . فلا نسلم استحالة خلو الجوهر عن هذه الأعراض الحادثة .

كما أن هناك أجوبة وردود على هذه الاعتراضات ، أو الشبهات التى أثارها القائلون : بقدم العالم .

وأن الحق والصواب مع القائلين بحدوث العالم ، وذلك بناء على منطوق الآيات السمعية الدالة على أن الله تعالى خالق كل شئ ، والخلق يدل على الحدوث والتغير من حال إلى حال .

وكذلك بنوا قولهم بحدوث العالم : بناء على حدوث الجواهر والأعراض والأجسام ، والأجزاء التى يتكون منها العالم ، فليس هناك قديم إلا ذات " الله " تعالى وصفاته ، وأفعاله ، وما عدا هذا فهو حادث مخلوق ، أخرجه الله تعالى من العدم إلى الوجود ، ومن الوجود إلى العدم ، وبناء على هذا : فقد انتهى " علماء الكلام وأئمته" إلى إثبات وجود الله تعالى اعتمادا على أدلة حدوث العالم ، وتركيبه من أجزاء حادثة قد أحدثها محدث وهو الله تعالى ، كما أثبتوا أن العالم : جائز الوجود ، وجائز العدم، بمعنى أن إمكانية وجوده : متساوية مع إمكانية عدمه ولا يترجح أحدهما على الآخر إلا بمرجح من خارجهما : هذا المرجح هو الله تعالى ، أو بمعنى آخر : لابد أن يكون هناك مخصص خارج عن دائرة الإمكان أو الجواز ، وهذا المخصص هو " الله " تعالى ، ولابد من بيان استحالة أن يكون مخصص العالم " طبيعة " أو شئ تلقائى يحدث بنفسه بدون فاعل أو مدبر ، خلافا لما يزعمه " الطبيعيون " ومن على شاكلتهم ويستحيل أن يكون " علة موجبة " : خلافا لما يزعم من سبق من " الأوائل " لأن تلك الطبيعة لا تخلوا من أن تكون قديمة ، أو حادثة ، فإن كانت قديمة : لزم قدم أثرها ، ولكن الأمر الصحيح — الذى عليه سلف الأمة وخلفها — أن الطبيعة حادثة لا قديمة ، كما أنها ليس لها إرادة فى فعل أو ترك ، فهى مأمورة ومسخرة من " الله " تعالى الذى يقول للشئ كن فيكون " [1] .

---

(١) راجع الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ٨٦ — ٩١ بتصرف واختصار ، الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٢ ص١٤٢ ، الإمام الخياط : الإنتصار والرد على ابن الراوندى الملحد ص ٨٩ ، ٩٠ .

وبعد أن عرفنا أدلة " علماء الكلام وأئمته " على حدوث العـــالم ، ننتهى إلى القول : أن العالم لم يحدث من نفسه ، أو تلقائيا ، بل لابد أن يكون هنـــاك من أحدثه وأخرجه من العدم إلى الوجود ، وهذا الذى أحدثه هو " الله " تعـــالى ، كما تشهد بذلك النصوص السمعية ، والفطرة السليمة ، والبراهين العقلية الصحيحـة كمـــا أن

برهان " حدوث العالم " ليس هو الدليل الأوحد على وجود " الله " تعالى ، ولكـــن هناك أدلة أخرى يمكن التعويل عليها منها :

١ - الدليل " الطبيعى " : وهو الدليل المتعلق بخلق الإنسان ، ومراحـــل تكوينـــه وتطوره فالإنسان قد خلق من طين ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغـة مخلّقة وغير مخلقة ، فمن الذى خلقه وركبه فى أحسن تقويم غير " الله " تعالى ؟
والقرآن الكريم قد فصّل هذا الدليل " الطبيعى " الذى لا يستطيع أى منكـــر أن ينكره ، وذلك بقوله تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان مـن سلالة من طين (١٢) ثم جعلناه نطفة فـــي قـــرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [1]

٢ - الدليل " الغائى " : وهو الدليل أو البرهان المستنبط من خلق العالم وما فيه مـــن دقة ونظام وإحكام ، هذه الدقة والنظام والإحكام لابد أن يكون ورائها " مدبـّر حكيم " وهو " الله " تعالى ، وأن هذه الأمور لا تحدث من نفسها بـــالضرورة ، وأن الأثر يدل على المسير ، وأفعال المحكم - بوجه عام - تـــدل علـــى علـــم مخترعها وحكمته النافذة ، أفلا تدل السموات والأرض ، والجبال ، والأنهـــار ،

(١) سورة المؤمنون آية : ١٢ - ١٤ .

وغيرها من مخلوقات ، على أن لها " مدبرا حكيما " وهو الله تعالى :
نعم إنها تدل على ذلك وبوضوح [1]

٣ - برهان الخلق .

٤ - برهان العناية : وقد استنبطه " العلماء " من آي الذكر الحكيم ، فهناك آيات قرآنية تجمع بين الدليلين معا ، وهذا هو الغالب فى آياته الكريمة ، فمن الآيات التى تجمع بين الدليلين معا :

١ - قوله تعالى : ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ [2]

٢ - قوله تعالى : ﴿ **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (١٩) ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١) ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (٢٢) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٢٣) ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها**

---

(١) راجع د/ إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية ج٢ ص ٤٨ ، ٤٩ بتصرف واختصار .

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٤ .

إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤) ومـــن آياتـــه أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتـم تخرجون﴾ [١]

ومما تجدر الإشارة إليه : أن القرآن الكريم وهو أعظم الكتب السماوية وأصدقها على الاطلاق . لم يُعوّل على مسألة وجود " الله " تعالى أكثر من تعويله على إثبات وحدانيته " تعالى " لأنه اعتبر مسألة وجود " الله " تعالى مـــن المســـائل الفطريـــة أو البديهية للجميع على تباين طوائفهم وأزمانهم وأمكنتهم .

وإذا كان هناك من شذ ويشذ عن هذه القاعدة ، فهذا يعتبر من الأمور الطبيعية أو المتوقعة ، ولكن الأمر الأهم هو : هل إنكارهم لوجود " الله " تعالى عليه دليل مـن نقل أو عقل سليم ، أم هو مجرد جحود وإنكار ومخالفة لكل النصـــوص والقواعـــد المتعارف عليها بين جميع العقلاء ؟

وقد أشار أحد " علماء الإسلام " إلى موقف المنكرين لوجـــود " الله " تعـــالى بقوله :

[والواقع : أن القرآن الكريم يمكن أن يؤخذ منه الرد على من انحرفت فطرهم ، بيد أنه يجب أن لا يغيب عنا أن ذلك ليس هدفا من أهداف القرآن الكـــريم ، فـــإذا أحببنا أن نسير على نسق من يأخذ من القرآن الكريم الرد على الجاحدين فإنه يمكـن أن يقال ، إنه يرد عليهم بضروريات فكرية فيثبت الدلالة الضرورية من الخلق علـــى " الخالق " من ذلك قوله تعالى :

﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ [٢]

وقول الله تعالى : **﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾** [١] .

---

(١) سورة الروم آية : ١٩ - ٢٥ .

(٢) ســـورة إبراهيم آية : ١٠ .

وقول الله تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ [٢]

ويؤكد — القرآن الكريم — هذا بمبادئ مقررة يعترف بها كل إنسان ، عندما يفكر فيها تفكيرا بسيطا ، إن من البين : أن الشئ لا يمكن أن يوجد بدون علة ، ولايمكن من جانب آخر أن يكون علة صياغة نفسه ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ [٣] .

وهكذا فقد وضح الأمر حتى لا يبقى مجال للجاحدين والملحدين] [٤]

وبعد أن ثبت وجود " الله " تعالى بالنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية وأن " الله " تعالى واحد فى ذاته ، أى ليس " لذاته " مثل ، ولا ند ولا ضد وثبت أنه تعالى أحد : أى ليس ذاته مركبة من أجزاء ، وهذا ما يؤكده " الله " تعالى للمؤمنين ، ويرد به على المنكرين والمرتابين بقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [٥] أى عليك يا من آمنت " بالله " تعالى ربا ، وبالإسلام دينا ، وبالنبى " محمد " صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، أن تعتقد بقلبك ، وتنطق بلسانك ، وتصدق بجوارحك : أن " الله " تعالى واحد لا شريك له ، لأن هذا من أمارات أو علامات إيمانك واعتقادك بمن خلقك ورزقك وأحياك ، ثم يميتك ، ثم يبعثك ليثيبك على أفعالك وأقوالك ، أو يعاقبك عليها ، وإذا أرجعنا النظر إلى الآية الكريمة — السابقة — محاولين أن نقف على بعض معانيها نجد :

---

(١) سورة الروم آية : ٢٠ .
(٢) سورة الشورى آية : ٢٩ .
(٣) سورة الطور آية : ٣٥ – ٣٦ .
(٤) راجع د/ عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الإسلام ج١ ص٧٢ ، ٧٣ .
(٥) سورة الإخلاص آية : ١ .

أنها تتوجه بالخطاب إلى كل المؤمنين عامة ، ونبى الإسـلام خاصـة : أن يتوجه إلى كل من أشرك " بالله " تعالى — قولا أو عملا أو اعتقادا — بأن يقول له : إن " الله " تعالى واحد لا شريك له ، وإذا لم تصدق بهذا ، فقل ما شئت واعمل ما شئت واعتقد كيفما شئت .

ولكن لابد أن ترحل فى ساعة محددة إلى " الله " تعالى الواحد الـذى كذّبـت بأوامره ونواهيه ، بل وأنكرت وجوده أصلا ، أو أشركت معه فى العبادة والطاعة غيره لكى يحاسبك على ما قدمت وأخرت ، لأن المؤمن مأمور بالبرهنة على إيمانه بالقول والعمل والاعتقاد ، لأننا نرى غير المؤمنين — من يهود ونصارى وغيرهم — يـبرهنون على معتقداتهم بالقول والعمل ، فإذا كان هذا صنيع من ليسوا على شئ ، فما صنيعك يا من أنت على شئ ؟؟!

ومَنْ أَوْلَى أن يبرهن ويدعوا إلى معتقده بالقول والعمل ، هل غير المؤمنـين : الذين يجعلون الحق باطلا ، والباطل حقا ، والظالم مظلوما ، والمظلوم ظالما ؟

أم المؤمنون الذين كرمهم " الله " تعالى وفضلهم على سائر الأمم لا لشـئ إلا لأن فيهم سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم ، ولأنه يوجد فيهم صفة أو صفات لم توجد فى غيرهم منها : أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى حق الإيمان ، فهل هناك معروف أفضل من البرهنة على أن " الله " تعـالى واحـد لا شريك له ؟؟ ، وهل هناك منكرا أشر من القول أو الاعتقاد بأن " الله " تعالى ليـس واحدا ، وصدق " الله " العظيم فى قرآنه الكريم : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [1]

وقد أكد " الله " تعالى الواحد هذه المعانى — السابقة — فى كلامه القديم بقولـه عز من قائل : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابـن

(١) سورة لقمان آية : ١٣ .

مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكـــر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [١] .

هذا على الجانب الأول ، أما على الجانب الثانى فإن الأمر يختلف تماما بالنســبة للأمة المحمدية ، كما أكده " الله " تعالى بقوله :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عـــن المنكـــر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنـــون وأكـــثرهم الفاسقون﴾ [٢] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقول " الله " تعالى " فى كتابه الكريم :

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم﴾ [٣]

فقد أخبر " الله " عز وجل فى هذه الآية الكريمة أن " الإله " تعـــالى واحـــد لا شريك له ، ولكننا نلحظ أن الآية الأولى التى فى " سورة الإخلاص " جاء فيها لفظ أو كلمة " أحد " ، أما هذه الآية الكريمة التى فى سورة البقرة فورد فيها لفظ " واحـــد " فهل هناك فرق بين الكلمتين فى المعنى ؟ .

والعقل السليم يقول : نعم هنا لفظين أو كلمتين وكل منهما له معنى يختلــف عن الآخر ، فكما هما مختلفان فى اللفظ أو المبنى فهما مختلفان فى المعنى كذلـــك ، وهذا ما يشير إليه أحد علماء الإسلام بقوله :

" قوله تعالى : **﴿ قل هو الله أحد﴾** [٤] فرق بين الواحد والأحـــد ، قـــال الله تعالى : **﴿ وإلهكم إله واحد﴾** [١] فيقال : الإنسان شخص واحد وصنف واحـــد ،

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٣) ســورة البقرة آية : ١٦٣ .

(٤) ســورة الإخلاص آية : ١ .

والمراد به أنه جملة واحدة ، ويقال : ألف واحد ، فالواحد المشار إليه من طريق العقل والحس ، هو الذى يمتنع مفهومه من وقوع الشركة فيه ، والأحد : هو الذى لا تركيب فيه ، ولا جزء له بوجه من الوجوه ، فالواحد : نفى الشريك والمثل.والأحد : نفى الكثرة فى ذاته " [٢]

بهذا يتبين لنا : أن هناك فرقا بين كلمة " أحد " وكلمة " واحد " فى المعنى كما هما متباينان فى اللفظ والمبنى ، ولكن أحد الأئمة : رأى أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الإيضاح من باب التأكيد ، لذا يقول :

وقوله تعالى : ﴿**الله الصمد**﴾ [٣] الصمد : الغنى المحتاج إليه غيره ، وهذا دليل على أن " الله " أحدى الذات وواحد لأنه لو كان له شريك فى ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج إليه غيره بل كان هو يحتاج إلى شريكه فى المشاركة أو التثنية ، ولو كان له أجزاء تركيب واحد لما كان صمدا يحتاج إليه غيره ، بل هو محتاج فى قوامه ووجوده إلى أجزاء تركيبه وحده ، فالصمدية : دليل على الواحدية ، والأحدية ، و﴿**لم يلد**﴾[٤] دليل على أن وجوده المستمر ليس مثل وجود الإنسان الذى يبقى نوعه بالتوالد والتناسل ، بل هو وجود مستمر أزلى وأبدى ، و﴿ **ولم يولد**﴾ [٥] دليل على أن وجوده ليس مثل وجود الإنسان الذى يحصل بعد العدم ، ويبقى دائما إما فى جنة عالية لا تفنى ، وإما فى نار هاوية لاتنقطع .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

(٢) راجع الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٣ ص١٣٣ .

(٣) سورة الإخلاص آية : ٢ .

(٤) سورة الإخلاص آية : ٣ .

(٥) سورة الإخلاص آية : ٣ .

﴿ ولم يكن له كفوا أحد﴾ [1] دليل على أن الوجود الحقيقى الـذى له تبارك وتعالى : هو الوجود الذى يفيد وجود غيره ، ولا يستفيد الوجود من غـــيره ليس إلا له تبارك وتعالى " [2] .

وعلى هذا : يتضح لنا وبما لايدع مجالا للشك ، أن هناك فرقا بين وجـود " الله " تعالى ، وكونه لا بداية ولا نهاية لوجوده ، ووجود المخلوقات — بوجه عام — الـتى لها بداية ونهاية .

كما أن وجود " الله " تعالى من ذاته وليس من غيره لأنه " لم يولد " أما وجود المخلوقات : فوجودها من غيرها ، وليس وجودها فقط وإنما عدمها كذلك بـأمر " الله " تعالى وحده ، وأن وجود " الله " تعالى قديم وأزلى ، أما المخلوقات : فهى حادثة إلى غير ذلك من وجوه التباين بين " الخالق " تعالى و " المخلوق " والتى سنعرض لها فى الفصل التالى بمشيئة الله تعالى .

والقول والاعتقاد بالتوحيد أو الوحدانية أو الأحدية " لله " تعالى ليس بدعا مـن الأمر ولا يناقض الفطرة السليمة والعقول المستنيرة ، لأنه أول دعوة " الرسل " عليـهم الصلاة والسلام ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى " الله " عـز وجل . [3]

فها هو نبى الله تعالى وأول رسول إلى الأرض سيدنا " نوح " عليـــه الصــلاة والسلام يقول " الله " عز وجل بشأنه :

---

(١) سورة الإخلاص آية : ٤ .

(٢) نفس المرجع ج٣ ص١٣٣ .

(٣) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧ .

﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (١)

وها هو نبى " الله " تعالى سيدنا " هود " عليه الصلاة والسلام يقول " الله " تعالى عنه : **﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾** (٢)

وها هو نبى الله تعالى ، سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام يقول الله عنه :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ (٣)

وها هو نبى " الله " تعالى سيدنا " شعيب " عليه الصلاة والسلام يقول الله بشأنه : **﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** (٤)

كما أن " الله " تعالى أخبرنا فى قرآنه الكريم . انه ما من " نبى " أو " رسول " أرسله " الله " تعالى " إلى قومه إلا أمرهم بالإيمان بأن " الله " تعالى واحد لا شريك له وهذا ما يؤكده " الله " تعالى بقوله :

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) .

كما أن " الله " تعالى يؤكد هذا فى خطابه للنبى الخاتم سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم خاصة ، وسائر المؤمنين عامة فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٢)

كذلك جاء هذا التأكيد فى المصدر الثانى للشريعة الإسلامية وهو السنة النبوية الصحيحة ، وذلك فى قول " النبى " صلى الله عليه وسلم . " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " . (٣)

من جهة أخرى : أخبرنا " الله " تعالى فى قرآنه الكريم ، وعلى لسان رسوله الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أن كل ذنب أرجى للعفو والمغفرة ماعدا الشرك بالله تعالى ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤)

وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٥)

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٣) الحديث : متفق عليه ، ومخرج فى الصحيحة ٤٠٦ .

(٤) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٥) سورة النساء آية : ١١٦ .

ففى الآية الأولى : أخبرنا " الله " تعالى فيها أن الشرك ذنب عظيم ، والذنب العظيم لا يغفره " الله " تعالى ، لأنه ليس هناك ذنب أعظم من الشرك بالله تعالى ، ولا هناك أظلم ممن يشرك بالله تعالى .

وفى الآية الثانية : أخبرنا " الله " تعالى فيها أن من يشرك بالله تعالى فقد ضل ضلالا بعيدا ، وهل هناك ضلال أعظم من البعد عن " الله " تعالى وعن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

و لم لا وقد قضى "الله " تعالى فى علمه القديم هذا القضاء المبرم الذى قال فيه :

﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (١)

والمتأمل فى كتاب " الله " تعالى وسنة رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم . يجد ويتبين : أنه ليس هناك أوصاف لأى ذنب من الذنوب ، سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، بمثل ما جاء فى الذنب الذى لايغفر وهو الإشراك بالله تعالى .

وقد قسم " علماء الإسلام وأئمته " التوحيد إلى قسمين :

١ - توحيد اعتقادى أو علمى خبرى . ٢ - توحيد فى العبادة .

ولكل منهما متطلباته ، أو الزاماته ، كما أن التوحيدين مرتبطين أو متلازمين ، أى لا يمكن أن يسد أحدهما مكان الآخر ، بل لابد للإثنين من تواجدهما فى المؤمن ، إذا كان يبغى السعادة والأمن والأمان فى الدنيا ، والفوز والنعيم فى الآخرة ، وقد أشار أحد علماء الإسلام إلى هذا مبينا استحقاقات كل قسم منهما بقوله :-

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣ - ١٢٦ .

" وملاك السعادة ، والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب " الله " وبتحقيقهما بعث " الله " رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وإليهما دعت " الرسل " صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم .

أحدهما : التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى ، المتضمن إثبات صفات الكمال " لله " وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل ، وتنزيهه عن صفات النقص .

والتوحيد الثانى : عبادته وحده لا شريك له ، وتجريد محبته والإخلاص له ، وخوفه ورجاؤه ، والتوكل عليه والرضى به " ربا " وإلها ووليا ، وأن لا يجعل له عدلا فى شئ من الأشياء ، وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد فى سورتى " الإخلاص " و " الكافرون " المتضمنة للتوحيد العملى الإرادى ، وسورة **﴿ قل هو الله أحد﴾** المتضمنة للتوحيد العلمى الخبرى ، فسورة **﴿قل هو الله أحد﴾**[1] فيها بيان ما يجب " لله " من صفات الكمال ، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال ، وسورة **﴿ قل يأيها الكافرون﴾** [2] فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له ، والتبرؤ من عبادة كل ما سواه ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ، ولهذا كان " النبى "صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين " السورتين " فى سُنّة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ، ليكون مبدأ النهار توحيدا ، وخاتمته توحيدا .

فالتوحيد العلمى الخبرى : له ضدان التعطيل والتشبيه والتمثيل ، فمن نفى صفات " الرب عز وجل " وعطّلها ، كذّب تعطيله توحيده ، ومن شبّهه بخلقه ومثّله بهم كذّب تشبيهه وتمثيله توحيده . [3]

---

(١) سورة الإخلاص آية : ١ .

(٢) سورة الكافرون آية : ١ .

(٣) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩ وما بعدها .

كما أن بعض أئمة الإسلام وعلمائه قد قسموا التوحيد إلى قسمين :

١ - توحيد الربوبية : ويعنى أن " الله " تعالى وحده خالق كل شئ ومدبره ، وانه عالم بكل شئ .

٢ - توحيد الألوهية : ويعنى أن " الله " تعالى مادام أنه خالق كل شئ ، فإنه يستحق أن نعبده ولا نشرك به شيئا .[1]

والقرآن الكريم : أخبرنا أن هناك طائفة من الناس على مر التاريخ الإسلامى قد أنكروا أو شكوا فى وجود " إله " لهذا العالم يدبر أمره ويتولى أمرهم ، من بينهم ذلك الملك الذى كان فى زمن خليل الرحمن سيدنا " إبراهيم " عليه الصلاة والسلام"

والمسمى " النمروذ " هذا الملك قد حاج " إبراهيم " عليه الصلاة والسلام فى ربه تعالى مع أن " الله " تعالى قد أنعم عليه وأمده بالمال الوفير ، والجاه الذى تمثل فى رياسته لجمع غفير من بنى قومه ، ولكنه قابل النعمة بالجحود والانكار ، وادعى أنه يملك من الصفات ما يملكه " الإله " تعالى " الله " عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فزعم — النمروذ — أنه يمكن أن يحيى ويميت ، كيف ؟ قال :

قال:آمر بالعفو عن إنسان قد استحق الموت أو القتل ، وأقتل إنسانا قد استحق الحياة.

هذا هو تفسير الإحياء والإماتة عند " النمروذ " وظن بهذا القول أنه قد انتصر فى مجادلته لنبى " الله " إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولكن سيدنا " إبراهيم " عليه الصلاة والسلام قال : " إن الله عز وجل يأمر الشمس أن تشرق من جهة المشرق ، فهل تستطيع أن تأتى بها أنت من جهة المغرب ؟ "

عندئذ لم يستطع أن يقول أى شئ بعدما سمع هذا القول من سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فوقف متحيرا مندهشا مبهوتا ، كدليل على عجزه وكفره وظلمه ،

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص٧٨ ، ٧٩ بتصرف .

وطغيانه الذى جاوز حدوده ، وقد بين " الله " عز وجل ذلـــك الحـــوار ، وهذه المحاجة بين نبيه — إبراهيم عليه الصلاة والسلام — والنمروذ فى قرآنـــه الكـــريم بقوله تعالى :

﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربـــي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس مـــن المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (١)

وهكذا شأن كل مكذب ومنكر وجاحد ، لوجود " إله " للعالم يدبـــر أمـــره ، ويعلم كل صغيرة وكبيرة فيه لأنه خلقه وكونه وصنعـــه ، وهـــؤلاء " الأنبيـــاء " و " الرسل " عليهم الصلاة والسلام رسله إلى خلقه ، أرسلهم لكى يبشـــروا المؤمنـــين بالجنة ، وينذروا الكافرين بالنار ، وهم مؤيدون من قبل " الله " تعالى بالنصر والمعونة.

كذلك قص " الله " تعالى علينا مثلا على شاكلة " النمروذ " هذا ، وذلـــك فى زمن نبى " الله " تعالى وكليمه سيدنا " موسى " وأخيه " هارون " عليـــهما الصـــلاة والسلام ، وقد أرسلهما " الله " عز وجل إلى " فرعون " ليدعوه ومن معه من قومـــه إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له هو رب العالمين ومالك يوم الديـــن ، ولكـــن " فرعون " أنكر أن يكون هناك " رباً " للعالم غيره ، فزعم أنه ربهـــم الأعلـــى ، وذلك كما أخبرنا القرآن الكريم عنه فى قوله تعالى :

﴿ هل أتاك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طـوى (١٦) اذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل لك إلى أن تزكى (١٨) وأهديك إلـــى ربك فتخشى (١٩) فأراه الآية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثـــم أدبـــر

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٨ .

يسعى (٢٢) فحشر فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الأعلى (٢٤) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى (٢٥) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [١] .

وقد كذّب " فرعون " سيدنا " موسى " عليه الصلاة والسلام ، واتهمه بأنه ساحر ، وأن ما جاء به من الآيات سحر يؤثر ، وأنه يمكن له أن يرد على سحره بسحر مثله فما كان منه إلا أن استدعى أمهر سحرته من شتى البلاد لكي يبرهنوا على كذب سيدنا " موسى " وأخيه " هارون " عليهما الصلاة والسلام ، وظن " فرعون " أنه يمكن له بقوته الظالمة وسطوته وجنده يستطيع أن يرهب نبى "الله" تعالى وكليمه " موسى " عليه الصلاة والسلام لكى يتراجع عن تبليغ ما أمره " الله " تعالى به ولكن " الله " عز وجل مع أنبيائه ورسله والمؤمنين فى كل زمان ومكان ، ينصرهم ويمدهم بالمعونة والقوة الإلهية التى لا تفتر .

وبعد مشاورات ومؤامرات ومؤتمرات عديدة للطاغية " فرعون " مع مستشاريه اتفقوا على عقد مناظرة بينهم وبين نبى " الله " تعالى وكليمه سيدنا " موسى " عليه الصلاة والسلام ودخل " فرعون " ومن معه من السحرة المناظرة . وهم معتمدين على خداعهم وكذبهم وأباطيلهم ، ودخل سيدنا " موسى " عليه الصلاة والسّلام معتمدا على " الله " تعالى وحده ، وأنه ليس ساحرا ولا كذابا ولا ظالما مثلهم ، فالمناظرة تمثل طرفين أوطائفتين :

أحدهما : يمثل الحق والصدق ، ويمثله سيدنا " موسى " وأخيه " هارون "ومن آمن بدعوتهما .

وثانيهما : يمثل الباطل والكذب ، ويمثله " فرعون " وجنده .

---

(١) سورة النازعات آية : ١٥ – ٢٦ .

ومن الأمور المعلومة لجميع العقلاء : أن سنة الله تعالى لا تتبـدل ولا تتحول ، فهو دائما مع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، ومن آمن به وبهـم فى كل زمان ومكان ، فقد نصر " الله " تعالى نبيه " موسى " وأخيه " هارون " عليـهما الصلاة والسلام على " فرعون " وجنده ، لأن الحق والصدق والعدل معهم ، وهكـذا شأن كل محق وصادق وعادل على مر الزمان ، واختلاف المكان .

وقد سجل " الله " عز وجل هذه المناظرة التي تمت بين نبى " الله " تعالى وكليمه " موسى "عليه الصلاة والسلام وفرعون . وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قال فرعون وما رب العالمين (٢٣) قال رب السماوات والأرض ومـا بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون (٢٥) قال ربكـم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قـال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨) قال لئن اتخذت إلها غـيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أولو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (٣٣) قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريـد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث فـي المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغـالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقـون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فـألقى

موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨)﴾ [١]

وقد آمن " السحرة " بنبى " الله " تعالى وكليمه " موسى " وأخيه " هارون " عليهما الصلاة والسلام . لما علموا أنهم صادقين فيما جاءوا به من عند " الله " تعالى الواحد الأحد وأنه ليس سحرا ، وأنهما ليسا بساحرين — كما زعم فرعون — بل هما رسولا صدق وعدل وحق .

وهكذا نجد أن الذى اعتمد عليهم " فرعون " قد خذلوه وبرهنوا أمام كل من حضر أن " الله " تعالى موجود وأنه واحد لا شريك له ، وأن " فرعون " كاذب كفار وقد بين " الله " تعالى كذبه واستكباره فى الأرض بغير الحق ونهاية تكذيبه " بالله " تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام فى قوله تعالى :

﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (٤٠) وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (٤١) وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ [٢]

وقد أخبر " الله " عز وجل فى قرآنه الكريم أن كل من ينكر أو يكذب بأن " الله " تعالى واحد لا شريك له فهو " كافر " ومصيره النار وبئس القرار ، وفى هذا دليل قاطع ورد حاسم على هؤلاء الذين يعتقدون أو يقولون : أن سيدنا " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام " إله " أو " ابن الله " ، وقد سجل " الله " تعالى ذلكم الحكم الإلهى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٣ – ٤٨ .

(٢) سورة القصص آية : ٣٩ – ٤٢ .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار(٧٢)لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (١)

فإذا كان هؤلاء " النصارى " أو " المسيحيين " يقولون أو يعتقدون أن " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام " إله " أو " ابن إله " — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا — فإنهم بهذا يكونوا مخالفين لدعوته التي جاء بها من عند " ربه " تعالى ورب كل شئ ، وأن " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام قد حذرهم من الشرك أو الإشراك " بالله " تعالى قبل أن يُرفع إلى " السماء " بأمر من " الله " تعالى وحده وقد سجل " الله " تعالى هذا الحوار بينه وبين نبيه " عيسى بن مريم " عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى :

﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب(١١٦)ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (٢)

(١) سورة المائدة آية : ٧٢ – ٧٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ١١٦ – ١١٧ .

وإذا كان " عيسى ابن مريم " عليه الصلاة والسلام ، قد حذر قومه وأتباعه من الشرك والإشراك " بالله "تعالى ، فقد فعل نفس الشئ خاتم النبيين سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم بأمر من " الله " تعالى كذلك ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (١)

وقانا " الله " تعالى الشرك والإشراك فى القول والعمل والاعتقاد ، ورزقنا طاعته والاخلاص له فى السر والجهر والعمل والقول .

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .

العقل والوجود والوحدانية

كما أن النصوص السمعية – من قرآن وسنة – شاهدة وناطقة على وجود " الله " تعالى وأنه واحد لا شريك ولا مثل له فى ذات أو صفة أو فعل ، فكذلك كل عقل سليم يشهد وينطق بذلك ، لأنه لا تباين بين ما جاء به " النقل " وما خلص إليه " العقل " ، فهما متلازمان ، ومتعاضدان يصدق أحدهما الآخر ، لأن النصوص السمعية من وحى " الله " تعالى وأمره ، والعقل الإنسانى من خلق " الله " تعالى وتكوينه ، وهبه للإنسان لكى ينظر ويتدبر ويتفكر بواسطته فى وجود " الله " تعالى وخلقه لكى يهتدى به إلى الطريق القويم والحق المبين ، وقد برهن كثير من " علماء الإسلام وأئمته " بواسطة العقل المستنير " بالنقل " على وجود " الله " تعالى ووحدانيته وأنه يستحيل أن يكون " لله " تعالى شريك ، وهذا أحدهم يؤكد هذا بقوله :

" صانع العالم : واحد عند " أهل الحق " والواحد الحقيقى هو الذى لا ينقسم والدليل على وحدانية " الإله " تعالى : أنا لو قدرنا إلهين إثنين ، وفرضنا عرضين ضدين وقدّرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين ، وإرادة الثانى للثانى ، فلا يخلو الأمر من أحد أمور ثلاثة هى :

١ – أن تنفذ إرادهما معا .

٢ – لا تنفذ إرادهما معا .

٣ – تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر .

فهذه هى الاحتمالات أو الافتراضات العقلية الممكنة الوقوع فى مثل هذه المسألة ، والعقل السليم يقول : يستحيل أن تنفذ إرادة الاثنين معا لماذا ؟

لاستحالة اجتماع الضدين معا،كذلك يستحيل : أن لا تنفذ إرادة الاثنين لماذا؟

لتمانع الإلهين ، وخلو المحل عن كلا الضدين . وإذا استحال هذين الاحتمالين أوالفرضين لم يبق إلا ثالثهما وهو : نفاذ أو وقوع إرادة أحدهما دون إرادة الآخر ، وأن الذى لا تنفذ إرادته : هو المغلوب المقهور المستكره .

أما الذى نفذت إرادته دون الآخر : فهو " الإله " الغالب القاهر القادر على تحصيل ما يشاء .

فإن قيل : لم لا يجوز أن يتوافقا أبدا ، ولا يختلفا قط ؟

قلنا : إن لم نُجوِّز اختلافهما فى الإرادة ، كان محالا ، إذ وجود أحدهما ووجود صفاته ، يستحيل أن يمنع الثانى أن يريد ما يصح إرادته عند تقرير الانفراد ، والعاجز منحط عن رتبة الربوبية ، وذلك مضمون قوله تعالى :

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (١)

أى لتناقضت أحكامها عن تقدير القادرين على الكمال " (٢)

وهذا الدليل يعرف عند " علماء الكلام وأئمته " بدليل التمانع المأخوذ من معنى الآية الكريمة — السابقة — وهو دليل يخاطب الفطرة السليمة التى لم تتأثر بالمذاهب والتيارات المادية الإلحادية الفاسدة .

كما أن العقل السليم يقول : أن الذى خلق السموات والأرض والإنسان وجميع مافى هذا الوجود هو " الله " تعالى وحده لا شريك له ، وأن أشد المنكرين والمكذبين بوجود " الله " تعالى إذا استمروا فى إنكارهم وتكذيبهم بربهم تعالى فى الدنيا فإنهم لا يستطيعون الاستمرار فى الانكار والتكذيب فى الآخرة ، وذلك بعد أن يشاهدوا حقيقة ما كذبوا به من أخبار " الله تعالى " :

كالبعث والحساب والميزان وما إلى ذلك ، وهذا ما أكده الله تعالى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

(٢) راجع الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ٩٨ ، ٩٩ بتصرف ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦ – ٨٨ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[1].

ومن حكمة " الله " تعالى وسعة علمه : أنه خلق الناس ، وفضل بعضهم على بعض في كل شئ من أمور الدين والدنيا والآخرة ، فتمايزهم أو تفاضلهم فى أمور الدنيا . يتمثل فى المال والأولاد والمناصب ، وما إلى ذلك من أمور عارضة . يعطيها " الله " تعالى للمؤمن والكافر والمنافق والمشرك حتى الملحد كذلك وهى ليست خاصة بطائفة دون أخرى .

أما أمور الدين : فتتمثل فى فهم كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسول " الله " صلى الله عليه وسلم فهما صحيحا دون شذوذ أو بعدا عما كان عليه " السلف الصالح " وما تابعهم فيه من " الخلف " وكذلك طاعة " الله " تعالى ، وطاعة " رسوله " صلى الله عليه وسلم وأمور الآخرة : تتمثل فى درجات الجنة ونعيمها ، واختلاف هذه الدرجة من شخص لآخر ، والتفضيل والتمايز بين الناس . يتمثل حقيقته فى الأمر الأول والثالث لا فى الأمر الثانى ، فهو المقياس الصحيح فى التفاضل ، وهو الذى يدوم أثره ، وينعكس على أصحابه فى الدنيا والآخرة ، وهذا ما يؤكده " الله " تعالى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2]

(١) سورة الأنعام آية : ٢١ - ٢٤ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٣ .

سؤال وارد :

ويحق لسائل أن يسأل : هل للشرك أسباب ، كما أن للإيمان أسباب ؟

والجواب على هذا السؤال :

نعم هناك أسباب كثيرة للشرك أو الاشراك بالله تعالى ، وهذا ما يؤكده أحد العلماء بقوله :

" ومن أسباب الشرك : عبادة الكواكب ، واتخاذ الأصنام بحسب ما يظن أنه مناسب لكواكب من طباعها ، وشرك قوم " إبراهيم " عليه السلام كان -فيما يقال- من هذا الباب ، وكذلك الشرك بالملائكة والجن ، واتخاذ الأصنام لهم ، وهؤلاء كانوا مقرين " بالصانع " وأنه ليس للعالم صانعان ، ولكن اتخذوا هؤلاء شفعاء ، كما أخبر عنهم " تعالى " بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (١)

وقوله :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

ولما كان الشرك فى " الربوبية " معلوم الامتناع عند الناس كلهم باعتبار إثبات " خالقين " متماثلين فى الصفات والأفعال ، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثَمّ خالقا خلق بعض العالم كما يقوله " الثنوية " فى الظلمة ، وكما يقوله " القدرية " فى أفعال الحيوان ، وكما يقوله " الفلاسفة الدهرية " فى حركة الأفلاك ، أو حركات

---

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

النفوس ، أو الأجسام الطبيعية ، فإن هؤلاء يثبتون أمورا محدثة بدون إحـــداث " الله " إياها ، فهم مشركون فى بعض الربوبية ، وكثير من مشركى العرب وغيرهم : قد يظن فى آلهته شيئا من نفع أو ضر بدون أن يخلق " الله " تعالى ذلك ، فلما كان الشرك فى الألوهية : موجودا فى الناس بين القرآن بطلانه ، كما فى قوله تعالى :

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلـــق ولعلـــا بعضهم على بعض ﴾ (١)

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر ، فإن " الإله الحق " لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر " (٢)

ونشير إلى أن الطرق أو المسالك قد تباينت فى البرهنة على وجود " الله " تعـالى ووحدانيته فمنهم من استدل بوجود " الله " تعالى ووحدانيته على مخلوقاته ، بمعـنى أن هذا الفريق قد نظر إلى مخلوقات " الله " تعالى الكثيرة ، وآثاره العظيمة الموجـــودة فى هذا الكون . فخلص إلى القول : أن هذه المخلوقات أو الآثار لا يمكن أن تحدث مـــن نفسها . بل لابد أن يكون وراءها " مدبر " عليم حكيم .

ومنهم من عكس الأمر ، أى استدل بمخلوقاته على وجود خالقها وهو " الله " تعالى ، وأنت خبير بأن هناك فرقا كبيرا بين الطريقتين أو المسلكين .

فالفريق الأول :نظر إلى " الأعلى " — الخالق تعالى — مستدلا به علـــى الأســـفل أى " المخلوقات " والآثار .

والفريق الثانى : نظر إلى " الأسفل " والمخلوقات — مستدلا بها على " الأعلى " وهـــو وجود الله تعالى .

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ باختصار .

ولكل من الطريقتين أو المسلكين : ما يؤيدهما فى آيات القرآن الكريم ، كإشارة إلى صوابهما معا ، أما ما يؤيد الفريق الثانى فى مسلكه فجاء فى قول " الله " تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (١)

وما يؤيد الفريق الأول فى مسلكه : فجاء فى قول " الله " تعالى :

﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (٢)

وأخيرا نشير إلى أن طريقة القرآن الكريم فى البرهنة على وجود " الله " تعالى وأنه واحد لا شريك له هى المعتمدة أو المقدمة عند " سلف الأمة " وعند " خلفها المعتدلين " لأنها الطريقة الصحيحة والمناسبة لكل زمان ومكان ، بل ولكل الثقافات على تباينها الشديد ، ثم تأتى بعد هذا الطريقة الثانية وهى طريقة " العقل " المسترشدة بطريقة " النقل " أو " السمع " وليس الأمر قاصرا على هذه المسألة فقط ، وإنما هذا المسلك أو هذه الطريقة سارية فى باقى المسائل الإلهية الأخرى ، وذلك خلافا لطائفة من " الفلاسفة " أو " المعتزلة " الذين عكسوا الأمر ، بمعنى أنهم قدموا طريقة " العقل " وما خلص إليه من نتائج و أفكار على طريقة أو مسلك " النقل " أو " السمع " ، لدرجة أنه لو تعارضت طريقتهم – العقلية – مع طريقة " النقل " يقولون: أن الخطأ ليس فى طريقتهم ، ولابد من الإشارة إلى أن موقفهم هذا فى هذه المسألة خاصة وتقديمهم " العقل " على " السمع " أو " النقل " لا يَرضى به أى عاقل فضلا عن مؤمن يقدر " الله " تعالى حق قدره ، ويقدر ما جاء فى كتابه الكريم ، وسنة " نبيه " الأمين صلى الله عليه وسلم لأن العقل مهما وصل إلى علم أو معرفة فهو لا يخرج عن دائرته وحدوده ، أعنى دائرة النقص والعجز والاحتياج إلى نور " الله " تعالى الذى

(١) سورة فصلت آية : ٥٣ .

(٢) سورة فصلت آية : ٥٣ .

ينير له السبيل ، ويؤكد له ما استطاع الوصول إليه من علم أو معرفة أو فكرة أو نتيجة وأن من يقول بتقديم طريقة " العقل " على طريقة السمع أو النقل هم العجزة أو شئت فقل هم " أجهل خلق الله " على الإطلاق ، لأن العلماء " بالله " تعالى ، وصفاتـــه ، وأفعاله ، هم الذين يخشون " الله " تعالى فيما يقولون ويفعلون ويعتقدون كما أكـد " الله " تعالى ذلك فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشـــى اللـــه مـــن عبـــاده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (١)

وقد برهن كثير من " علماء الإسلام وأئمته " على قصورهم وعجزهم أمام علم " الله " تعالى ، وعلم رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وبينوا أن " الله " تعـــالى قد أنعم على الإنسان بكثير من النعم التى لا تعد ولا تحصى : ومن بينها " العقـــــل " لكى يستعمله فيما خلق له وهو النظر ، والتفكر فى ملكوت الســـموات والأرض ، فهذه هى مهمته الأولى أو الأساسية ، وليس باستعماله فى غير ما خلق له ، أو إقحامه فى مسائل إلهية دون أن يكون مسترشدا بنور السمع والنقل ، لأنه إذا سار وحـــده فى هذا الطريق . فليس فى مأمن أو أمان ، بل لابد أن يكون معه أنيس يســـتأنس بـــه ، وليس هناك أنيس يجد فيه المؤمن أمنه وأمانه غـــير " الله " تعـــالى وكتابـــه ، وســـنة " رسوله " صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار أحد أئمة الإسلام إلى هذا المعنى بقوله :

" إعلم أن " البارى " سبحانه وتعالى: شرف هذا الآدمي وكرمه فقال سبحانه:

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحـــر ورزقنـــاهم مـــن الطيبـــات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (٢) .

---

(١) سورة فاطـــر آية : ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٧٠ .

فكان من أعظم ما شرف به وكرمه " العقل " الذى تنبه به علـــى البهجـــة ، وألحقه بسببه بعالم الملائكة حتى تأهل به لمعرفة " بارئـــه " و " مبدعـــه " بـــالنظر فى مخلوقاته ، واستدلاله على معرفة صفاته بما أودعه فى نفسه من حكمة وأمانة ، قـــال " الله " العظيم : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١)

فكان نظره فى نفسه ، وفيما أودع " البارى " سبحانه فيه من العقل الذى يقطع بوجـــوده فيه ، ويعجز عن وصفه ، من أعظم الدلالات عنده على وجود " باريه " و " مدبره " و " خالقه " و " مصوره " فإنه ينظر فى العقل كيف فيه التدبير وفنون العلم ومستمر المعرفة ، وبصائر الحكمة والتمييز بين النفع والضر ، وهو مع القطع بوجوده ، لا يرى له شخصا ، ولا يسمع له حسا ، ولا يحس له محسا ، ولا يشم له ريحـــا ، ولا يدرك له صورة ولا طعما ، وهو مع ذلك آمر ومطـــاع زيـــادة ، وراج ومفكـــر ، ومشاهد الغيوب ، ومتوهم للأمور ، كلما ازداد علما ، ازداد سعة وقوة يأمر الجوارح بالتحرك ، فلا يكاد أن يميز بين الهمة والحركة ، وبين التحرك بسرعة الطاعة أيـــهما أسبق " (٢) .

وهكذا تبين لكل عاقل ، ولكل فكر سليم ، ولكل فطرة لم تدنســـها سمـــوم التيارات والمذاهب الفكرية ، سواء كانت ماركسية ، أو علمانية حاقدة على الإســـلام وشريعته ، وعلى المؤمنين بنوره ، وبأحكامه التى فيها السعادة والأمن والأمـــان لمـــن تمسك وعمل بأحكامها ، واهتدى بهديها ، واعتصم بكتاب " الله " تعالى ، وســـنة رسول " الله " صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى واحد لا شريك له ، وصـــدق " الله " العظيم فى قرآنه الكريم حاكيا حال المؤمنين المهتدين به تعالى :

---

(١) سورة الذاريات آية : ٢١ .

(٢) راجع الإمام : الغزالى : القصور العوالى ج٣ ص ٥٣ ، ٥٤ باختصار .

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[1].

رزقنا " الله " تعالى معرفته ، ومعرفة آياته ، والعمل بكتابه ، وسنة رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وأن من حاول أو يحاول أن يخدع نفسه ، أو يخدع غيره ، ويتظاهر بإنكار أو شك في وجود " الله " تعالى ، أو أنه ليس واحدا لا شريك له ، إذا نزلت به نازلة ، وتخلت عنه سبل الأرض فإنه لا يجد من يدعوه ويرجوه ، ويطلب منه النجاة والخروج مما هو فيه من الكرب والحزن إلا " الله " تعالى الواحد الأحد ، والعجيب أنه بعد أن ينجيهم " الله " تعالى ، وينقذهم مما كانوا فيه يعودون إلى سيرتهم الأولى المتمثلة في الجحود والانكار والبغى ليفعلوا ما شاءوا ، فإن بغيهم وإنكارهم وجحودهم لنعم " الله " تعالى عليهم يعود وباله عليهم وليس على غيرهم ، لأن من نكث - أو ينكث - فإنما ينكث على نفسه ، وقد سجل " الله " تعالى هذا المشهد المتكرر كثيرا في الواقع على الرغم من اختلاف الزمان والأشخاص بقوله تعالى :

﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين(٢٢)فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ [2] .

فهل هناك دليل أوضح من هذا الدليل الذى ذكره " الله " تعالى فى هذا الموقف وهذا المشهد الذى يتكرر كثيرا فى حياتنا الدنيا ؟ .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

(٢) سورة يونس آية : ٢٢ ، ٢٣ .

ومع هذا فهناك من يصر على جحوده وإنكاره وبغيه ، وهناك من يرجـــع إلى رشده وصوابه ، ويذكر نعمة " الله " تعالى عليه ، فيؤمن بالله تعالى وحده ، وينبذ مـــا كان عليه من الضلال والفساد والبغى ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ [1] .

والمتأمل فى واقع الناس قديما وحديثا يجد هذين الأمرين بوضـــوح ودون جـــهد وعناء ، أعنى يجد من تمر به الأحوال أو الدروس العملية ولكنه لا ينتفع بها ، وكأنـــه لم يقع أو لم يحصل له شئ ، ويستمر على جهله ويستمر على حالته هذه حتى يفـــارق حياته ، أو تفارقه هى ، ثم يلقى " ربه " تعالى الواحد الذى أنكره أو جحده أو أشـــرك معه غيره من المخلوقات التى لا تنفع ولا تضر نفسها ولا غيرها

وهناك من ينتفع بالدرس ويتعلم شيئا أو أشياء كان يجهلها وما كان يتعلمـــــها قبل أن يحصل أو يقع ما كان قد وقع ولا أجد ما أعبر عنه فى هذا المقام أنسب مـــــن قوله تعالى : **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** [2]

كذلك يوجه الله تعالى للمنكرين سؤالا على لسان رسوله " محمد " صلـــى الله عليه وسلم ، وعلى لسان كل داع إلى " الله " تعالى بالموعظة الحسنة بأن يتوجـــه إلى المنكرين والجاحدين لوجود " الله " تعالى قائلا لهم : من الذى يتكفل برزقكم ؟ ومـــن الذى يترل لكم من السماء ماءًلتشربوا منه وتشرب أنعامكم ، أو يخرجه لكم مـــــن الأرض ؟؟ ، ومن الذى يحيى ويميت ؟ ومن الذى يقلب الليل والنهار ؟

وهل هناك غير الله تعالى يفعل هذا وأكثر من هذا ؟

---

(١) سورة النحل آية : ٨٣ .

(٢) سورة الجمعة آية : ٥ .

فى هذه الحالة : لايملكون الإنكار والجحود ، لأنه ليس هناك أحد غير الله تعالى يقدر على تدبير هذه الأمور ، وقد أكد الله تعالى هذا فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١) .

كما أنه " تعالى " أكد على أنه واحد لا شريك له فى أكثر من موضع فى قرآنه الكريم ، وأن الذين يقدرون " الله " تعالى حق قدره هم أولوا الألباب وذلك بقوله تعالى : **﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** (٢)

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ – ٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٥٢ .

الفصل الثاني

إثبات القدم والبقاء لله تعالى

بعد إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته بالنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية ، وما يوجد فى الطبيعة وفى ملكوت السموات والأرض من آيات ومخلوقات وآثار تدل وتؤكد حقيقة وجود الله تعالى ووحدانيته بحيث لا ينكر وجود الله تعالى – الذى أعطى كل شئ حقيقته ووجوده – إلا كل كاذب كفار ، طبع " الله " تعالى على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره غشاوة ، بحيث لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ، ومن كان هذا حاله . فإن له معيشة ضنكا ، ويحشر يوم القيامة أعمى بالإضافة إلى ما ينتظره من العذاب الأليم الذى أعده الله له لكى يصدق ما كذب به فى الدنيا .

وفى هذا الفصل – بمشيئة الله وتوفيقه – نبرهن على أن " الله " تعالى متصف بكل صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص والحدوث ، فمما هو ثابت " لله " تعالى من صفات :

صفتى " القدم " و " البقاء " ، وقبل التعرف على معناهما نشير بداية إلى أن " علماء الكلام " قد قسموا الوجود إلى قسمين :

١ – واجب الوجود لذاته .

٢ – ممكن الوجود لذاته .

وقالوا إن :

القسم الأول : لايدخل فيه إلا " الله " تعالى فهو وحده واجب الوجود لذاته .

القسم الثانى : فيشمل كل موجود سوى " الله " تعالى وصفاته وأفعاله .

وعلى هذا : فكل موجود سوى وجود " الله " تعالى وصفاته وأفعاله . داخل فى دائرة الامكان أو الجواز والحدوث والإعدام والإيجاد ، وأن كل موجود سوى "الله" تعالى وصفاته وأفعاله له بداية لوجوده ، وله نهاية كذلك ، أى أنه كان معدوما ثم وجد ، ووجوده مقدر بوقت ومدة محددة معلومة من قبل " الله " تعالى ووجود الممكنات أو

المحدثات ليس من نفسها ، وإنما وجودها وعدمها بواسطة خالقها ومدبرها ، سبحانه وتعالى ، وهذا ما نستفيده من قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى كذلك :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢) .

كما أن الله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) ، الأول : الذى لا بداية لوجوده أو لم يسبقه وجود ، والآخر : أى الباقى الذى لا يفنى ولا يهلك ، أو الذى ليس بعده وجود ، وهو ما يؤكده أو يفسره قول " النبى " صلى الله عليه وسلم فى دعائه :

« **اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ** » (٤)

وهذا هو اعتقاد علماء السلف ، ومن تبعهم - رضوان الله عليهم أجمعين - من الخلف فهذا أحد العلماء الإسلاميين يقول فى هذا المعنى بعد استرشاده بكتاب " الله " تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

" فقول الشيخ : قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء هو معنى اسمه الأول والآخر ، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر فى الفطر فإن الموجودات لابد أن تنتهى إلى واجب الوجود لذاته قطعا للتسلسل ، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن ، وحوادث الجو كالسماء والمطر وغير ذلك ، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة ،فإن

---

(١) سورة القصص آية : ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) سورة الحديد آية : ٣ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (٧٨/٨ - ٧٩) .

الممتنع لا يوجد ، ولا واجبة الوجودُ بنفسها ، فإن واجب الوجود بنفســـه لا يقبـــل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفي وجودها ، ووجودها ينفـــي امتناعها ، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (١) .

يقول سبحانه : أَحَدثوا من غير مُحدِث ، أم هم أحدثوا أنفســـهم ومعلـــوم أن الشيء المحدَث لايوجد نفسه ، فالممكن الذى ليس له من نفسه وجـــود ولا عـــدم ، لايكون موجودا بنفسه ، بل إن حصل ما يوجده ، وإلا كان معدوما، وكل ما أمكن وجوده بدلا عن عدمه وعدمه بدلا عن وجوده ، فليس له من نفسه وجود ولا عـــدم لازم له (٢) .

وإن " الله " تعالى وحده هو الذى أحدث الممكنات ، أى أخرجها من العـــدم إلى الوجود ، وهو الذى صنع المصنوعات ، وهو الذى خلق الأرض والسموات لأنه لم يكن قبله شئ ، ولم يبق بعده شئ .

وهذا المعنى هو ما فهمه " السلف الصالح " رضوان الله عليهم أجمعين وساروا عليه ، حتى جاء من بعدهم " الخلف " فتابعوهم فيه ، لأنهم وجدوا معناه فى كتـــاب " الله " تعالى ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتمسكوا بهما حتى أتاهم أمـــر " الله " تعالى ، قال أحد أئمة الإسلام مؤكدا هذا :

" المبدعات والمخلوقات أحدثها " الله " تعالى بالترتيب فهو الأول الذى لا أول قبله ، ومنه تحصل المبدعات بل الممكنات بأسرها ثم ينزل الترتيب من الأشرف فالأشـــرف ، حتى ينتهى إلى المادة التى هى أخس الأشياء ، ثم ابتدأ " تعالى " من الأخس عائدا إلى

---

(١) سورة الطور آية : ٣٥ .

(٢) راجع ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ١١١ ، ١١٢ .

الأشرف حتى انتهى إلى الإنسان ويعود الإنسان عند زكاء نفسه إلى حيث قال " الله " تعالى : ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ [1] .

ولذلك قال " الله " تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [2] .

أما الظاهر : فمركوز فى غرائز العقل أن للكل مبدأ وإن للحادث مُحدِثا ، وللممكن مُوجِدا واجبا " . [3]

هذا وقسم " علماء الكلام " الصفات الإلهية إلى أربعة أقسام :

١ - **صفة نفسية** : وتشمل صفة " الوجود ".

٢ - **صفات سلبية** : وتشمل صفات " القدم " و " البقاء " و " القيام بالنفس " و " المخالفة للحوادث " و " الوحدانية " .

ومعنى صفة سلبية ؟ أى أنها تنفى أو تسلب ما ينافيها ، فصفة " القدم " تعنى : عدم الحدوث ، وصفة " البقاء " تعنى : عدم الفناء والهلاك ، وصفة " القيام بالنفس " تعنى : عدم قيامه بغيره ، وصفة " المخالفة للحوادث " تعنى : عدم مماثلته للحوادث أو المخلوقات ، وصفة " الوحدانية " تعنى : نفى أن يكون له شريك فى الألوهية أو الربوبية ، لأنه " تعالى " واحد لا شريك له .

٣ - **صفات معانى** : وتشمل صفات " القدرة " و " الإرادة " و " العلم " و " السمع " و " البصر " و " الكلام " و " الحياة " .

٤ - **صفات معنوية** : وتعنى كونه " تعالى " قادرا ، ومريدا ، وعالما ، سميعا

---

(١) سورة الفجر آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة الحديد آية : ٣ .

(٣) راجع الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٢ ص١٤٥ .

" بصيرا " ، " متكلما " ، " حيا " . (١)

وبناء على هذا التقسيم ، فإن صفتى " القدم " و " البقاء " ، تندرجان ضمن الصفات السلبية التى تنفى كل ماهو من صفات الحوادث أو المخلوقات عن " الله " تعالى ، وليس هما من الأسماء الحسنى التسعة والتسعين التى أمرنا الله تعالى أن ندعوه ونتوسل له — وحده — بها ، وذلك كما قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وكما قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف :

" إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، إن الله وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة " (٣)

ولابد من الإشارة إلى أن المراد بالإحصاء — فى الحديث — ليس المراد به ذكر عددها فقط ، لأن الكافر ومن على شاكلته قد يذكرها حاكيا لها . ولا يكون من أهل الجنة ، وإنما المراد بالإحصاء : هو العلم بمعانيها والاعتقاد بها اعتقادا صحيحا ، وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن ، فالمؤمن يذكرها بلسانه ويصدق بها بقلبه ويعمل بمعانيها بجوارحه .

أما مجرد ذكرها باللسان فقط كما يفعل الكافر ومن على شاكلته . فلا يكون

---

(١) راجع هذا فى : الإمام البيجورى : شرح البيجورى على جوهرة التوحيد ج١ ص٤٧ ، الإمام أحمد الدردير : شرح الخريدة البهية ص٥٨ وما بعدها ، الدكتور سعيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص٩٠ ، ٩١ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٣) الحديث رواه الإمام أبو داود .

مدعاة أو سببا لدخول الجنة ، وهذا هو المفهوم الصحيح من الحديث الشريف حتى لا يلتبس الأمر على البعض بسبب عدم فهمه فهما صحيحا يوافق مفهوم " السلف الصالح " ومن تبعهم من " الخلف " هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نقول : إن جمهور المسلمين وعلمائه قد اتفقوا على أن إطلاق أى إسم أو صفة على " الله " تعالى أمر توقيفى ، أى متوقف على إذن من " الله " تعالى ، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم . (١)

وليس الأمر خاضعا للآراء الشخصية ، أو الأهواء المذهبية كما فعل بعض زعماء المعتزلة وعلى رأسهم " الجبائى " الذى أطلق على الله تعالى أسماء لم يَتَسَمَّ " الله " تعالى بها فى القرآن الكريم ولا فى سنة رسوله الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

والمشهور عند " علماء الكلام " أن صفتى " القدم " و " البقاء " من الصفات السلبية لا من الأسماء الحسنى التى ورد ذكرها فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعض المتكلمين قد أدخلهما ضمن الأسماء الحسنى مع أنهما ليس منهما فى الحقيقة ، مما دعى " أحد العلماء " إلى تعميم هذا الصنيع على سائر المتكلمين دون تفرقة بينهم ، وكان الأولى به أن يخصص أو يقيد ما أطلقه أى كان عليه أن يقول " بعض المتكلمين " أو " بعضهم " دون تحديد وفى هذه الحالة يكون بيانه مقبولا لا شبهة فيه ، وعلى كل فقد بين أن هناك فرقا كبيرا بين إطلاق صفة القدم على " الله " تعالى وإطلاقها على بعض مخلوقاته أو مصنوعاته .

---

(١) راجع الأستاذ السيد سابق : العقائد الإسلامية ص٥٣ بتصرف .

(٢) راجع الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٠٣ بتصرف ، الأستاذ السيد سابق : العقائد الإسلامية ص٥٣ بتصرف .

وأن التشابه بينهما لا يكون إلا فى اللفظ فقط ، أما معناه بالنسبة " لله " تعالى ، فإنه مختلف تماما عن معناه بالنسبة للمخلوقات أو المصنوعات ، فمعنى القدم فى حق " الله " تعالى : أنه تعالى أول الوجود أو مفتتح الوجود أى لم يسبق وجوده شئ قبلــــه ونعنى أنه الأول أى الذى ليس قبله شئ كما أن وجوده " تعالى " أزلى أو قــديم لا حادث مثل وجود المخلوقات أو المصنوعات ، أما إطلاق صفة " القدم " أو " القديم " على بعض المخلوقات فإنه لا يعنى أنه لم يسبقها وجود قبلها ، وإنما وجودها أو قدمها بالقياس أو النظر إلى غيرها من مخلوقات أو مصنوعات ، أى أن قدمـــها مجـــازى أو اعتبارى ، وهى حادثة مخلوقة فى حقيقة الأمر وواقعه ، وهذه إشارة لابــد منــها لكى لا يلتبس الأمر على البعض . ويفهم أن هناك تماثلا بين إطلاق صفة " القـــدم " على " الله " تعالى وإطلاقها على بعض مخلوقاته أو مصنوعاته ، وهذا ما قاله أحــــد العلماء — بالنص — فى هذه المسألة :-

" وقد أدخل المتكلمون " فى أسماء " الله " تعالى القديم . وليس هو من الأسمــــاء الحسنى ، فإن القديم فى لغة العرب التى نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره ، فيقــــال هذا قديم للعتيق ، وهذا حديث للجديد ، و لم يستعملوا هذا الاسم إلا فى المتقدم علــى غيره لافيما يسبقه عدم كما قال تعالى : ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (١) .

والعرجون القديم : الذى يبقى إلى حين وجود العرجون الثانى : فـــإذا وجــد الجديد قيل للأول " قديم " ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْـكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٢) أى متقدم فى الزمان ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يس آية : ٣٩ .

(٢) سورة الأحقاف آية : ١١ .

(٣) سورة الشعراء آيــة: ٧٥ ،٧٦ .

فالأقدم : مبالغة فى القديم ، ومنه القول القديم والجديد للشافعى رحمه الله تعالى، وقال تعالى :-

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [1] ، أى يتقدمهم ويستعمل منه الفعل لازما ومتعديا كما يقال : أخذت ما قدم وما حدث ، ويقال : هذا قدم هذا وهو يقدمه ، ومنه سميت القدم قدما لأنها تقدم بدن الإنسان .

وأما إدخال " القديم " فى أسماء " الله " تعالى فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من " السلف " و " الخلف " منهم " ابن حزم " ولا ريب أنه إذا كان مستعملا فى نفس التقدم فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره ، لكن أسماء " الله " تعالى هى الأسماء الحسنى ، التى تدل على خصوص ما يمدح به ، والتقدم فى اللغة : مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها ، فلا يكون من الأسماء الحسنى ، وجاء الشرع بإسمه " الأول " وهو أحسن من " القديم " لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له ، بخلاف " القديم " والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة " . [2]

---

(١) سورة هود آية : ٩٨ .

(٢) راجع ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص١١٢ ، ١١٣ .

العقل وصفتى القدم والبقاء

ما دام العقل السليم ، لا يتعارض مع " النقل " أو " السمع " ، فإن " العقل " يقول : إن هناك تباينا كبيرا بين صفات " الخالق " تعالى وصفـــات " المخلـــوق " فى المعنى والمضمون ، وإلا لما كان هناك فرق بين الخالق والمخلوق ؟

فالخالق " تعالى " قديم أزلى باق ، أما " المخلوق " فحـــادث معـــدوم ، و " الخالق " ليس قبله شئ ، وليس بعده شئ لأنه " الأول " و " الآخر " و " الظاهر" و " الباطن " .

أما " المخلوق " فقد وجد بعد أن كان معدوما ، أى أنه مسبوق بوجـــود ، وكذلك يُعدَم بعد أن كان موجودا ، فليس له صفة " القدم " أو " البقاء " الموجودتين فى " الخالق " عز وجل ، أى أن له بداية ونهاية .

وقد عبر أحد " العلماء " عن هذا المعنى بقوله :

" صانع العالم أزلى الوجود ، قديم الذات لا مفتتح لوجوده ، ولا مبتدأ لثبوته، والدليل عليه أنه " تعالى " لو كان حادثا لشارك الحوادث فى الافتقار إلى مُحدِث ، ثم الكلام فى محدثه يترل مترلة الكلام فيه ويتسلسل القول ويؤدى ذلـــك إلى إثبـــات حوادث لا أول لها ، وقد سبق بطلان ذلك . " (١)

وإن " علماء الإسلام " قد بينوا أن هناك فرقا كبيرا بين الاسم والصفة كما هو حاصل بالنسبة للمخلوقات أو المصنوعات .

---

(١) راجع الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ٩٣ .

فهناك اسم للشئ ، وصفة أو صفات تميز الشئ عن غيره ، فالاسم يقبل الاشتراك اللفظى .

أما الصفة : فلا تقبل الاشتراك ، لأنها تميز الشئ عن باقى أفراده ، ولا يمنع اشتراكها كذلك .

وكما قسم " علماء الكلام " صفات " الله " تعالى إلى أربعة أقسام فكذلك الأمر بالنسبة لأسماء " الله " تعالى فقد قسموها إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم منها يشمل أسماء معينة لا تنطبق على غيرها :

فمنها : أسماء تتعلق بذاته " تعالى " .

ومنها : أسماء تتعلق بصفاته " تعالى " .

ومنها : أسماء مشتقة من أفعاله عز وجل .

وهذا التقسيم الثلاثى للأسماء الإلهية جاء فى بيان أحد الأئمة الإسلاميين من علماء الكلام الذى قال : مشيرا إلى المسائل الإلهية التى اتفق عليها " أهل السنة والجماعة " : -

" وقالوا : إن أسماء " الله " تعالى " على ثلاثة أقسام :

١ - قسم منها : يدل على " ذاته " كالواحد ، والغنى ، والأول ، والآخر ، الجليل ، والجميل ، وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه .

٢ - وقسم منها : يفيدصفاته " الأزلية " القائمة بذاته ، كالحى والقادر ، والعالم ، والمريد ، والسميع ، والبصير ، وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته .

وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل " الله " تعالى بهما موصوفا

وكلاهما من أوصافه الأزلية .

٣ - وقسم منها : مشتق من أفعاله ، كالخالق ، والرازق ، والعادل ، ونحوذلك.[١]

وبهذا فقد ثبت " لله " تعالى كل كمال ، واستحال عليه كل نقص ، ومن صفات الكمال اللائقة بذاته وصفاته وأفعاله صفتى " القدم " و " البقاء " وضدهما الحدوث ، والفناء ، أو الهلاك ، وهما مستحيلان فى حق " الله " تعالى ، ولكنهما واجبتان فى حق المخلوقات أو المصنوعات ، كما أن هناك فرقا بين صفات " الله " تعالى وأسمائه ، ولا يطلق عليه " تعالى " صفة أو إسما إلا بإذن من " الله " تعالى أو من رسول " الله " صلى الله عليه وسلم ، لأنها توقيفية ، كذلك هناك فرق كبير بين إطلاق صفة أو اسم على " الله " تعالى وإطلاقها على " المخلوق " ، وهذا ما أجمع عليه" السلف الصالح " وما تابعهم فيه من " الخلف " مخالفين بهذا سائر الطوائف أو المذاهب التى لم تلتزم بما جاء فى كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله " محمد " صلى الله عليه وسلم وأطلقت على " الله " تعالى أسماء وصفات لم يتَسَمَّ بها فى كتابه ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، رزقنا الله تعالى العمل بما جاء فى كتابه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ .

الفصل الثالث

تنزيه

الله تعالى

عن

صفات الحوادث

بعد بياننا للأدلة السمعية والبراهين العقلية الدالة على وجـــود " الله " تعـــالى ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص ، ومن بين الصفات الواجبة له " تعالى " صفتى " القدم " و " البقاء " ونفى أو سلب " الحــــدوث " و " الفناء " و " الهلاك " عنه " تعالى " لأنها من صفات المخلوقات أو المصنوعات ، وهـــو منزه عن صفات الحوادث والمخلوقات ، وفى هذا الفصل – بمشـــيئة الله وتوفيقـــه – نكمل ما بدأناه فى الفصل السابق فيما يتعلق بمسألة تنزيه " الله " تعالى وصفاته وأفعاله عن صفات وأفعال الحوادث أو المخلوقات .

فمن الأمور التى منزه " الله " تعالى عنها إطلاق هذه الألفاظ عليه : الجوهـــر و العرض و الجسم و الجهة ، والحيز ، والمكان ، والمثل والند ، والضد والنظير ، وما إلى ذلك ككونه " حالا فى شئ " أو يحل به شئ أو متحدا بشئ ، أو يتحد به شـــئ ، أو تحويه الجهات .

وقد تباينت المذاهب الإسلامية فى هذه المسألة الإلهية ، وانقســـموا إلى ثلاثـــة أقسام :

أولهمـــا : يذهب إلى جواز إطلاق هذه الألفاظ على " الله " تعالى .

وثانيهما : على النقيض من سابقهم ، أى يمنع مثل هذه الاطلاقات .

وثالثهما : نظر وفكر فى الأمر قبل أن يصدر حكما بالجواز أو المنع .

فقالوا : نعرض هذه الألفاظ أو هذه الإطلاقات على الشرع وذلك بوضعـــها فى ميزان الإسلام ، فإن وافق عليها قلنا : بالجواز . وإن منعها قلنا : بالمنع .

وكل مذهب أو مسلك من هذه المذاهب أو المسالك – الثلاث – كان هـــو السائد أو الغالب فى فترة من الزمن ، بل إن الاتجاهات الثلاثة لاتكاد تفقدها فى فـــترة واحدة ، أو عصر من العصور السالفة أو الحاضرة ، والغريب أن كل فريق من الفرق الثلاثة : يحاول أن يدعم مذهبه أو موقفه فى هذه المسألة الإلهية الهامة . بنصوص سمعية،

وأدلة عقلية كدليل على صحة موقفه .

ولو أرجعنا النظر مرة أخرى إلى المذاهب الثلاثة نجد أن أقربها إلى العقل والواقع هو المذهب أو الرأى الثالث لماذا ؟

لأنه لايقبل ولا يرفض إلا عن دليل أو برهان ، وليس لمجرد القبول والموافقة أوالرفض والمنع .

فالقياس الحقيقى فى هذه المسألة : هو ميزان الإسلام ، بل هو الميزان لكل مسألة إلهية تتعلق بذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله ، فأصحاب هذا الرأى هم أهل النظر والتدبر والتفكر ، وهم أولوا الألباب الذين مدحهم " الله " تعالى فى كتابه الكريم فى آيات كثيرة ، وهم الذين شرح " الله " تعالى صدورهم لفهم آيات " الله " تعالى وسنة " رسوله " صلى الله عليه وسلم ، من هذه الآيات التى تؤكد هذا .

١ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

٢ - وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

٣ - وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩٠ .

(٢) سورة الزمر آية : ٩

(٣) سورة الزمر آية : ٢١ ، ٢٢ .

وقد برهن " علماء الإسلام " : على أن " الله " تعالى منزه عن كل ما هو من صفات الحوادث أو المخلوقات وذلك فى إطار قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

وهذا أحدهم يبرهن على هذا عن طريق العقل المستنير بالنقل بقوله :

" وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات " (٢)

فهذا نص عقلى من النصوص الكلامية فى العقيدة الإسلامية يبرهن به صاحبه على مذهبه أو مسلكه وعقيدته فى " الله " تعالى وصفاته وأفعاله وقد نزهه عن كل ما فيه مشابهة أو مماثلة بينه وبين المخلوقات أو المصنوعات ، لأن هذه الأمور أو الصفات المذكورة من خصائص وصفات الحوادث ، فلو نظرنا إلى هذه الصفات نجد أنها تخص أو تناسب الشئ المجسم ، وكونه مجسما يعنى أنه مادى ، وكونه مادى يعنى أنه محسوس ، وكل محسوس يعنى أنه لم يكن محسوسا قبل هذا ، أى أنه كان معدوما ثم وجد ، ووجوده ليس من نفسه أو من ذاته ، وإلا لكان قد وجد قبل هذا فهو لم يوجد إلا من موجد آخر خارج عن دائرة الإمكان أو الجواز وأن الشئ المجسم أو ما هو جسم : له مكان وجهة معينة ، وله طول وعرض وعمق وارتفاع ، وله أعضاء وأدوات ، وكل هذه الأمور حادثة ومخلوقة وعارضة ، لاتحمل صفات الأزلية أو الذاتية ، وبقاؤها مؤقت بوقت معين ، ثم يعود إلى سيرته الأولى وهى العدم .

كذلك كل ما هو جسم يشار إليه كدليل على صغره وقلته ، وإمكانية الإحاطة به والتعرف على خصائصه وصفاته بسهولة لأنه محدد وفى جهة وحيز محددين وغير هذا مما هو من صفات الأجسام والأعراض ، ومن الأمور المعلومة لدى جميع العقلاء أن هذه الأمور وأمثالها منفية فى حق " لله " تعالى ، لأنه ليس كمثله شئ لافى

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) راجع ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨ .

ذاته ، ولا صفاته ، ولا أفعاله .

وقد قام أحد العلماء بتوضيح وشرح معانى هذا النص – السابق – والرد على المخالفين لمذهب " السلف الصالح " ومن تابعهم من " الخلف " فقال :

" والشيخ رحمه الله : أراد بهذا الكلام الرد على " المشبهة " كداوود الجواربى ، وأمثاله القائلين : أن " الله " جسم ، وأنه جثة وأعضاء وغير ذلك ، تعالى " الله " عما يقولون علوا كبيرا .

فالمعنى الذى أراده " الشيخ " رحمه الله من النفى الذى ذكره هنا حق ، لكن حدث بعده من أدخل فى عموم نفيه حقا وباطلا ، فيحتاج إلى بيان ذلك وهو أن " السلف " متفقون على أن البشر لا يعلمون " لله " حدا ، وأنهم لا يحدون شيئا من صفاته ، قال " أبو داود الطيالسى " : كان " سفيان " و " شعبة " و " حماد بن زيد " و " حماد بن سلمة " و " شريك " و " أبو عوانة " لا يحدون ، ولا يشبهون ، ولا يمثلون ، يروون الحديث ولا يقولون كيف ؟ وإذا سئلوا قالوا : بالأثر ؟ [1] .

وبهذا يتبين الفرق الكبير بين مذهب " السلف الصالح " ومن تابعهم من " الخلف " من جهة ومذهب " المشبهة " و " المعطلة " من جهة أخرى ، فمذهب " السلف " قائم على التفويض والتصديق ورد ما لا يعلمونه إلى ما يعلمه حق العلم وهو " الله " تعالى العليم الخبير مع إيمانهم أن " الله " جل جلاله متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن كل صفات النقص والحوادث ، وأنهم يؤمنون بكل ما ورد من أخبار إلهية ونبوية شريفة تتعلق بذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله بدون تشبيه أو تمثيل ، أو تكييف ، لأنه لا يعلم ذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله إلا " الله " تعالى لأن الإنسان مهما أوتى من علم ومعرفة فهو لا يخرج عن دائرة النقص والعجز والاحتياج إلى من يكمله ويعينه ويعطيه .

---

(١) ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (1) .

وإذا كان علماء الإسلام وأئمته قد برهنوا على " الله " تعالى عن الحدود ، والغايات ، و الجهات ، و الأركان ، و الأعضاء ، والأدوات وغيرها مما هو من صفات الحوادث والمخلوقات ، فقد أكدوا على تنزيهه " تعالى " عن الجسم والجسمية خاصة . وذلك كرد على المخالفين لمذهب " السلف الصالح " ومن تابعهم من الخلف القائلين : أن " الله " تعالى جسم وله أعضاء ، وفى جهة وحيز محددين غير مفرقين بين صفات " الخالق " تعالى ، وصفات " المخلوق " وقد انتشر هذا المذهب التشبيهى بين بعض الطوائف الإسلامية ، وذلك بسبب تيارات مذهبية متعددة تسللت إلى المجتمع الإسلامى والبيئة الإسلامية من خارجه ، أمثال بعض الطوائف اليهودية والمسيحية ، الذين يغلب عليهم الطابع المادى أو الحسى المجسم ، والإيمان بكل ما هو محسوس مشكل بصورة وهيئة خاصة ، والدليل على هذا جدالهم وعنادهم وطلبهم من نبيهم كليم " الله " تعالى سيدنا " موسى " عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم " إلها " مجسما يعبدونه ، ويطيعونه بعد ما مروا على قوم يعبدون أصناما من دون " الله " تعالى ، وهذا ما يوضحه " الله " تعالى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (2) .

---

(١) سورة فاطر آية : ١٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٨ - ١٤٠ .

وهذا أحد " أئمة الإسلام " يبرهن بالدليل العقلى : علـى تتريـه " الله " تعالى عن الجسم والجسمية وخصائصهما ، ويرد على المجسمة المخالفين لمذهب " أهل السنة والجماعة " فى هذه المسألة الإلهية بقوله :

" قال صاحب الكتاب : ثم يقال له أيما أشنع ، القول : بأن " الله " تعالى جسم لا يشبه الأجسام فى معانيها ولا فى أنفسها ، غير متناهى القدرة ، ولا محدود العلـم ، لا يلحقه نقص ، ولا يدخله تغيير ولا تستحيل منه الأفعال ، لا يزال قادرا عليـها ؟ أم القول : بأن " الله " تعالى شئ ليس بجسم متناهى القدرة والعلم ، وأن لما فى ملكـه وسلطانه آخر سيفعله ، فإذا فعله لم يخف عدوه منه ضررا ؟ " (1)

هذا فيما يتعلق بتصوير الإمام " الخياط " رحمـه الله لقـول " المجسـمة " أو " الرافضة " الذين يقولون : إن " الله " تعالى جسم لا يشبه الأجسام ، ولا يخفى علـى كل ذى لب سليم ، ما للجسم من صفات وخصائص تخالف فى معانيـها وذواتهـا صفات وخصائص ذات " الله " تعالى ، فكيف هؤلاء القوم يشبهون " الله " تعـالى ببعض مخلوقاته ؟

فهم وإن حاولوا تعليل قولهم — الفاسد والباطل — فلن يسـتطيعوا إلى ذلـك سبيلا ، ولأهم أولا وأخيرا " مشبِّهة " سواء كان تشبيها للذات الإلهية ، أو صفاتـه أو أفعاله ، وإذا كان حالهم هكذا فقد حقّت عليهم اللعنة والذلة وباءوا بغضب مـن " الله " والملائكة و " سلف " الأمة المحمدية و " خلفها " كذلـك ، وذلـك بسـبب مخالفتهم للنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، وإجماع " أهل الحق " مـن الأمـة المحمدية .

لهذا لم يترك الإمام " الخياط " هذا الملحد ومن على شاكلته إلا بعد بيان تهافت وفساد ما ذهب إليه ، فقال فى الرد عليه :

---

(1) الإمام الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد ص ١٦٧ .

" كيف يجوز للرافضة القول : بأن " الله " عز وجل جسم لا يشبه الأجسام فى معانيها ولا أنفسها ، مع القول بأن " الله " عز وجل جسم لا يشبه الأجسام فى معانيها ولا فى أنفسها مع القول بأنه يتحرك ويسكن ، ويدنوا ويبعد ، وأنه ذو صورة، وقدرة وهيئة ، وكيف لا يكون محدود العلم من علمه محدَث ؟ .

وهل يكون محدَث غير محدود ؟ وكيف لا يدخله تغيير وقد كان غير عالم ثم علم ؟

ولو أرادت " الرافضة " أن تزعم أن " ربها " تعالى محدَث يشبهها فى جميع المعانى ، ومن جميع الوجوه ، هل كانت تعدوا ما وصفته به ؟ تعالى الذى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) عما وصفه الجاهلون " . (٢)

ومن الأمور التى اتفق عليها " سلف الأمة " و " خلفها " " أن " الله " تعالى لا يقبل الحوادث ، وليس محلا للحوادث ، لأن الذى يقبل الحوادث ويكون محلا لها هو " المخلوق " أو " الحادث " أو " المصنوع " أما " الله " تعالى فهو " الخالق " و " الأزلى " و " الصانع " فكيف يكون محلا للحوادث وقابلا لها ؟

كذلك من يقبل الحوادث ويكون محلا للحوادث ، لا يخلو من أن يكون حادثا مثلها ، كما ثبت بالسمع والعقل ، أن " الله " تعالى متره عن مماثلة أو مشابهة الحوادث

ولهذا فقد برهن " علماء " الإسلام " : على أن " الله " تعالى متره عن كل ما هو من صفات الحوادث ومن بينها أنه ليس محلا للحوادث ، لأنها من صفات النقص الخاصة بالمخلوقات ، وهو متره عن كل ما هو من صفات " المخلوقات " .

ويقول أحد الأئمة موضحا مذهب"أهل السنة والجماعة"ومذهب من خالفهم :

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) الإمام الخياط : الانتصار والرد على إبن الرواند الملحد ص ١٦٧ .

" الرب سبحانه وتعالى : يتقدس عن قبول الحوادث ، واتفق على ذلك " أهل الملل والنحل " وخالف إجماع الأمة طائفة نبغوا فى سجستان لقبوا بالكرامية فزعموا : أن الحوادث تطرأ على ذات " البارى " – تعالى عن قولهم – وهذا نص مذهب " المجوس " .

والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات " البارى " تعالى : أنها لو قامت به، لم يخل عنها ، ومن لم يخل عن الحوادث حادث ، **وجملة القول فيه أن كل ما يدل** على الحوادث ، وعلى سمة النقص ، " فالرب " يتعالى ويتقدس عنه ، وأن " الرب " تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات ، والاتصاف بالمحاذاة ، لأنه لا تحيط به الأقطار ولا تكتنفه الأقتار ، ويجل عن قبول الحد والمقدار ، **والدليل على ذلك أن كل** مختص بجهة ، شاغل لها ، متحيز ، وكل متحيز ، قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها ، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق ، لا يخلو عنها ، وما لا يخلو عن الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر ، فإذا ثبت تقدس " البارى " عن التحيز ، والاختصاص بالجهات ، فيترتب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان ، وملاقاة أجرام وأجسام" [1]

ومع اتفاق وإجماع " أهل السنة والجماعة " على تتريه " الله " تعالى عن الجهة والحيز ، والجسمية ، وعن أن يكون فى مكان دون مكان ، فإننا نجد منهم من يثبت " لله " تعالى صفة العلو ، وأنه فى السماء كدليل على الرفعة والسمو اللائقان بذاته " تعالى" ، وربما يفهم البعض من هذا : أن فيه شبهة القول بالجهة أو الحيز أو ما إلى ذلك مما هو من خصائص الحوادث أو المخلوقات ، ولكن مذهبهم فى هذه المسألة ليس فيه هذه الشبهة لا من قريب أو بعيد لماذا ؟

---

(١) الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ١٠٧ – ١٠٩ باختصار .

لأنه قد ورد الكثير من النصوص السمعية – قرآن وسنة – تثبت ، وتؤكـد أن " الله " تعالى فى السماء دون الأرض ، وبمشيئة " الله " تعالى نذكر طرفا منها من باب الاطمئنان أو التوكيد .

وعلى الجانب الآخر نجد من يقول : أن " الله " تعالى ليس فى السماء ، كما ينكرون نزوله إلى الأرض نزولا يليق بذاته المقدسة ، وينكرون صعـوده إلى السـماء كذلك ، وإذا سئلوا عن سبب قولهم أو اعتقادهم هذا ؟ قالوا : إن مقصدنا تتريه ذات " الله " تعالى عن الجهة والمكان والحيز ، لأننا لو قلنا : أن " الله " تعالى فى السماء دون الأرض . فإن قولنا هذا يعتبر مشابها أو مماثلا بمن يقول بالمماثلـة أو المشـابهة بـين " الخالق" تعالى و " المخلوق " ، كما أننا لو قلنا : بأن " الله " تعالى فى السـماء دون الأرض يكون معناه أنه جسم ، لأن من خصائص الجسم . أن يكون فى مكـان و " الله " تعالى متره عن كل ما هو من خصائص الأجسام والحوادث .

والمتأمل فى هذا التعليل لمذهبهم فى هذه المسألة الإلهية : يجد أنه تعليلا فاسـدا ، ومخالفا لمنطوق النصوص " السمعية " ، وصريح البراهين العقلية ، لأنهم بهذا التعليـل يقيسون الأمور الإلهية بالأمور الإنسانية أو الحادثة بوجه عام .

ومعلوم لدى جميع " أهل الحق " فساد وبطلان من يقيس المسائل الإلهية المقدسة عن كل نقص ومشابهة ومماثلة بالمسائل المخلوقة العارضة والفانية ، وكمـا لعـن " المشبهة " الذين شبهوا " الله " تعالى ، وصفاته ، وأفعاله بمخلوقاته فكذلك الأمـر بالنسبة لهؤلاء " المعطلة " لأنهم ينفون أو ينكرون ما أثبته " الله " تعالى لنفسه فى قرآنه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أعني كونه فى السماء ، وأنـه يـترل إلى الأرض ، ويصعد إلى السماء ، كينونة ، ونزولا ، وصعودا يليق بذاته " تعالى " ، وقـد نسي هؤلاء – المعطلة – المنكرين لهذه الأمور أن القاضى العادل الحاكم بينهم وبـين " أهل السنة والجماعة " هو كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لم يوافقوا على هذا القاضى الفاصل بين"أهل الحق" و " أهل الباطل" وانساقوا

وراء عقولهم وأهوائهم وأقيستهم الفاسدة وهذا أحد العلماء : يصور مسألة علو " الله" تعالى ، وتباين المذاهب فيها بقوله :

" إن جهة العلو . أى أن " الله " فى أعلى ، وأن " الله " فى السماء . مشـــكلة شغلت أذهان المسلمين ، ولكن يبدوا أن المقاتلية – مقاتل بن ســــليمان وأتباعــه – أثاروها أولا ، فانبرى " جهم " لإنكارها ، يقول " أبو عاصم " أى " خشــيش " وأنكر " جهم " أن يكون " الله " فى السماء دون الأرض ، ويقول " الملطـــى " إن جهما أنكر أن " الله " بائن عن الخلق ، ولا غير بائن ، ولا فوقهم ولا تحتهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم ، هذا ما قاله الإمام " الملطى " فى نقله عـــن " جـــهم بـــن صفوان " زعيم فرقة الجهمية " .[1]

ونشير . إلى أن أحد العلماء قد التمس الأعذار لما ذهب إليه "جهم بن صفوان" فى هذه المسألة ، وهذا نص ما قاله فى دفاعه عنه ، ومحاولة تبرير فساد مذهبه فقال :

" وغاية " جهم " من الانكار ؟ أن يتره " الله " عن الجهة " .[2]

ويقول أيضا :

" إن جهما يريد أن يبين تهافت الفكرة القائلة : بأن " الله " فى السماء فيعترض – يقصد جهم – لم تقصرونه على السماء فقط ولا تضعونه فى الأرض أيضا " .[3]

ومن جهتى فإنى لا أوافق على التماس الأعذار لهذا " الجهم " من أحد العلماء الأفاضل . وذلك للأسباب التالية :

أولا : لأن مذهب " جمهور المسلمين " فى هذه المسألة الهامة أن " الله " تعـــالى فى السماء ، وذلك من باب التتريه والرفعة ، فكل ما هو له شأن ، أو رفعـــة ، يقال له: أنه عال ، أو فى أعلى ، أو أنه مرتفع ، ومعلوم أن " الله " تعالى ثبت

---

(١) د/ النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج١ ص ٣٤٨ .

(٢) نفس المرجع ج١ ص ٣٤٨ .

(٣) نفس المرجع ج١ ص ٣٤٨ .

له العلو ، والتعالى ، والرفعة ، كما أن قولهم أن " الله " تعالى فى السماء ، ليس من قبيل التقييد أو التخصيص لأنه فى الأرض وفى السماء وعند كل شئ فهو القائل فى قرآنه الكريم :

﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

ثانيا : لا أوافق على تعبيره الذى قال فيه " إن جهما يريد أن يبين تهافت الفكرة القائلة : بأن " الله " فى السماء " (٢) ، لأنه بهذا التعبير ضد ما ذهب إليه " جمهور أهل الحق " المستأنسين بالنصوص السمعية – التالية – الشاهدة بأن " الله " تعالى فى السماء .

ثالثا : أن يفهم من دفاعه عن " جهم بن صفوان " ومحاولة تبرير مذهبه الانتصار له على حساب مذهب " أهل الحق " ، وشتان ما بين مذهب " أهل الحق " ومذهب " جهم بن صفوان " ، هذا المذهب الذى كفّر فيه وبه مذهب " أهل الحق " بوجه عام فى هذه المسألة وغيرها من مسائل تتعلق بذات " الله " تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وإليك ما قاله الإمام " البغدادى " عن مذهب " الجهمية " وزعيمها " جهم بن صفوان " بالنص :

" الجهمية : أتباع " جهم بن صفوان " الذى قال : بالإجبار ، والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة " بالله " تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال : لا فعل ، ولا عمل لأحد غير " الله " تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى

---

(١) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٢) د/ النشار : نشأة الفكر الفلسفى ج١ ص ٣٤٨ .

المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين ، أو مستطيعين لما وصفنا به ، وزعم أيضا : أن علم " الله " تعالى حادث ، وامتنع من وصف " الله تعالى ، بأنه شئ ، أو حى ، أو عالم أو مريد ، وقال : لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشئ موجود ، وحى ، أو عالم ، أو مريد ، ونحو ذلك ، ووصفه بأنه قادر ، وموجود ، وفاعل ، وخالق ، ومحى ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال : بحدوث كلام " الله " تعالى كما قالته " القدرية " و لم يُسَمِّ " الله " متكلما به ، وأكفره " أصحابنا "فى جميع ضلالته ، وأكفرته " القدرية " فى قوله : بأن " الله " تعالى خالق أعمال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره" (1)

فهل يبقى بعد هذا حجة لأحد فى أن يلتمس الأعذار الواهية لصاحب مذهب " الجهمية " وزعيمها " جهم بن صفوان " بعد موقفه الحاقد والشرير تجاه مذهب " أهل السنة والجماعة " والمناصرين له فى كل زمان ومكان ؟

(1) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .

النصوص السمعية
الدالة على أن الله فى السماء

كما أشرنا فيما سبق : إلى أن هناك الكثير من النصوص السمعية الناطقة والشاهدة على أن " الله " تعالى فى السماء ، من هذه النصوص :

١ - قول الله تعالى : ﴿ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلي يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ (٢) .

٣ - قول الله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (٣) .

٤ - قول الله تعالى : ﴿ من كان ير يد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٤)

٥ - عن البراء بن عازب قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون " الله " أن يصعد بروحه قبلهم ، فإذا عرج بروحه قالوا : ربنا عبدك فلان ، فيقول : إرجعوه ، فإنى عهدت إليهم أن " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " (٥) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١٥٨ .

(٣) سورة السجدة آية : ٥ .

(٤) سورة فاطر آية : ١٠ .

(٥) الحديث : صحيح ورد فى أحكام الجنائز .

العقـــل
وتنزيه ذات الله تعالى عن كل نقص

هذا والدليل العقلى لا يختلف مع النصوص السمعية الشاهدة على تنزيـــه ذات " الله " تعالى عن كل ما لا يليق بذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وكيف يختلف معه ، وهو من خلق " الله " تعالى وصنعه ، الذى خلق كل شئ فأحسن صنعه وتدبيره ؟

هذا العقل ما دام لم يتسلل إليه سموم المذاهب والتيارات الإلحادية والماديـــة ، فيظل على سلامته ، وفطرته ، وصفائه ، وعندئذ لم يجد أى عائق أو حائل بينه وبـــين النظر والتدبر والتفكر فى ملكوت السموات والأرض لكى يشاهد بنفسه الآيـــات والآثار الدالة على عظمة " الله " تعالى ، وتنزيهه عن كل ما [illegible] من صفات الحوادث ، وربما يسأل سائل ويقول : لماذا يمنع مذهب " أهل السنة والجماعة " إطـــلاق هـــذه الألفاظ — الجسم ، والجوهر والعرض ، الجهة ، والحيز وما إلى ذلك — علـــى ذات " الله " تعالى ؟

والإجابة على هذا : أن سبب المنع الالتزام بما ورد فى القرآن الكـــريم والســـنة النبوية الصحيحة ، وإجماع جمهور " أهل الحق " من " السلف " و " الخلف " ولكـــى لا يفهم أو يعتقد أى مشابهة أو مماثلة بين ذات " الخالق " تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، والمخلوقات أو الحوادث ، ولأنه قد ثبت بالنصوص الســـمعية ، والـــبراهين العقليـــة السليمة أن " الله " تعالى ليس له مثل ، ولا شبيه ، ولا ند ، ولا ضد سواء كـــان " ذاتا ، أو صفة ، أو فعلا ، أو إسما " وقد أجمع " أهل الحق " على ذلك ، مخالفين هـــذا جميع المذاهب سواء كانوا من " المشبهة " أو " المعطلة " أو " الملاحدة " أو غـــيرهم ، وها هو أحد أئمة الإسلام الذين عرفوا هذا وقدروا " الله " تعالى حق قدره ، مبرهنـــا على هذا بالعقل المهتدى " بالنقل " ومدافعا عن الإسلام وشريعته بقوله :

" وأنه " تعالى " ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه لا يماثـــل

الأجسام فى التقدير ، ولا فى قبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ، ولا تحله الأعراض ، بل لا يماثل موجودا ، ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شئ ، ولا هو مثل شئ ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ، ولا السموات ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن من خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض " . (١)

ولو حاولنا أن نذكر البراهين العقلية الدالة على تنزيه ذات " الله " وصفاته وأفعاله عن كل ما هو من صفات وخصائص الحوادث أو المخلوقات ، ما انتهينا من ذلك قبل وقت طويل ، ولكن نشير : إلى أن سائر البراهين العقلية ترتكز على شئ واحد أساسى وهو ، أن " الله " تعالى لا يشبه شئ ، ولا يشبهه شئ من مخلوقاته ، ولا يماثله شئ ، ولا يماثل شئ من مخلوقاته ، وهذا ما نطقت به النصوص السمعية ، وما أجمع عليه جمهور " أهل الحق " وتابعهم فيه خلف " الأمة المحمدية " ، فهذا واحد من " أئمة الإسلام " قد ذكر : تسعة عشر حجة " سمعية " و " عقلية " تؤكد وتشهد على أن " الله " تعالى منزه عن :

١ - الجسم والجسمية وخصائصهما .

٢ - التحيز . ٣ - المثل . ٤ - الجهة .

٥ - الجوهر . ٦ - الصورة . ٧ - المقدار .

٨ - الشكل . ٩ - المكان . ١٠ - الزمان .

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج ٤ ص ١٤٨ ، ١٤٩ باختصار .

وغيرها من أمور وخصائص الموجودات المخلوقة أو الحادثة .[1]

وبهذا يتأكد الفرق الكبير بين مذهب " أهل السنة والجماعة " فى " الله " تعالى وصفاته ، وأفعاله من جهة ، ومذهب من خالفهم من " المشبهة " و " المعطلة " و " الملاحدة " ومن على شاكلتهم من جهة أخرى .

فأولهما : يتمسك بمنطوق ومفهوم النصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية ، فاهتدوا وهدوا .

وثانيهما : نسوا أو تناسوا هذا ، وتمسكوا بأهوائهم وبدعهم الفاسدة فضلوا وأضلوا والعياذ بالله تعالى .

---

(١) راجع الإمام فخر الدين الرازى : أساس التقديس ص ٣٢ - ٤٧ .

الباب الثانى

صفات الله تعالى

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : صفات المعانى

الفصل الثانى : قدم الصفات الإلهية

الفصل الثالث : موقف السلف والخلف من الصفات الموهمة للتشبيه

الفصل الأول

صفات المعانى

بينا فى " الباب الأول " الأدلة السمعية ، والبراهين العقلية الناطقة والشاهدة والمؤكدة على وجود " الله " تعالى ، ووحدانيته ، واتصافه بكل كمال ، وتنزيهه عن كل نقص مما هو من صفات الحوادث والمخلوقات .

وفى هذا الباب — بمشيئة الله وتوفيقه — نبين صفات " الله " تعالى التى ثبتت له فى كتابه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بين الصفات التى اتصف " الله " تعالى بها :

١ - القدرة . ٢ - الإرادة . ٣ - السمع . ٤ - السمع .

٥ - البصر . ٦ - الكلام . ٧ - الحياة .

فهذه سبع صفات ثبتت " لله " تعالى بالنقل والعقل ، تسمى بصفات المعانى ، وقد اتفق " أهل السنة والجماعة " على ثبوتها " لله " تعالى . ولا ينكرها إلا كل كاذب كفار ، لأن إنكار الصفة أو الصفات : إنكار للموصوف ، كذلك اتفقوا : على أنه لا مماثلة ولا مشابهة بين صفات " الخالق " تعالى و " المخلوق " إلا فى التسمية فقط ،

أما المعنى فإنه يختلف تماما ما بين " الخالق " تعالى ، و " المخلوق " .

بمعنى : أن " لله " تعالى قدرة ، وإرادة ، وعلم ... الخ .

كذلك للمخلوق . هذه الصفات ، ولكن فرق كبير بين معناها عند " الخالق " تعالى ، ومعناها عند " المخلوق " .

ونشير إلى أن هناك من الطوائف والمذاهب الكلامية من أنكر كون " لله " تعالى صفات خاصة به ، فهناك من أنكرها كلية ومن أنكر بعضها لماذا ؟

لأنهم زعموا أن كثرة " الصفات " توجب كثرة فى " الذات " ، وبمعنى آخر قالوا : إن تعدد " الصفات " يلزم منه تعدد فى " الذات " فلهذا نفينا عن " الله " تعالى

الصفات لئلا يلزم منه تعددا أو كثرة فى الذات الإلهية .

هذا هو تعليلهم الذى استندوا إليه أو عليه فى نفى الصفات الإلهية عن " الله " تعالى .

ولا يخفى على كل ذى لب سليم : مدى تهافت وفساد هذا التعليل لماذا ؟

لأنه مخالف للنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية ، وإجماع جمهور " أهل السنة والجماعة " ومن تابعهم من " خلف الأمة المحمدية " بالإضافة إلى أنه مخالف للواقع والحقيقة ، لأن الواقع يقول : أن المتصف بالقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والحياة ، أكمل مما هو متصف باضدادها ، فكيف يقول هؤلاء — المنكرون للصفات — ويزعمون أن كثرة أو تعدد الصفات يلزم منه تعدد فى " الذات " ؟

فالذين يزعمون هذا لا يفهمون الفرق بين " الذات " و " الصفات " لأنه يوجد تباين كبير بين مفهوم " الذات " و " الصفة " من الناحية اللغوية اللفظية ، ومن الناحية الاصطلاحية الشرعية ، ولأن " الذات " لها استقلاليتها ومعانيها ، و " الصفات " كذلك ، وأن كثرة " الصفات " لا توجب كثرة فى " الذات " كما يزعم هؤلاء الساقطون الجاهلون .

فلو قلنا : إن شخصا ما متصفا بالأدب ، والعلم ، والذكاء والصدق والأمانة وغيرها من صفات حميدة ، فهل اتصافه بهذه الصفات ، يعطى لإنسان الحق فى أن يقول : أن هذا الشخص متعدد الذوات ؟

لا يقول بهذا القول إلا كل من يوجد عنده خلل عقلى ، لأن التعدد — الحاصل هنا — فى " الصفات " لا فى " الذات " أى الشخص ، فهل بقى شك فى جهل وجهالة هؤلاء المنكرين للصفات الإلهية الثابتة بالنصوص السمعية ، وصريح العقول الإنسانية السليمة ؟

وكما أشرنا إلى أن " الله " تعالى متصفا بهذه الصفات — السبع — الإلهية وسميت بصفات المعانى ، وكذلك سميت صفات ذاتية ، ووجودية .

ومعنى كونها صفات معانى ؟ أن لكل صفة منها معنى وجودى قائم بذات " الله " تعالى ، ومعنى كونها صفات ذاتية ؟ أنها لا تنفك عن " الذات " ، ومعنى كونها صفات وجودية ؟ أنها متحققة باعتبار نفسها . (١)

وهذا بيان لمعنى الصفات الإلهية : التى كانت ومازالت موضع خلاف بين الفرق الكلامية الإسلامية ، ليحى من حىّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .

١ - القـــــدرة :

ونبدأ بصفة القدرة ، وقد عرفها " علماء الكلام " بأنها : صفة أزلية ، ثابتة " لله " تعالى قائمة بذاته ، يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة الإلهية ، وضد " القدرة " العجز . (٢)

النصوص السمعية وصفة القدرة :

وقد وردت نصوص سمعية كثيرة تشهد وتؤكد على اتصاف " الله " تعالى بصفة القدرة ، من هذه النصوص :

١ - قول الله تعالى : **﴿ إن الله على كل شيء قدير﴾** (٣)

٢ - قول الله تعالى : **﴿ لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾** (٤)

٣ - قول الله تعالى : **﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾** (٤)

---

(١) الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ٧٢ بتصرف ، عبد الكريم مدرس : الوسيلة ص ٤٩١ .

(٢) الإمام أحمد الدردير : شرح الخريدة البهية ص ٧٨ بتصرف .

(٣) سورة البقرة آية : ١٠٩ .

(٤) سورة المائدة آية : ١٢٠ .

العقـــل وصفـــة القـــدرة

كما ثبتت صفة القدرة " لله " تعالى بالنصوص السمعية بحيث لا ينكرهـا إلا كل كاذب كفار ، فكذلك الأمر بالنسبة للعقل قد أثبت " لله " تعالى ما أثبته لذاتـه ، ونفى عنه ما نفاه عن ذاته " تعالى " ، فمن الصفات التى أثبتها لذاته صفة القدرة ، التى قال " العقل " فيها :

١ - إن " الله " تعالى لو لم يتصف بها ؟ لا تصف بضدها وهو العجز ، ولو كان " الله " تعالى عاجزا لما وجد شئ من الحوادث أو الموجودات المتقنـــة الصنـــع وعدم وجود شئ من الحوادث المتقنة الصنع والإبداع باطل بالمشاهدة ، فثبت " لله " تعالى صفة القدرة .

٢ - إن " الله " تعالى لو كان عاجزا ، لكان ناقصا ، ولكن النقص محال علـى " الله " تعالى لأنه من صفات الحوادث ، فثبت له صفة القدرة .

٣ - إن " الله " تعالى لو كان ناقصا ؟ لاحتاج إلى ما يكمله ، ولكن احتياجـــه " تعالى " إلى غيره باطل وفاسد ومحال ، لأن المحتاج إليه يحتـــاج إلى آخـــر ، والآخر يحتاج إلى آخر وهكذا ، فيلزم الدور والتسلسل ، وهما باطلان ، فثبـت " لله " تعالى صفة القدرة ، واستحال عليه العجز . [١]

ونشير إلى أن صفة " القدرة " الإلهية لا تتعلق إلا بالممكنات فقط ، ولا تتعلق بالواجبات والمستحيلات ، أى أنها لا تؤثر إلا فى الممكنات ، والممكن — عند علمـــاء الكلام — ما يقبل الوجود والعدم ، أى أن درجة وجوده ، متساوية مع درجة عدمه ، ولا يترجح أحدهما على الآخر ، إلا بمرجح من خارجهما ، وهذا المرجح هـــو " الله " تعالى ، الذى أوجد الممكنات من العدم إلى الوجود [٢] ، هذا فيما يتعلق بمعنى صفة "

---

(١) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٨١ بتصرف .

(٢) الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ٨٥ بتصرف ، الإمام البيجورى : شرح البيجـورى على الجوهرة ج١ ص ٥٨ .

القدرة " الإلهية ، وثبوتها بالنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية .

فهل النصوص السمعية هذه قابلة للتأويل وصرفها على غير معناها ؟

أم من ينكر صفات " الله " تعالى أو بعضها ، يكون – بلا شك – مكذبا بكلام " الله " تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ، ويكون مخالفا لإجماع " أهل الحق " الذين أجمعوا على ثبوت صفات المعاني " لله " تعالى ، ومن بينها صفة " القدرة " واستحال عليه ضدها وهو " العجز " .

٢ - الإرادة:

وصفة الإرادة من صفات المعاني الثابتة " لله " تعالى ، بالنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية ، وقد عرفها " علماء الكلام " بأنها : صفة أزلية قائمة بذات " الله " تعالى تخصص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من وجود أو عدم ، ومقدار وزمان ومكان وجهة ، وضد " الإرادة " الإكراه . [١]

النصوص السمعية ، وصفة الإرادة :

كذلك وردت نصوص سمعية كثيرة ناطقة وشاهدة ومؤكدة على ثبوت صفة " الإرادة " لله تعالى ، من بينها :-

١ - قول الله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ [٢] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ [٣]

٣ - قول الله تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾ [٤]

٤ - قول الله تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ [١]

---

(١) د/ سعيد البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٠٠ بتصرف .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٣) سورة النحل آية : ٤٠ .

(٤) سورة يس آية : ٨٢ .

العقل وصفة الإرادة :

كذلك " العقل " - أثبتها " لله " تعالى بالبراهين الصحيحة المستنيرة بالنصوص السمعية ، فقال :

١ - إن الذى خلق هذا العالم ، وأتقن صنعه ، واحد أحد ، فرد صمد ، لا مولود له ولا ولد ، وقد خلقه بإرادته ، وحكمته ، ومن كان هذه صفته فيثبت أنه مريد.

٢ - إن " الله " تعالى لو لم يكن مريدا ؟ لكان مكرها ، ولو كان مكرها ؟ لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا ؟ لما وجد شئ من الموجودات ، أو المخلوقات ، ولكن عدم وجود شئ منها باطل بالمشاهدة ، فثبت أن " الله " تعالى مريد لا مكره .

٣ - لو كان " الله " تعالى مكرها ؟ لما اتصف بالقدرة ، لأن تعلق القدرة متوقف على تعلق الإرادة ، وقد ثبت " لله " تعالى صفة " القدرة " اعتمادا على النصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، فكذلك يثبت أن " الله " تعالى مريد لا مكره . (٢)

وعلى هذا لا يبقى أى شبهة للمنكرين لصفات " الله " تعالى ، بعد ثبوتها بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، التى لا تحتمل التأويل ، وصرفها عن غير معناها ومضمونها ، فهى صريحة ظاهرة لكل من له قلب وعقل سليم من سموم المذاهب والتيارات الإلحادية المعادية للإسلام ، وكل ما هو إسلامى .

ونشير إلى أن صفة " الإرادة " الإلهية ، لا تتعلق إلا بالممكنات فقط ، دون الواجبات والمستحيلات ، مثلها فى ذلك مثل صفة " القدرة " .

---

(١) سورة البروج آية : ١٦ .

(٢) الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ٩٤ بتصرف ، الإمام البيجورى : شرح البيجورى على الجوهرة ج١ ص ٦٠ .

كما أن تعلق صفة " الإرادة " تعلق تنجيزى قديم ، وأن بعض " المتكلمين " يعبر عن صفة " الإرادة " بالمشيئة ، وذلك فى بعض الأحيان ، وأن صفة " الإرادة " لا تستلزم الرضا ، فهناك فرق بين الاثنين ــ الإرادة والرضا ــ فى اللفظ والمعنى .(١)

٣+ ٤ السمع والبصر

وقد ثبت " لله " تعالى صفتى " السمع والبصر " بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، بحيث لا ينكرهما إلا كل كاذب كفار ، وقد عرف " علماء الكلام " صفة " السمع " بأنها : صفة أزلية ، قائمة بذات " الله " تعالى ، تتعلق بالمسموعات ، أو الموجودات، فتدرك إدراكا تاما لا عند طريق التوهم والتخيل ، ولا عن طريق تأثير حاسة ، ووصول هواء .

أما صفة البصر ، فقد عرفوها بأنها : صفة أزلية ، قائمة بذات " الله " تعالى تتعلق بالمبصرات ، أو الموجودات ، فتدرك إدراكا تاما لا عن طريق التخيل والتوهم ، ولا عن طريق تأثير حاسة ووصول شعاع .(٢)

وعلى هذا : فإن صفتى " السمع ، و " البصر " من الصفات الإلهية التى تنكشف بهما المسموعات والمرئيات بدون آلة ، وذلك خلافا لمسموعات ومبصرات المخلوقات أو الحوادث التى تكون بواسطة آلة ، وهذا هو الفرق بين صفات " الله " تعالى ، وصفات غيره من المصنوعات .

---

(١) الأستاذ إبن أبى العز : شرح العقيدة ص ٢١٥ وما بعدها بتصرف ، الأستاذ السيد سابق : العقائد الإسلامية ص ٦٦ .

(٢) الإمام عبد السلام اللقانى : شرح جوهرة التوحيد " إتحاف المريد " ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، د/ سعيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٠١ ، ١٠٣ .

النصوص السمعية ، وصفتي السمع والبصر

وكما ثبت " لله " تعالى صفتي " القدرة " و " الإرادة " عن طريق النصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، فكذلك الأمر بالنسبة لصفتي " السمع والبصر " التي وردت بشأنها كثيرا من النصوص السمعية الشاهدة والناطقة والمؤكدة على ثبوتهما " لله " تعالى ، من بين هذه النصوص السمعية :

١ - قول الله تعالى : ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى : ﴿ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير ﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٣)

العقل ، وصفتي السمع والبصر :

وكما توافق " العقل " مع " النقل " في تأكيد ثبوت صفتي " القدرة والإرادة "، لله تعالى ، فكذلك الأمر بالنسبة لصفتي " السمع والبصر " فقال :

١ - إن " السمع " و " البصر " صفتي كمال ، واتصاف " المخلوق " بهما من الكمالات ، وعلى هذا فإن " الله " تعالى هو الأحق بالكمال من "المخلوق" لذا فهما ثابتان له تعالى .

٢ - لو لم يتصف " الله " تعالى بهما لا تصف بضدهما وهما " الصمم " و " العمى " ولكن ثبت أنه متصف بالسمع والبصر ، واستحال عليه ضدهما، لأنهما

---

(١) سورة الحج آية : ٧٥ ، سورة لقمان آية : ٢٨ .

(٢) سورة غافر آية : ٢٠ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

– الصم والعمى – نقص ، والنقص محال على " الله " تعالى .

٣ – لو كان " الله " تعالى متصفا بالصمم والعمى لاحتاج إلى من يكمله ، والمحتاج إليه يحتاج إلى آخر ، وهذا الآخر يحتاج إلى آخر وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وهما فاسدان وباطلان ، فثبت أن " الله " متصف بالسمع والبصر ، واستحال عليه ضدهما ، لأنهما من صفات الحوادث أو المخلوقات .

ونشير إلى أن بعض " المتكلمين " ذهب إلى أن صفتى " السمع " و " البصر " تتعلقان بجميع الموجودات تعلقا زائدا على صفة العلم وبعضهم : ذهب إلى أن صفة " السمع " تتعلق بالمسموعات ، وصفة " البصر " تتعلق بالمبصرات ، وعلى هذا : فهما لا تتعلقان بكل الموجودات ، وإلا كانتا من قبيل الموجودات ، كذلك لا تعلق لهما بالمعدومات ، وهذا ما اتفق عليه " علماء الكلام " . [١]

وفى مقابل اتفاق " أهل السنة والجماعة " على ثبوت صفات المعانى " لله " تعالى ومن بينها صفتى " السمع " و " البصر " ، فقد أنكرت بعض الطوائف المذهبية هذا مخالفين النصوص السمعية ، والبراهين العقلية الشاهدة والناطقة والمؤكدة ثبوتهما " لله " تعالى ، لذا قال أحد أئمة الإسلام وعلماء الكلام مشيرا إلى هذا بقوله : وأنكر جهم بن صفوان – أن يكون " لله " تعالى سمع وبصر ، وقد أخبرنا " الله " عز وجل فى كتابه ، ووصف نفسه فى كتابه قال " الله " تعالى : ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ [٢] ، ثم أخبر عن خلقه فقال عز وجل : ﴿ **فجعلناه سميعا بصيرا**﴾ [٣] . فهذه صفة من صفات " الله " تعالى أخبرنا أنها فى خلقه ، غير أنا لا نقول " أن سمعه كسمع الآدميين ، ولا بصره كأبصارهم " . [٤]

---

(١) د/ سعيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٨ ، ١٤٠ بتصرف .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

(٣) سورة الإنسان آية : ٢ .

(٤) الإمام الملطى : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٢١ .

فهذه هى النصوص السمعية ، والبراهين العقلية الناطقة والشاهدة والمؤكدة على ثبوت صفتى " السمع " و " البصر " للذات الإلهية ، فهل هى قابلة للتأويل وصرفها عن غير معناها وظاهرها ؟

وكيف ينكر المنكرون اتصاف " الله " تعالى بهذه الصفات ؟ مع أنهم يثبتونها للمخلوقات ويقرون بأن خلو المخلوق أو الحادث عنها من النقائص ، إن مذهبهم فى هذه المسألة الإلهية لغريب وعجيب حقا ، بالإضافة إلى مخالفته للنصوص السمعية والبراهين العقلية ، وإجماع سلف الأمة ، وخلفها .

٤ - العلم :

كذلك ثبت " لله " تعالى " صفة العلم ، وذلك عن طريق النصوص السمعية والبراهين العقلية ، بحيث لا ينكر ذلك إلا كل كاذب كفار ، لأنه ليس بعد كتاب " الله " تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليل أو حجة إلا اتباع الهوى ، والسير وراء الأوهام والخرافات المذهبية التى لا سند ولا دليل عليها .

وقد عرّف " علماء الكلام " صفة " العلم " بأنها : صفة أزلية ، قائمة بذات " الله " تعالى ، تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها ، وضد " العلم " الجهل وما فى معناه كالسهو ، والنسيان ، والغفلة ، والشك ، والوهم ، والظن . (١)

---

(١) الإمام التفتازانى : شرح العقائد النفسية ص ٧٥ بتصرف ، الإمام الطائى : رسالة فى التوحيد ص ٤٨ .

النصوص السمعية ، وصفة العلم

وقد وردت نصوص سمعية كثيرة شاهدة وناطقة ومؤكدة على ثبوت صفة " العلم " لله تعالى ، من هذه النصوص :

١ - قول الله تعالى : ﴿ **وهو بكل شيء عليم** ﴾ (١) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ **إنك أنت علام الغيوب** ﴾ (٢) .

٣ - قول الله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ (٣)

٤ - قول الله تعالى : ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾ (٤)

فهذه هي بعض النصوص السمعية التي تؤكد وتشهد على ثبوت صفة العلم لله تعالى وترد على المنكرين للصفات الإلهية بوجه عام وصفة العلم بوجه خاص ، فهل هذه النصوص السمعية من الآيات المتشابهات التي تحتمل التأويل وصرفها عن ظاهرها ؟

أم أن هؤلاء الذين ينكرون صفات " الله " تعالى لا يؤمنون بالآيات بوجه عام ، سواء كانت محكمة أو متشابهة ؟

وهذا الاحتمال — الأخير — هو الراجح في نظرى . لأنهم لو كانوا يؤمنون بآيات " الله " تعالى " كما يؤمن بها " سلف الأمة " و " خلفها " لكانوا قد آمنوا بصفات " الله " تعالى ، وبجميع أخباره التي وردت في قرآنه الكريم وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٩ .

(٢) سورة المائدة جزء من الآيتان : ١٠٩ ، ١١٦ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

(٤) سورة لقمان آية : ٢٣ .

العقل ، وصفة العلم

وكما توافق " العقل " مع " النقل " فى إثبات صفات القدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر " لله " تعالى ، فكذلك الأمر بالنسبة لصفة " العلم " الإلهى الذى برهن " العقل " على ثبوته " لله " تعالى مهتديا بالنصوص السمعية الواردة بهذا الشأن فقال :-

١ - كل من نظر فى الآفاق ، والأنفس علم أن " الله " تعالى ، فاعل فعلا محكما متقنا ، ومن كان هذا صفته ؟ ثبت أنه " عالم " ولأن من شاهد خطا حسنا ، يدل على معان دقيقة . علم — بالضرورة – أن كاتبه " عالما " .

٢ - لو لم يتصف " الله " تعالى بصفة " العلم " ؟ لاتصف بضده وهو " الجهل " واتصافه بالجهل محال بالمشاهدة ، وذلك لوجود هذا العالم ، وما فيه من دقة ونظام ، وإحكام ، فلابد أن يكون وراء هذه الأمور " عالم خبير .

٣ - لو كان " الله " تعالى جاهلا لكان ناقصا ، ولكن النقص من صفات الحوادث أو المخلوقات ، وليس من صفات " الله " تعالى ، فثبت أن " الله " تعالى " عالم " .

٤ - لو كان " الله " تعالى ناقصا ؟ لاحتاج إلى من يكمله ، ومكمله إلى آخر ، وهكذا ، فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما باطل وفاسد ، فثبت أن " الله " تعالى " عالم " .[1]

ونشير إلى أن صفة " العلم " الإلهى ، تتعلق بجميع المفهومات ، سواء كانت وجودية ، أو عدمية ، أى أن علم " الله " تعالى يتعلق بالممكنات ، والواجبات ،

---

(١) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٧٨ بتصرف ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص٨٧ .

والمستحيلات ، فهو " تعالى " يعلم جميع الأشياء ، صغيرها وكبيرها ، ما وجد منها ، وما لم يوجد ، لأنه لا يعزب عن علمه شئ فى الأرض ، ولا فى السماء وأن تعلق العلم الإلهى تنجيزى قديم ، بمعنى أنه تعالى عالم بالأشياء أزلا على ما هى عليه ، ولا فرق عنده بين ماض ، وحاضر ، ومستقبل ، لأن هذه أطوار لا توجب تغيرا فى تعلق العلم، وليس للعلم تعلق صلوحى ، وإلا لزم الجهل ، كما أن علم " الله " تعالى يختلف عن علم المخلوقات ، لأنه " تعالى " يعلم الأشياء قبل وجودها على الحالة التى وجدت عليها .[1]

وفى ختام بياننا لصفة العلم الإلهى . لابد من لفت الأنظار إلى أن علم " الله " تعالى ليس من جنس علم المخلوقات والحوادث ، أو المصنوعات ، وذلك لعدة أمور منها :

أولا : إن علم " الله " تعالى لا يكون بواسطة آلة ، أو حاسة . أما علم المخلوقات : فعلى العكس من هذا لأنه يكون بآلة أو بحاسة .

ثانيا : إن علم " الله " تعالى أزلى وقديم ، أما علم " المخلوقات " فحادث .

ثالثا : إن علم " الله " تعالى ثابت لا يتغير بتغير الأطوار أو الأحوال أو المعلومات ، أما علم " المخلوقات " فعلى العكس من هذا ، لأنه علم متغير ، وغير مستقر ويتغير بتغير المعلوم .

رابعا : علم " الله " تعالى ، لا يتغير بتغير الأزمان ، من ماض وحاضر ، ومستقبل ، لأنه هو الذى خلق الزمان ، لهذا فهو فوق الزمان ، أما علم " المخلوقات " فعلى العكس من ذلك ، لأنه متقيد بالزمن ويجرى عليه

(١) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٨٨ بتصرف ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ٩٠ ، إبن أبى شريف القدسى : المسامرة بشرح المسايرة ص ٦٠ ، ٦١ .

تغير الزمان ، فيوصف بالماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

خامسا : علم " الله " تعالى باق ودائم ومستمر إلى ما لا نهاية . أما علم " المخلوقات" فعلى العكس ، فهو علم عارض ، له بداية وله نهاية ، بل له فترة صلاحية كسائر الآلات المصنوعة ، ثم يتوقف بعدها عن ممارسة نشاطه حتى ولو كان صاحبه حيا يرزق .

سادسا : علم " الله " تعالى . علم كلى شمولى ، لا فرق عنده بين صغير ، وكبير ، غائب أو حاضر ، فهو " تعالى " يعلم كل شئ فى الأرض ، أو تحت الأرض فى السماء ، أو ما بين السماء والأرض ؟

أما علم " المخلوقات " . فعلى العكس من هذا ، فهو علم جزئى ، متوقف على عوامل كثيرة ، منها أن الشئ المعلوم لابد أن يكون قد وقع بالفعل ، أو يكون مشاهدا ، وصدق " الله " العظيم فى قرآنه الكريم : مؤكدا الفرق بين علمه " تعالى " وعلم " المخلوقات " ، ومبينا تهافت وفساد من ينكرون صفاته ، أو بعض صفاته وفاضحا ومكذبا من يزعم أن " الله " تعالى لا يعلم إلا الأمور الكلية ، أما الأمور الجزئية فإنه لا يعلمها ، أو إن علمها ؟ فهو يعلمها بعلم كلى لا تفصيلى ، تعالى " الله " عما يقولون علوا كبيرا .

وخاب وخسر من قال ويقول هذا : من " بعض الفلاسفة " ومن حذا حذوهم قال " الله " تعالى مؤكدا على شمول علمه وإحاطته بكل شئ :

١ - ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ [(١)]

٢ - ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [(٢)]

---

(١) سورة غافر آية : ١٩ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢٢ .

٣ - ﴿ ألم ترى أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولد أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ (١)

٤ - ﴿ يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ (٢)

٥ - ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣)

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الشاهدة والناطقة على ثبوت صفة العلم " لله " تعالى ، بحيث لا ينكرها إلا كل كاذب كفار .

٦ - الحياة :

وهذه صفة أخرى من صفات " الله " تعالى المسماة بصفات المعاني وقدثبتت " لله " تعالى بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، وذلك كغيرها من الصفات الإلهية التي صح ثبوتها له عز وجل ، وقد عرفت صفة " الحياة " بأنها : صفة أزلية ، قائمة بذات " الله " تعالى ، توجب صحة العلم والإرادة ، وباقى صفات المعاني والمعنوية ، وحياة " الله " تعالى تختلف عن حياة الحوادث ، لأن حياته : بلا روح ، بخلاف حياة المخلوقات التي يكون لها روح وضد الحياة " الموت " . (٤)

---

(١) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٢) سورة التغابن آية : ٤ .

(٣) سورة الملك آية : ١٤ .

(٤) الإمام شريف الجرجاني :شرح المواقف ص ٤٩٦ ، العلامة الصاوى : حاشية على شرح الخريدة ص ٧٨ .

النصوص السمعية ، وصفة الحياة :

وقد وردت نصوص سمعية كثيرة : ناطقة وشاهدة ومؤكدة ثبوت صفة الحيـــاة لله تعالى ، بحيث لا يبق هناك أى شبهة لمنكر أو جاحد ، من هذه النصوص : -

١ - قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَـــا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١)

٢ -قول الله تعالى : ﴿ الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) .

٣ -قول الله تعالى :﴿وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(٣)

٤ -قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْـــدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)

فهذه بعض النصوص السمعية التى تثبت أن " الله " تعالى حى قيوم ، فـــهل فيها أى شبهة أو احتمال للتأويل كما يزعم المنكرون للصفات الإلهية ؟

العقل ، وصفة الحياة :

وكما توافق " العقل " مع " النقل " فى التأكيد والشهادة على ثبوت القـــدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والعلم للذات الإلهية ، فكذلك الأمر بالنسبة لصفـــة " الحياة " ، فقد برهن على ثبوتها " لله " تعالى مهتديا بالنصوص السمعية الواردة بهـــذا الخصوص ، فقال : -

١ - لو لم يتصف " الله " تعالى بصفة " الحياة " ؟ لما صح اتصافه بصفات القدرة، والإرادة ، والسمع والبصر ، والعلم ، لأنه لا يتصور قيام هذه الصفات بغـير " الحى " ولكن ثبت اتصاف " الله " تعالى بها ، فثبت أنه حى قيوم .

---

(١) سورة البقـــرة آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١ ، ٢ .

(٣) سورة طـه آيـــة : ١١١ .

(٤) سورة غافـر آيـة : ٦٥ .

٢ – إن صفة " الحياة " صفة كمال ، والموت صفة نقص ، و " الله " تعالى منزه عن صفات النقص ، فثبت أنه حى قيوم .

٣ – لو لم يكن " الله " تعالى حيا ؟ لكان ميتا ، ولو كان ميتا ؟ لما صح له أن يهب الحياة لغيره ولكن عدم وهبه الحياة لغيره باطل بالمشاهدة ولأن فاقد الشئ لا يعطيه لغيره فثبت أن " الله " تعالى حى قيوم .

هذا من ناحية البراهين العقلية فى ثبوت صفة الحياة " لله " تعالى ، وهى – كما ترى – أدلة منطقية سليمة ، تخاطب العقول السليمة ، والقلوب المطمئنة بالإيمان ، والبعيدة عن الأهواء والبدع المتبلدة بعقول المنكرين للصفات الإلهية ، بل والمكذبين بآيات " الله " تعالى السمعية ، والكونية على السواء .

هذا ونشير : إلى أن صفة " الحياة " الإلهية ، لا تتعلق بالموجودات ، والمعدومات ، بمعنى أنها لا تستلزم أمرا زائدا على القيام بمحلها ، كما أن حياة " الله " تعالى تختلف عن حياة المخلوقات ، وذلك من نواحى كثيرة ، منها : أن حياة " الله " تعالى لا تكون بروح ، أما حياة المخلوقات فعلى العكس من هذا ، فلابد أن يكون لها روح .[1]

كذلك نلفت الأنظار السليمة ، والقلوب المطمئنة إلى عدة أمور :–

أولها : بالإضافة إلى ما أشرنا إليه فى أن صفات " الله " تعالى بوجه عام تختلف عن صفات المخلوقات أو الحوادث ، وذلك فى إطار أن " الله " تعالى لا مثل ، ولا ند ، ولا ضد ، ولا شبيه له فى " ذاته " أو " أفعاله " ، وهذا لابد أن يكون مفهوما بشكل واضح للجميع .

---

(١) راجع الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٩٢ بتصرف ، الإمام التفتازانى : المقاصد ج٢ ص ٩٧ ، الإمام البيجورى :شرح البيجورى على الجوهرة ج١ ص ٦٤ ، الإمام إبن طلوبغا: شرح المسايرة ص ٦٢ ، الإمام الطائى : رسالة التوحيد ص ٤٩ ، د/ سعيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٣٠٢ .

ثانيهـــا : إن صفة " الحياة " الخاصة بالذات الإلهية ، تختلف عن حياة المخلوقـــات أو الحوادث ، فبالإضافة إلى أن حياته " تعالى " بلا روح ، أو آلة ، فإن حيـــاة " المخلوقات " لها روح أو آلة بواسطتها يعرف الحى من الميت .

ثالثهـــا : إن حياة " الله " تعالى أزلية أو قديمة ، أما حياة المخلوقات فحادثة .

رابعها : إن حياة " الله " تعالى ، من ذاته أو نفسه وليست من غيره ، أمـــا حيـــاة المخلوقات فمن غيرها لا من ذاتها ، وأن الذى أعطاها صفة الحياة هـو " الله " تعالى وحده ، وليس الحياة فقط ، بل إن الذى يأتيها بالموت هـــو " الله " تعالى كذلك ، فالموت خلقه " الله " تعالى ، والحياة مخلوقة كذلك ، وهـــذا ما يؤكده " الله " تعالى فى قرآنه الكريم بقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَـــدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١)

خامسها :إن حياة " الله " تعالى باقية دائمة مستمرة ، أما حياة المخلوقات : فزائلـــة وعارضة ومحددة بمدة معينة .

إلى غير ذلك من أوجه التباين بين صفة الحياة الخاصة بالذات الإلهية ، وحيـــلة المخلوقات " ، فإذا كان المنكرون لثبوت صفات القـــدرة ، والإرادة ، والســـمع والبصر والعلم " لله " تعالى يمكن لهم أن يجادلوا ، أو يشككوا فى هـــذه الصفـــات الإلهية ونسبتها للذات الإلهية .

فهل بإمكانهم أن يجادلوا ، أو يشككوا فى نسبة صفة " الحياة " " لله " عـــز وجل كذلك ؟

وإذا ما أقدموا على هذا ؟ فمن اليسير أن يتأكد لكافة الناس مـــدى تهـافت وبطلان ما أقدموا عليه من الجدال والمجادلة ، بل إن شئت فقل " المكابرة "التى لا دليل

---

(١) سورة الملك آية : ١ ، ٢ .

ولا سند لها ، لأنهم لو أنكروا أن يكون " الله " تعالى حيا وأنكروا أن يكون هو الذى أعطاهم صفة الحياة ؟ وأنكروا أن يكون هو الذى يسلبها عنهم ؟ فنقول لهم : لماذا لم تعطوا أنفسكم الحياة الدائمة المستمرة ؟

ولماذا لم تتأخروا عن تلبية نداء " ملك الموت " الذى يأتيكم بإذن " الله " تعالى وأمره ؟

لقد خبتم وخسرتم ، وضللتم السبيل ، وخاب وخسر وضل وأضل من اتبعكم فى فسادكم وضلالتكم ومزاعمكم ومكابرتكم التى لا سند لها من " نقل " ولا من " عقل " وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١) .

٧ - الكلام :

ونختم صفات المعانى التى ثبتت " لله " تعالى بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية بصفة " الكلام " التى كان وما زال لها النصيب الأكبر من تباين الآراء والمذاهب الكلامية فيها ، والتى وقع بسببها كثير من الفتن والجدل والجدال بين أبناء الأمة الإسلامية ، والتى سنوضحه فى موضعه بمشيئة " الله " تعالى وتوفيقه .

وبداية نشير إلى أن " علماء الكلام قد عرفوا صفة " الكلام الإلهى " بأنها : " صفة أزلية ، قائمة بذات " الله " تعالى ، تدل على جميع المعلومات ، وضد الكلام " البكم ، وأنها تتعلق بالواجبات ، والممكنات ، والمستحيلات ، وتعلق [illegible] تعلق دلالة وبيان ، أو أمر ، ونهى ، وقد اشتمل بيانه " تعالى " وأمره ونهيه ، الكلام على الواجب والممكن ، والمستحيل كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم " . (٢)

---

(١) سورة النحل آية : ٦١ .

(٢) الإمام الطائى : رسالة فى التوحيد ص ٥٣ بتصرف .

النصوص السمعية : وصفة الكلام :

وردت نصوص سمعية ناطقة وشاهدة ومؤكدة : على ثبوت صفة " الكـــلام " للذات الإلهية ، كغيرها من صفات واجبة له عز وجل منها :-

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْـلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٢)

٣ - قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣)

٤ - قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّـا وَحْيًـا أَوْ مِـنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٤)

وغير هذا من آيات قرآنية تؤكد على أن " الله " تعالى متكلم ، بحيث لا يبقـى للمنكرين لصفات " الله " تعالى أى شبهة أو تعليل ، وأنها لا تقبل التأويل وصرفها عن ظاهرها ، كما يفعلون هذا فى بعض النصوص السمعية الواردة فى المسائل الإلهية .

العقل : وصفة الكلام

كما توافق " العقل " مع " النقل " فى التأكيد على ثبوت صفـــات . القـــدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والعلم ، والحياة للذات الإلهية ، فكذلك الأمر بالنسـبة لصفة " الكلام " فيقول :-

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٢) سورة الكهف آية : ١٠٩ .

(٣) سورة لقمان آية : ٢٧ .

(٤) سورة الشورى آية : ٥١ .

١ – إن " الله " تعالى لو لم يكن متصفا بصفة الكلام ؟ لاتصف بضده وهو البكم ؛ ولكن البكم محال عليه " تعالى " فثبت أنه متكلم .

٢ – إن صفة الكلام : صفة كمال ، والبكم صفة نقص ، و " الله " تعالى متره عن صفات النقص ، لأنه من صفات المخلوقات أو الحوادث ، فثبت أن " الله " تعالى متكلم .

٣ – إن كلام " الله " تعالى ليس من جنس كلام الحوادث ، أى أنه ليس بحروف وأصوات ، وإنما كلامه أزلى ، فثبت أنه متكلم بكلام قديم لا حادث . (١)

ونشير . إلى أن مسألة الصفات الإلهية من أهم المسائل الكلامية — بعد وجود الله ووحدانيته — التى تبحث فى هذا العلم الإسلامى الأصيل ، والخطأ فيها جرم كبير فى حق " الله " تعالى أولا وأخيرا ، لأن إنكار الصفة أو الصفات ، يكون — بطريق أو بآخر — إنكارا للموصوف بها ، وإن حاول المنكرين المكذبين التعليل أو الجدال أو المكابرة ، كما أن القول والاعتقاد فى الصفات الإلهية : يؤكد الفرق بين مذهب " أهل السنة والجماعة " من جهة ، ومذهب من خالفهم من جهة أخرى ،وبها يتأكد التباين الواضح بين الإيمان وفهم النصوص السمعية الواردة بشأنها وسائر المسائل الإلهية من ناحية ، والتكذيب وسوء فهم النصوص السمعية ، والجرى وراء العقول الفاسدة والتيارات المذهبية الإلحادية ومن حذا حذوها من ناحية أخرى ، لأنه كيف يؤمن " بالله " تعالى حق الإيمان ، ويؤمن بكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وقضائه وقدره من يكذب أو ينكر ، أو يتأول آياته المحكمات على غير معناها ، ومفهومها الصحيح الذى أجمع عليه جمهور " أهل الحق " ؟ .

فمثل من يفعل هذا ؟ مثله كمثل من يؤمن ببعض آيات " الله " تعالى ولكنه يكفر ببعض آخر منها ، فكيف يتوافق الإيمان مع الكفر ؟ وكيف يتوافق الصدق مع

---

(١) الإمام الطائى : رسالة فى التوحيد ص ٥٣ بتصرف .

الكذب ؟ بل كيف يتوافق منهج " أهل الحق " المتمسكين بكل ما ورد فى آيات " الله " تعالى ، وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، مع من يلهثون وراء المذاهب المادية والإلحادية ، والاستشراقية والعلمانية ومن سار فى ركابها ؟ .

وكيف يتوافق القانون والدستور الإلهى الصالح لكل زمان ومكان ، ولجميع البشر مع القانون أو القوانين الوضعية الإنسانية التى حيكت لظروف معينة ، ولأهواء محددة لكى تناسب فئة أو طبقة على حساب فئات وطبقات بل دولا وعصورا وأزمانا.

وهذا ما أردت الإشارة إليه حتى يتبين الصواب من الخطأ والصحيح من السقيم وأهل الحق من أهل الباطل ليهلك من هلك عن بينة ، ويحى من حى عن بينة و " الله " تعالى عليم بما يقوله ويفعله كل صغير وكبير ، وأنه لا يتركهم سدى ، بل سوف يحاسب الجميع على ما قدموا وما أخروا ، وذلك فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

نجانا " الله " تعالى برحمته ، وشفّع فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا نهلك مع الهالكين ، ونخسر مع الخاسرين .

التباين بين مذهب " أهل السنة والجماعة " ومن خالفهم

إذا كنا قد أشرنا إلى الفرق أو الاختلاف بين مذهب " أهل السنة والجماعة " من ناحية ، ومذهب من خالفهم فى الصفات الإلهية بوجه عام من ناحية أخرى ، فإننا فى السطور التالية نتعرف على مزيد من التوضيح بين المذهبين فى هذه المسألة الإلهية الهامة .

ففى معرض بيان أئمة " أهل السنة والجماعة " لمذهبهم فى هذه المسألة الهامة، والرد على المخالفين لهم ، قال أحد الأئمة كما نقل عنه أحد العلماء : أما عن مصادر نفى الصفات ، فإن الإمام " أبا الحسن الأشعرى " يذكر أن " المعتزلة " تذهب إلى نفى صفات " الله " وأن " الله " لا صفات له ، لا علم له ، ولا قدرة له ، ولا حياة له ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزّ له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له ، بل يعممون هذا فى سائر صفات " الله " التى يصف بها نفسه ، ويقرر " أبو الحسن الأشعرى " وقد عرف " المعتزلة " وخباياها — مصدر هذا القول : أنهم أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعا لم يزل ، ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حى ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قديم — وعبروا عنه بأن قالوا : نقول عين لم يزل ، " فالأشعرى " إذن يعلم صلات " المعتزلة " بالمتفلسفة " أى فلاسفة الإسلام الذين تابعوا الرأى الأرسططاليسى الذى يسلب عن " المحرك الأول " كل الصفات الإيجابية ، ويقتصر عمله الوحيد على تحريك العالم " .[1]

فهذا بيانٌ عملى يوضح الفرق بين مذهب " أهل السنة والجماعة " من ناحية، ومذهب من خالفهم فيها من ناحية أخرى ، وقد أشار البيان بوجه خاص إلى " المعتزلة " وموقفهم من الصفات الإلهية بوجه عام،وصفات المعانى بوجه خاص، وكيف

---

(١) د/ النشار : نشأة التفكير الفلسفى ج١ ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

أنهم ينكرون الجميع دون إستثناء ، غير مؤمنين بالنصوص السمعية الناطقة والشـاهدة والمؤكدة على ثبوت هذه الصفات الإلهية لله عز وجل ، وكذلك غير مهتمين بالبراهين العقلية السليمة الواردة من علماء ومفكرين أجلاء لايقولون ولايعتقدون إلا عن دليل وبرهان صحيحين من قرآن وسنة نبوية صحيحة ، وأفكار عقلية مهتدية بنـور " الله " تعالى ، ونور كتابه الكريم ، وهدى رسوله الأمين " محمد " صلى الله عليه وسلم .

ومع أن " المعتزلة " بوجه عام يقدسون " العقل " ويقدمونـه — فى معظـم الأحوال عند معالجة المسائل الإلهية بوجه خاص — على " السـمع " أو " النقـل " ، فلماذا لايحترموا ما قاله " العقل " فى هذه المسألة الإلهية الهامة مع أنه قد برهن علـى تأكيد ثبوت الصفات الإلهية " لله " تعالى ، فهل هناك تناقض واضطراب فى الفكـر والسلوك والمذهب أوضح و أظهر من هذا ؟؟ .

إن هؤلاء " المعتزلة " يناقضون ويكذبون أنفسهم بأنفسهم ، وبأفعالهم ومذاهبهم فإذا كانوا لا يؤمنون ولا يسلمون بما جاء فى " النقل " فلماذا لم يسلموا ويؤمنوا بمـا توصل إليه " العقل " فى هذه المسألة وما شابهها من مسائل إلهية ؟ .

إن مذهبهم وموقفهم لعجيب وغريب حقا ، ومتناقض مع كل ما هو صحيـح وسليم من " نقل " و " عقل " .

والبيان السابق . قد أشار — كذلك — إلى مدى الصلة والرابطة بين " المعتزلة " من ناحية ، و " الفلاسفة " أو " المتفلسفة " من ناحية أخرى ، هؤلاء " الفلاسـفة " — وبالضرورة ليس جميعهم — الذين يشبهون " المعتزلـة " فى أفكـارهم ومذاهبـهم وتقديسهم لما يقوله " العقل " فهو فى المرتبة الأولى عندهم ، ثم يأتى " النقل " بعـد ذلك .

وهذا فى أحسن الأحوال ، وفى أنسب الظروف ، مع أن معظم فرقهم وطوائفـهم لا يفعلون هذا ، وإنما يعرضون عن " النقل "أو" السمع"كلية ما دام لم يتوافق مع مـا ذهب أو توصلت إليه عقولهم .

و " الفلاسفة " هؤلاء نفوا عن " الله " تعالى جميع صفاته الإيجابية كـــالقدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والعلم ، والحياة ، والكلام ، وغيرها من صفات إلهيــة ثابتة " لله " تعالى ، وقالوا : إن " الله " تعالى يقتصر عمله الوحيد على " تحريك العالم" كما زعموا ، ولا يجد أى إنسان عاقل صعوبة فى الوقوف على تهافت وفســـاد مـــا ذهبت إليه " الفلاسفة " القائلين بهذا الرأى ، لأنه كيـــف يتصـــور " إلـــه " بهـــذه المواصفات السلبية المنفية عنه جميع صفات التأهل أو القيام بمهمة تحريك العالم ، فهو " إله " ليس له قدرة ، ولا إرادة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا حياة ، ولا كلام .

فإذا كان هناك " إله " بهذه المواصفات أو الخصائص فكيف يكـــون جديـــرا بتحريك العالم أو تدبير شئونه ، وهو لا يعلم عنه شئ ؟

إن " إلها" بهذه الأوصاف أشبه بـــ " خيال الحقل " ، أو أشبه بالأصنام الـــتى كان يعبدها الجاهلون قبل مجئ الإسلام ونبيه " محمد " صلى الله عليه وسلم وإزالته لها لأنها صورة سيئة من صور الشرك .

لقد خبتم وخسرتم وضللتم السبيل ، وخاب وخسر وضل من آمن بمزاعمكـــم وافتراءاتكم هذه أنتم ومن معكم من الفلاسفة ، فأين النصوص السمعية ، والـــبراهين العقلية السليمة منكم ؟ .

إنكم قد وصلتم إلى مرحلة ميئوس منها فعلا ، وذلك بسبب بعدكم عن " الله " تعالى ، وعن هدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصدق فيكم قول الله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَـــهُمْ أَعْيُـــنٌ لَـــا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُـــمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ (١)

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٩ .

فكيف ينفى هؤلاء وأولئك عن " الله " تعالى ما أثبته لنفسه ، وكيف يثبتون له " تعالى " ما نفاه عن نفسه ؟

فقد ثبت " لله " تعالى جميع الصفات الإيجابية ، وذلك عن طريقين :

أولهما : النصوص السمعية التى لا تحتمل التأويل وصرفها عن ظواهرها .

وثانيهما : البراهين العقلية الصحيحة والسليمة .

لأن هذه الصفات الإيجابية صفات كمال واجبة فى حق " الله " تعالى ، وضدها صفات نقص ، وقد ثبت " بالنقل " و " العقل " استحالتها فى حق " الله " تعالى ، ولأنها من خصائص الحوادث أو المخلوقات فقط ، أعنى أن الصفات الحادثة . من خصائص " المخلوق " وليس " الخالق " تعالى .

وها هو إمام آخر من أئمة " أهل السنة والجماعة " يوضح الفرق بين مذهب " أهل الحق " ومن خالفهم فى هذه المسألة الإلهية الهامة فيقول :-

" وقد نفت " المعتزلة " عنه جميع الصفات الأزلية ، وقالوا : ليس له قدرة ، ولا علم ، ولا حياة ، ولا رؤية ، ولا إدراك للمسموعات ، وأثبتوا له كلاما محدثا ، ونفى " البغداديون " عنه الإرادة ، وأثبت " البصريون " منهم له إرادة حادثة لا فى محل " وقلنا لهم : فى نفى الصفة نفى الموصوف ، كما أن فى نفى الفعل نفى للفاعل وفى نفى الكلام نفى للمتكلم ، وأجمع " أهل السنة " على أن قدرة " الله " تعالى على المقدورات كلها قدرة واحدة ، يقدر بها على جميع المقدورات على طريق الاختراع دون الاكتساب ، خلاف قول " الكرامية " فى دعواها : أن " الله " تعالى إنما يقدر بقدرته على الحوادث التى تحدث فى " ذاته " فأما الحوادث الموجودة فى العالم ؟ فإنما خالقها " الله " تعالى بأقواله لا بقدرته ، وأجمع أهل " السنة " على أن علم " الله " تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفاصيلها من غير حس ، ولا بديهة ، ولا استدلال عليه ، وزعم " معمر " وأتباعه من القدرية : أن " الله " تعالى لا يقال إنه عالم بنفسه ومن العجائب عالم بغيره ولا يكون عالما بنفسه ،وزعم قوم من

" الرافضة " : أن " الله " تعالى لا يعلم الشئ قبل كونه ، وزعم " زرارة بن أعين " وأتباعه من الرافضة : أن علم " الله " تعالى وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته حوادث وأنه لم يكن حيا ، وقادرا ، ولا عالما حتى خلق لنفسه حياة وقدرة ، وعلما وإرادة ، وسمعا ، وبصرا ، وأجمعوا — يريد أهل السنة والجماعة — على أن سمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات ، وأن " الله " تعالى لم يزل رائيا لنفسه ، وسامعا لكلام نفسه ، وهذا خلاف قول " القدرية البغدادية " فى دعواهم :-

أن " الله " تعالى ليس براءٍ ، ولا سامع على الحقيقة ، وإنما يقال يرى ويسمع على معنى أنه : يعلم المرئى والمسموع ، وخلاف قول " المعتزلة " فى دعواها : أن " الله " تعالى يرى غيره ، ولا يرى نفسه " . (١)

وإذا ما أرجعنا النظر إلى هذا البيان السابق نلحظ فيه عدة أمور تفرق بين ما أجمع عليه " أهل السنة والجماعة " وبين المخالفين لهم فى مسألة الصفات الإلهية ، وها هى بعض هذه الأمور :-

أولا : إن " المعتزلة " بوجه عام قد سلبت أو نفت عن " الله " تعالى جميع صفاته الأزلية الثابتة له بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية السليمة .

ثانيا : من " المعتزلة " من نفى صفات " الله " تعالى بوجه عام ، وصفة الإرادة بوجه خاص ، ومنهم من أثبت له إرادة حادثة لا قديمة ، غير مفرقين بين صفات " الله " تعالى الأزلية ، وبين صفات " المخلوقات " الحادثة ، فنقول لهم : أى فرق يبقى بعد هذا بين " الخالق " تعالى و " المخلوق " ؟.
إذا كانت صفات " المخلوق " حادثة — وهذا لا خلاف عليه بين الجميع — فهل صفات " الخالق " حادثة كذلك ؟

ثالثا : سار على درب " المعتزلة " المدعو " زرارة بن أعين الرافضى " ومن تابعه فى ضلالته التى تشدق بها من أن صفات " الله " تعالى الأزلية القائمة بذاته عن

---

(١) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ باختصار .

وجل حادثة وليست قديمة ، وبهذا يتبين الفرق بين المذهبين بوضوح ، فأهل السنة والجماعة : يعتقدون أن صفات " الله " تعالى قديمة لا حادثة لأنــــه لا يقوم بذاته حادث .

وغيرهم يعتقد أن صفات " الله " تعالى على العكس من هذا فهى حادثــة لا قديمة ، ولا يخفى على كل ذى لب سليم . أن ما لا يخلو من الحــــوادث يكون حادثاً ، فإذا كانت الصفة أو الصفات حادثة ؟ فموصوفها أو القائمــة به — وهو الذات — يكون حادثاً كذلك تعالى " الله " تعالى عما يقولـــــون علواً كبيرا .

رابعا : من " المعتزلة " فرقة تسمى " القدرية " وكان ظهورها ببغداد ، هذه الفرقة قد سلكت نفس المسلك الاعتزالى الرافض لكل منقول ومعقول ، فهى قد أوّلَتْ صفتى " السمع " و " البصر " القائمة بذات " الله " تعالى ، والثابتتـــان لــه بالنقل والعقل ، وقالوا : إن المراد بهما صفة " العلم" فهم قد نفوا عـن " الله " تعالى صفتى " السمع " و " البصر " واستعاضوا عنهما بصفة " العلم " .

فهل ما فعلوه له سند أو دليل من " نقل " أو " عقل " ؟

وهل صفتى " السمع " و " البصر " يدخلان ضمن الأمور أو الآيات المتشابهة حتى ينفوهما عن " الله " تعالى ؟ .

خامسا :اختتم البيان بشئ سلبى كما افتتح ، فقد ذهب " المعتزلة " إلى شئ يخــالف " النقل " و " العقل " معا ، وقالوا : إن " الله " تعالى يرى غـــيره ، ولا يـــرى نفسه ، فهل يجد أى عاقل فى هذا القول أى صعوبة أو جهد فى الوقوف على فساده وبطلانه ؟

فهو بالإضافة إلى مخالفته للنصوص السمعية التى تثبـــت وتؤكـــد الصفـــات الإيجابية " لله " تعالى " بوجه عام ، وصفة " البصر " بوجه خاص ، مخــالف " للعقل السليم " كذلك : إذ كيف يرى غيره ، ولا يرى نفسه ؟ مع أنه مـــن

الأمور المعلومة : أن فاقد الشئ لا يعطيه .

هذا ما يمكن الوقوف عليه من هذا البيان السابق ، والذى وضّح الفرق بين " أهل السنة والجماعة " من ناحية و " المخالفين " لهم من ناحية أخرى فى مسألة الصفات الإلهية الإيجابية بوجه خاص .

مسألة خلافية

بعد الوقوف على مذهب " أهل السنة والجماعة " من جهة ، ومذهب المخالفين لهم من معتزلة وفلاسفة فى مسألة الصفات الإلهية ، وعرفنا مدى التباين بين المذهبين . نظرا لفساد واضطراب الفكر الاعتزالى والفلسفى بوجه عام واتحادهما مع بعضهما البعض على حساب مذهب " أهل السنة والجماعة " ، وليته كان اتحاداً يخدم الإسلام ومبادئه وأصوله ، ولكنه كان اتحادا مع المذاهب والأفكار المعادية للإسلام قلبا وقالبا ، واتحادا ضد النصوص السمعية ، والبراهين العقلية السليمة المهتدية بنور الآيات القرآنية وأقوال " سلف الأمة " و " خلفها " الأجلاء .

والمسألة الخلافية التى نريد بيانها فى السطور التالية :

مسألة زيادة الصفات الإيجابية الإلهية على ذات " الله " تعالى وعدم زيادتها بمعنى آخر : هل الصفة غير الموصوف ، أم أنها نفس الموصوف ؟

فإذا كانت الصفة غير " الذات " ؟ ففى هذه الحالة تكون زائدة على " الذات " وليست عين الذات ، أما إذا كانت الصفة نفس " الذات " فإنها تكون عين الذات ، وليست زائدة على الذات ، ورغم تباين المذاهب الكلامية فى هذه المسألة الإلهية ، فإن هناك ثلاثة آراء أو مذاهب مشهورة فى هذه المسألة الهامة :

أولهما : يمثله " الأشاعرة " أتباع الإمام " أبو الحسن الأشعرى رحمه الله ، والذى يعبر عن مذهب " أهل السنة والجماعة " ويرى أن صفات " الله " تعالى الإيجابية أو الثبوتية صفات زائدة على مفهوم الذات الإلهية ، وهى ثابتة الأعيان والأحكام ، وهى ليست نفس الذات ولا خارجة عن" الذات" .

وثانيهما : يمثله " المعتزلة " ومن وافقهم من " الفلاسفة " يذهبون إلى أن الصفات الإلهية ثابتة الأحكام معدومة الأعيان وهى عين الذات .

ولعل القارئ الكريم يلحظ الاختلاف بين المذهبين — الأشاعرة والمعتزلة —

فالأول : يرى أن الصفات الإلهية بالإضافة إلى أنها زائدة على " الذات " إلا أنها ثابتة الأعيان والأحكام .

والثانى : يرى أن الصفات بالإضافة إلى أنها غير زائدة على الذات إلا أنها ثابتة الأحكام ، ومعدومة الأعيان لأنها نسب وإضافات .

وثالثهما : قريب الشبه من المذهب الثانى — المعتزلة — فاتفق معهم فى القول أن الصفات نسب وإضافات ، وهى غير زائدة على الذات ، ولكنه اختلف عنهم فى أنه لفت الأنظار السليمة إلى أن كثرة الصفات الإلهية الإيجابية — خاصة — لاتوجب كثرة فى " الذات " الإلهية وهذه اللفتة التوضيحية فيها رد على " المعتزلة " الذين يزعمون أن كثرة أو تعدد الصفات الإلهية يوجب تعدداً فى " الذات " فردّ هذا الفريق — الثالث — بالقول : أن الأسماء والصفات الإلهية ماهى إلا نسب وإضافات فقط ، وأنها لا تمثل أى كثرة أو تعدد فى الذات الإلهية .

ونلحظ أنه برغم اتفاق الفريق الثالث مع الفريق الثانى فى القول بعدم زيادة الصفات على الذات إلا أنه لم يقتصر على الصفات الإلهية الإيجابية فقط وإنما أضاف إليها " الأسماء الحسنى " كذلك ، وبهذا يظهر أنهم متفقين معهم فى أمر ، ومختلفين عنهم فى أمرين كما أشرنا إلى ذلك .

ومما يؤكد هذا التقسيم الثلاثى لمسألة الصفات الإلهية الإيجابية وزيادتها على " الذات " الإلهية ، من عدمه قول أحد الأئمة موضحا هذا :

" واعلم أن الصفات السبع عند " الأشاعرة " : معان زائدة على مفهوم

" الذات " وهى ثابتة الأعيان والأحكام ، ومعنى ثبوت الأعيان ؟

أنها ليست نفس " الذات " ولا خارجة منها .

وقال غيرهم من المحققين : أنها نسب وإضافات ثابتة الأحكام ، معدومة الأعيان ومعنى كونها معدومة الأعيان ؟ أنها ليست زائدة على مفهوم الذات .

وقال غيرهم من السادة : اعلم أن الأسماء والصفات نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة ، إذ لا كثرة هناك بوجود أعيان زائدة على الذات المقدسة ، كما زعم من لا علم له " بالله " تعالى من بعض النظار ، فلو كانت أعيانا زائدة ، وما هو " إله " إلا بها ؟ لكان معلولا لها ، فلا يخلو أن تكون هى عينه ، فالشئ لا يكون معلولا لنفسه ، أو لا تكون ، فالإله لا يكون معلولا لعلة ليست عينه ، لأن ذلك يقتضى افتقاره وافتقار " الإله " محال ، فكون الأسماء والصفات أعيانا زائدة محال " . (١)

وكان بعض " السلف " يكره البحث فى مثل هذه المسائل الخلافية مع حرصهم على تنزيه ذات " الله " تعالى من أى شائبة مشابهة أو مماثلة بين ذاته وصفاته وأفعاله ، وبين الحوادث أو المخلوقات أو المصنوعات فكانوا يقولون عندما يُسألون عن رأيهم فى هذه المسألة : " أن الصفات لا هى عين الذات ، ولا هى غير الذات ، وذلك منعا للجدل والجدال فى هذه المسألة ، مع الأخذ فى الاعتبار أنهم يخالفون مذهب" المعتزلة" ومن وافقهم ، وقد أكدنا فى أكثر من موضع على هذا الاختلاف ، بحيث لا يحتاج إلى توضيح أو تأكيد بعد ما سبق توضيحه وتأكيده .

وإذا ما أرجعنا النظر إلى اختلاف المذاهب الكلامية والفلسفية فى مسألة زيادة الصفات الإيجابية على الذات الإلهية ، وعدم زيادتها نجد أن سبب الخلاف أو الاختلاف فيها يرجع إلى ثلاثة أمور :-

١ - أن بعض العلماء : نظر إلى مطلق الصفات فقط فانتهى إلى القول " أنها هو ".

٢ - أن بعضهم : نظر إلى الاعتبارات الثلاثة فقط . فانتهى إلى القول " أن الصفات غير الذات" .

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج ٤ ص ٨٢ .

٣ – أن بعضهم نظر إلى مطلق الصفة ، بالإضافة إلى الاعتبارات الثلاثة ، فانتهى إلى القول أن الصفات لا هى " الذات " ولا هى غير الذات .[1]

وبهذا يتضح الفرق الكبير بين المذاهب الإسلامية وموقفها من هذه المسألة الإلهية وكيف توافق مذهب " أهل السنة والجماعة " مع منطوق النصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية ، وكيف علل " المعتزلة " ومن وافقهم من " الفلاسفة " مذهبهم فى هذه المسألة الهامة بتعليلات فاسدة منافية " للنقل " و " العقل " معا ، فوجدناهم يقولون فى تعليلهم لنفى الصفات الإيجابية الثابتة " لله " تعالى " بالنقل " و " العقل ": أن تعدد القدماء – أى الذات والصفات – كفر بالإجماع ، وبه كفرت " النصارى " حين قالوا : للذات الإلهية ثلاثة أقانيم قديمة" .

فهذا هو تعليلهم – الفاسد – الذى اعتمدوا عليه فى نفى الصفات الإلهية الإيجابية الثابتة " لله " تعالى . ظنا أو زعما منهم أن كثرة الصفات أو تعددها يلزم منه كثرة أو تعددا فى " الذات " الإلهية ، وقد أشرنا إلى فساد وبطلان هذا التعليل الفاسد الذى يعبر عن تفاهة عقول من صدر منهم وعلى كل من يذهب مذهبهم ، لأنهم بهذا القول يقيسون باطل بباطل ، ومن الأمور المعلومة : أن ما بنى على باطل فهو باطل .

أعنى أنهم يقيسون مذهب " النصارى " فى نبى " الله " تعالى " عيسى ابن مريم " عليه السلام وقولهم : أنه إله أو ابن إله ، وهذا قول وعقيدة باطلة وفاسدة لأن " الله " تعالى لا والد له ، ولا ولد .

وكذلك " المعتزلة " ومن وافقهم ومذهبهم فى الصفات الإلهية ونفيهم لها مع أنها ثابتة " لله " تعالى " بالنقل " و " العقل " باطل وفاسد ، ومخالف للنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، وإليك جانبا من ردود " علماء الإسلام "

---

(١) راجع الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٢ ص ١٣٤ بتصرف ، الإمام عضد الدين الإيجى : المواقف ص ٤٧٩ .

الأجلاء على هؤلاء المعتزلة ومن حذا حذوهم :- " إن الكفر إثبات ذوات قديمة . لا إثبات ذات واحدة . وصفات قدماء ، ثم أن من ينفى الصفات الإلهية — الثابتة " لله " بالنص والعقل — يجعل " الإله كأنه فكرة مجردة لا مضمون لها ، وهى أشبه بالعدم منها إلى الوجود ."

ولهذا قال الإمام " الرازى " رحمة الله عليه : المشبّه يعبد صنما ، والمعطّل يعبد عدما ، وقال الإمام " ابن تيمية " رحمة الله عليه : أن إثبات حى عليم ، قدير حكيم، سميع بصير ، بلا حياة ، ولا علم ، ولا قدرة ، ولا حكمة ، ولا سمع ولا بصر ، مكابرة للعقل كاثبات مصل بلا صلاة ، وصائم بلا صوم ، وقائم بلا قيام " . (١)

كذلك لابد من الإشارة : إلى أن مسألة التكفير التى يطلقها " المعتزلة " على " أهل السنة والجماعة " لمخالفتهم لمذهبهم فى هذه المسألة الإلهية فيه جرم كبير ، وذنب عظيم ، لأنه حكم لا أساس ولا سند له،فهو قائم على المكابرة والجدل والجدال والتكذيب بالنصوص السمعية،وإن آمنوا بها: أوّلوها وصرفوها عن ظواهرها ومعناها الحقيقى الذى جاءت لتأكيده ، وكذلك فيه تكذيب بالبراهين العقلية الصحيحة التى تؤكد وتشهد على ما جاء فى النصوص السمعية من أخبار تتعلق بذات "الله"تعالى،وصفاته،وأفعاله ،وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم:﴿وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢)

---

(١) راجع الإمام الإيجى : المواقف وشرحه ص ٤٨٠ ، الإمام التفتازانى : المقاصد وشرحه ج٢ ص ٧٥ – ٧٧ ، د/ عرفان عبد الحميد : دراسات فى الفرق ص ٢٣٢ ، ٢٣٧ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٩ ، ٥٠ .

الفصل الثاني

قدم الصفات الإلهية

بينا فى الفصل السابق موقف علماء الإسلام الذين يمثلون أشهر الفرق الإسلامية فى مسألة الصفات الإلهية الإيجابية ، من ناحية ثبوتها " لله " تعالى ، أو عدمه ، فقد عرفنا أن موقف " أهل السنة والجماعة " من هذه المسألة : هو متابعة النصوص السمعية ، والتمسك بما جاء فيها من أخبار ناطقة وشاهدة ومؤكدة على ثبوت هذه الصفات " لله " تعالى ، وأن هذه الصفات الإيجابية : زائدة على ذات " الله " تعالى ، وليست عين الذات ، وإن كنا قد وجدنا من " علماء السلف " من يذهب : إلى أن الصفات ليست عين الذات ، وليست غيره ، وذلك من باب النهى عن الخوض والجدال فى مثل هذه المسائل الإلهية .

ورد على المعتزلة الذين لا يفرقون بين " الذات " و " الصفات " جهلا منهم أو مكابرة ، مخالفين بهذا منطوق النصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية .

ومذهب " أهل السنة والجماعة " اختلف عن مذهب " المعتزلة " ومن وافقهم من " الفلاسفة " الذين أنكروا صفات " الله " تعالى الإيجابية ومن أثبت بعضها منهم وجدناه يقوم بتأويلها ، فمثلا يأولون صفتى " السمع " و " البصر " بصفة العلم .

أما الفلاسفة : فينفون عن " الله " تعالى صفاته الإيجابية ، ويقصرون عمله على تحريك العالم وهو مسلوب عنه القدرة ، والإرادة ، والسمع والبصر ، والحياة ، والكلام ، تعالى " الله " عما يقولون علوا كبيرا .

ويشترك الإثنان — المعتزلة والفلاسفة — فى القول بعدم زيادة الصفات على الذات ،

وفى هذا الفصل نبين بمشيئة " الله " تعالى وتوفيقه مسألة [illegible] ـمات الإلهية ، وأنه ليس منها شئ حادثا ، وعلى الرغم من تعدد الفرق الإسلامية ، وتباينها فى معالجة هذه المسألة — كما هو الشأن فى غيرها — فإنه يمكن حصرهم فى مذهبين أو قولين :-

الأول : يمثله " أهل الحق " على تعدد أسمائهم أو مسمياتهم ، سواء كانوا من " السلف " أو " أهل السنة والجماعة " أو " أشاعرة " أو " ماتريدية " فجميعهم يذهب إلى القول : بأن صفات " الله " تعالى قديمة لا حادثة ، لأنها لو كانت حادثة ؟ كان معناه أن " الله " تعالى محلاً للحوادث ، وما لا يخلو من الحوادث ، يكون حادثا كذلك ، فثبت أن صفاته قديمة لاحادثة .

الثانى : يمثله " المعتزلة " وبعض الفلاسفة والجهمية والشيعة ومن وافقهم فى رأيهم فهؤلاء يذهبون إلى القول : أن صفات " الله " تعالى حادثة لا قديمة ، مع اختلاف بينهم فى التفاصيل ، وهذا ما يوضحه أحد العلماء بقوله :- " والشيخ رحمه الله . أشار بقوله " مازال بصفاته قديما قبل خلقه إلى آخر كلامه " إلى الرد على " المعتزلة " و " الجهمية " ومن وافقهم من " الشيعة " فإنهم قالوا : أنه تعالى صار قادرا على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرا عليه ، لكونه صار الفعل والكلام ممكنا بعد أن كان ممتنعا ، وأنه انقلب من الامتناع الذاتى إلى الإمكان الذاتى ، وأصل هذا الكلام من الجهمية ، أنهم قالوا : إن دوام الحوادث ممتنع، وأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ ، لامتناع حوادث لا أول لها ، فيمتنع أن يكون " البارى " عز وجل لم يزل فاعلا متكلما بمشيئة ، بل يمتنع أن يكون قادرا على ذلك لأن القدرة على الممتنع ممتنعة ، ولا شك أن " جمهور العالم " من جميع الطوائف يقولون : بإن كل ما سوى " الله " تعالى مخلوق ، كائن بعد أن لم يكن وهذا قول " الرسل " وأتباعهم من المسلمين ، واليهود ، والنصارى وغيرهم .

ومن المعلوم بالفطرة . أن كون المفعول مقارنا لفاعله لم يزل ولا يزال معه ممتنع محال ، ولما كان تسلسل الحوادث فى المستقبل لا يمنع أن يكون " الرب " سبحانه هـو الآخر الذى بعده شئ .

فكذا تسلسل الحوادث فى الماضى لا يمنع أن يكون " سبحانه وتعالى " هـو الأول الذى ليس قبله شئ ، فإن " الرب " سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال ، يفعل ما يشاء ويتكلم إذ يشاء ، قال تعالى : **﴿ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾** (١) .

وقال تعالى : **﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾** (٢) ، وقال تعالى : **﴿ ذو العرش المجيد (١٥) فعال لما يريد ﴾** (٣) ، وقال تعالى : **﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾** (٤) وقال تعالى : **﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾** (٥) .

والمثبت إنما هو الكمال الممكن الموجود ، وحينئذ فإذا كان النوع دائما ، فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد ، بحيث لا يكون فى أجزاء العالم شئ يقارنه بوجه من الوجوه . (٦)

وقد **اتفق** أهل السنة والجماعة " على أن " الله " تعالى ليس فى صفاته أى صفة حادثة ، بل إن جميعها قديما بقدمه " تعالى " ، كذلك **اتفقوا** على أن " الله "

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٣) سورة البروج آية : ١٥ ، ١٦ .
(٤) سورة لقمان آية : ٢٧ .
(٥) سورة الكهف آية : ١٠٩ .
(٦) إبن أبي العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧ – ١٣٠ باختصار .

تعالى : يعلم الأشياء أو الأحداث التي تقع بعلم قديم لا بعلم حادث ، وهذا خلافاً لطائفة " المعتزلة " ومن وافقهم : الذين يزعمون أن " الله " تعالى " لا يعلم الأشياء قبل وقوعها ، وإنما يعلمها بعد وقوعها ، وعلمه بها علم حادث لا قديم .

وكما هو شأن " أهل السنة والجماعة " على مر التاريخ الإسلامي لا يكتفون ببيان مذهبهم فى أى مسألة إلهية ، وإنما يضيفون إلى هذا عملاً آخر وهو الرد على " المخالفين " وبيان فساد ما ذهبوا إليه عن طريق " النقل " ثم " العقل " ، فهاهو أحد الأئمة يؤكد مذهب "أهل السنة والجماعة " فى هذه المسألة الهامة ، ويرد على المخالفين لهم فيقول :

" وقد أجمع الموحدون : على أن " الله " كان ولا شئ ، فإذا كان هذا هكذا ، وكان العلم لا يقع إلا على شئ ، فلا معنى لقول القائل : لم يزل " الله " عالما بالأشياء قبل كونها ، إذ الأشياء لا تكون أشياء قبل كونها .

يقال له : إن قول " الموحدين " : ان " الله " كان ولا شئ ، صواب صحيح ، وليس ذاك بمفسد أن يكون " الله " لم يزل عالما بالأشياء ، لأن الأشياء تكون ، و " المعتزلة " لما قالوا إن " الله " ، لم يزل عالما بالأشياء ، إنما قالوا : أنه لم يزل عالما بأن الأشياء تكون وتحدث إذ أوجدها وأحدثها " سبحانه " وبحمده ، وأما قوله : أن الأشياء لا تكون أشياء قبل كونها ، فإن أراد أن الأشياء لا تكون أشياء موجودات قبل كونها ، فصحيح مستقيم ، ولكنها أشياء تكون وأشياء تحدث إذ أحدثها صانعها ."[1]

فهذه بعض الإشارات السريعة إلى الصفات الإلهية بوجه عام ، وموقف " أهل السنة والجماعة " منها ، وموقفهم من المخالفين لهم ، والرد عليهم من خلال النصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، وكيف أن " المعتزلة " ومن وافقهم فى مذهبهم يقيسون الأمور الإلهية بالأمور الحادثة المخلوقة ؟

---

(١) الإمام الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندى ص ١٨٤ .

ولا أدل على هذا القياس من زعمهم : أن " الله " تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها أو وقوعها ، أما قبل وقوعها ؟ فإنه لا يعلم عنها شئ ، فإذا كان هذا شأن " الإله تعالى " ؟ .

فما الذى يميزه عن المخلوقات التى لا تعلم الأشياء إلا بعد وقوعها كذلك ؟ ولا يجد أى عاقل صعوبة أو جهدا فى أن يرد على المتقولين بهذا القول المخالف للنصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية التى تثبت وتؤكد أن " الله " تعالى ليس كمثله شئ لا فى " ذات " ولا " صفات " ، ولا أفعال ، فكيف بهؤلاء "المعتزلة"، ومن وافقهم فى قولهم — الفاسد — هذا فى هذه المسألة ينسون أو يتناسون الآيات القرآنية العديدة التى تؤكد على أن " الله " تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها كعلمه بها بعد وقوعها لا فرق بين الحالتين ولا تباين بين ما وقع ، وما سيقع ، وإذا حاولنا أن نعدد النصوص السمعية التى تؤكد هذه الحقيقة وتشهد على كذب وفساد المخالفين لمذهب " أهل السنة والجماعة " فنجد أنها كثيرة جدا وحسبنا منها :

١ - قول الله تعالى : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾ (١)

٢ - قول الله تعالى : ﴿ الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ (٢)

٣ — قول الله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢٩ .

(٢) سورة الروم آية : ١ — ٤ .

(٣) سورة غافر آيه : ١٩ .

فهل بعد كلام " الله " تعالى كلام ؟ وهل بعد قوله قول آخر ؟ فإذا كان هؤلاء " المعتزلة ومن وافقهم . لا يؤمنون بما قاله " الله " تعالى وبيّنه وأكّده على أنه يعلم الأشياء بعلم قديم لا حادث ، وأنه لا فرق عنده بين ماض ، وحاضر ، ومستقبل ولا بين ما هو ظاهر وباطن ، فكيف يعجز عن علم ما خلقه وصنعه وقضاه وقدره ؟

فهل بقى لأحد أى حجة أو شك . فى فساد وتفاهة ما يذهب إليه هؤلاء المخالفين لمذهب " أهل السنة والجماعة " ؟

وفى السطور التالية نتوقف — قليلا — عند صفة " الكلام الإلهى ، لأنه كان لها النصيب الأكبر من الجدل والجدال، وقد وقعت بسببها الكثير من الفتن والمناظرات الكثيرة بين علماء " أهل السنة والجماعة " . من ناحية ، وما خالفهم من ناحية أخرى وسوف نقوم بتوضيح المذاهب الإسلامية فى مسألة كلام " الله " تعالى.

موقف الفرق الإسلامية من كلام " الله " تعالى

بداية نشير إلى أن صفة الكلام الإلهى كانت — وما زالت — موضع خلاف واختلاف بين الفرق الإسلامية على مر التاريخ الإسلامى ، و لم تتفق فيها كلمتهم على قول واحد ، وهذا بيان لموقفهم من هذه المسألة الإلهية : —

أولا : " أهل السنة والجماعة " — الأشاعرة والماتريدية — قالوا : كلام " الله " تعالى نوعان :

١ — كلام نفسى : وهو الكلام الحقيقى المعبر عنه بالألفاظ ، وأنه ليس من جنس الحروف والأصوات ، وإنما هو صفة أزلية قائمة بذات " الله " تعالى منافيا للسكون والآفة كما فى الخرس والطفولة ، وهو بها آمر ، ناه ، مخبر ، وغير ذلك ، وهو قديم ، لامتناع قيام الحوادث بذاته " تعالى " كما أنه قائم بذاته " تعالى " وهو غير العبارات ، لأن العبارات تختلف بالأزمنةوالأمكنة والأقوام ، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبارة والطلب

وأن صفة " الكلام " غير صفة " العلم " إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه ، بل يعلم خلافه ، أو يشك فيه ، كما أن " الكلام " غير " الإرادة " إذ قد يــأمر الرجل بما لا يريد كالمختبر لعبده هل يعطيه أم لا ؟

وأن الكلام النفسى صورة للعلم الذاتى فى النفس ، كما أن العلم صـــورة للمعلوم فيها ، ولذا كان كلام " الله " تعالى لا نهاية له كعلمـــه ، كمـــا أن الكلام النفسى ثابت لغة وذلك لشيوع إطلاق الكلام والقول على المعــنى القائم بالنفس ، كما فى قول الأخطل :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما *** جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وفى القرآن الكريم جاء قول الله تعالى :-﴿ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ (1) .

وقولهم : زورت فى نفسى مقالة ، وفى نفسى كلام ، هذا هو النوع الأول مــن الكلام الإلهى .

٢ - كلام لفظى : وهو الكلام المعبر عنه بالحروف والأصـــوات ، وهــذا — النوع من الكلام — يقولون فيه . أنه حادث ، وأنه غير قائم بذات " الله " تعالى وهو يشمل الكتب السماوية السابقة ، وكذلك القرآن الكريم ،وبالنسبة للقرآن الكريم — خاصة —فهو الذى اختلفتفيه الآراء ، وضلت فيه الأفهام ، وابتلى بسببه خلق كثير من " علماء الإسلام " أمثال الإمام " أحمد ابن حنبل" والإمام " الشعبى " والإمام " البخارى " وغيرهم كثير ، فهم يقولون : القرآن الكريم بمعنى الكلام النفسى ليس بمخلوق ، أما القرآن بمعنى الكلام اللفظـــى الذى نقرأه فهو مخلوق .

لكن — مع ذلك— يمتنع أن يقـــال : القـــرآن مخلوق ، ويراد به اللفظ الذى نقرأه إلا فى مقام

---

(1) سورة المجادلة آية : ٨ .

التعليم ، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلام " الله " تعالى مخلوق .

ثانيا : موقف " المعتزلة " و " الشيعة الإمامية " من الكلام الإلهى يقولون : إن كلام " الله " تعالى مكون من الحروف ، والأصوات ، وهى ليست قائمة بذات " الله " تعالى وإنما يخلقه الله تعالى فى غيره كاللوح المحفوظ أو " الملك " أو " النبى " وأن كلام " الله " تعالى حادث عندهم زعما منهم أن من لوازم الكلام ، الحروف والأصوات وهى حادثة ، وعلى هذا فكلام " الله " تعالى عندهم مخلوق ، لأن " الله " تعالى خلقه فى بعض الأجرام .[1]

هذا فيما يتعلق بمذهب " أهل السنة والجماعة " من ناحية ، ومذهب من خالفهم من " المعتزلة " و " الشيعة الإمامية " من ناحية أخرى فى مسألة الكلام الإلهى، وكيف أن هؤلاء يخالفون " أهل السنة والجماعة " ويقولون : إن كلام " الله " تعالى حادث ومخلوق ، دون تفرقة منهم بين الكلام النفسى والكلام اللفظى .

رد الأشاعرة على المعتزلة ومن وافقهم :

وقد رد الأشاعرة على " المعتزلة " ومن وافقهم فى هذا المذهب الخاص بهذه المسألة الإلهية الهامة فقالوا : إن هذا القول لا ننكره ، بل نقول به ، ونسميه كلاما لفظيا ، ونقول بحدوثه ، وعدم قيامه بذات " الله " تعالى ، ولكننا نثبت وراءه الكلام النفسى الذى نعبر عنه بالألفاظ .[2]

---

(١) راجع الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٩٦ بتصرف ، الإمام التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ٩٩ ، ١٠٢ ، الإمام محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٤٥ ، الإمام البيجورى : شرح البيجورى على الجوهرة ج١ ص ٦٥ ، ٨٤ ، هاشم الحسنى : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص ١٨٩ ، الحلى : كشف الحق ص ١٨ ، ١٩ ، الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٩ .

(٢) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٩٦ ، ابن أبى شريف القدسى : المسامرة بشرح المسايرة ص ٧٧ .

رد المعتزلة على الأشاعرة :

وكما رد" الأشاعرة "على " المعتزلة " فكذلك رد " المعتزلة " على" الأشاعرة " فقالوا فى الرد عليهم :-

" إن هذا الذى تسمونه " الكلام النفسى " راجع إلى صفة العلم إن كان المدلول خبرا ، وراجع إلى صفة الإرادة إن كان المدلول أمرا أو نهيا " . [1]

وإذا كان " الأشاعرة " : عندهم سند ودليل من " نقل " أو " عقل " فى ردهم على " المعتزلة " فى هذه المسألة ، فما هو السند أو الدليل الذى يعتمد عليه " المعتزلة " فى ردهم على " الأشاعرة " " ؟

أقول : إن غاية ما اعتمدوا عليه فى هذا الرد . هو التأويل كيف ؟ أى أنهم أوّلوا وفسّروا صفة " الكلام النفسى " بصفتى العلم والإرادة ، وكما لا يخفى على كل ذى لب سليم . أن الكلام شئ ، والعلم شئ آخر ، والإرادة شئ ثالث فكيف يدخلون ثلاث صفات إلهية كل صفة لها اختصاصاتها التى تختلف عن غيرها فى صفة واحدة ؟ .

وكذلك نراهم يعللون مذهبهم فى مسألة القرآن الكريم بأنه مخلوق وحادث بحجة أن هذا هو القول المناسب للرد على " النصارى " الذين يعتقدون أن السيد المسيح " عيسى بن مريم " عليه السلام " إله " أو " إبن إله " .

فقلنا : إن القرآن كلام " الله " تعالى مخلوق وحادث ، حتى لا يتعدد القدماء، هذا هو تعليل " المعتزلة " ومن وافقهم فى تعليل مذهبهم — الفاسد — فى مسألة القرآن الكريم .

---

(١) د/ سعيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٣١ .

وهو كما ترى تعليل باطل بباطل ، ومخالف لمنطوق النصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية فى كلام " الله " تعالى خاصة ، وصفاته عامة ، فبدلا من أن يردوا على " النصارى " القائلين بهذه الأقوال — الفاسدة — فى " السيد المسيح " عليه السلام ، ويبينوا بالدليل النقلى والعقلى فساد وبطلان أقوالهم ، إستعاضوا عن هذا بالقول : أن القرآن كلام " الله " تعالى مخلوق وحادث ، وظنوا أو زعموا أنهم بهذا قد ردوا على " النصارى " .

وقد جهل " المعتزلة " و " الشيعة الإمامية " ومن حذوا حذوهما أن " النصارى " يحاولون بشتى الوسائل أن يطعنوا فى القرآن الكريم ، وفى رسوله الأمين " محمد " صلى الله عليه وسلم ، ويكيدون للإسلام وأهله ، ويتربصون به الدوائر هم وأصدقاؤهم من " اليهود " ويجتهدون فى إقناع بعض المسلمين بمذهبهم فى السيد " المسيح " عليه السلام عن طريق الجدل والجدال ، وهذا ما ينقله لنا أحد أئمة الإسلام المدافعين عنه بقوله :-

" وقد روى عن " يوحنا الدمشقى " أنه كان يلقن بعض المسيحيين لكى يجادلوا " المسلمين " عندما يلتقون بهم قائلا : إذا سألك المسلم ما تقول فى المسيح عليه السلام ؟ فقل : إنه كلمة الله .

ثم يسأل النصرانى المسلم : بم سمى " المسيح " فى القرآن ؟ ويرفض أن يتكلم بشئ حتى يجيبه المسلم ، فإنه سيضطر إلى أن يقول :﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾ . (١)

ثم يسأله عن كلمة الله وروحه ، أمخلوقة هى أم غير مخلوقة ؟

فإن قال : مخلوقة ، فليرد عليه : بأن " الله " كان ولم تكن كلمة ولا روح ، فإن قلت ذلك فسيفحم " المسلم " لأن من يرى هذا الرأى " زنديق " فى نظر المسلمين " . (٢)

---

(١) سورة النساء آية : ١٧١ .

(٢) الإمام أبو زهرة : المذاهب الإسلامية ص ٢٦٠ .

وقد بين " الله " تعالى فى قرآنه الكريم مسألة خلق السيد" المسيح " عليه السلام بأنه رسول من " الله " تعالى كسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأمه هى السيدة " مريم بنت عمران " عليها السلام ، وكانا يأكلان الطعام ، غاية ما فى الأمر : أنه لم يكن له أب كما هى العادة فى سائر البشر ، وعدم وجود أب له كان سببا من الأسباب التى جعلت غالبية " النصارى " يطعنون فى أمه — مريم — ويتهمونها بأمور ليست فيها وذلك بإيحاء من " اليهود " الملعونين .

ثم ذهبت " النصارى " فى السيد " المسيح " عليه السلام مذاهب بعيدة عن " العقل " ومخالفة " للنقل " فقالوا : أنه " إله " أو " إبن إله " وأنه صلب تكفيرا عن ذنوبهم وذنوب المخطئين إلى غير ذلك من افتراءات ومزاعم ما أنزل " الله " تعالى بها من سلطان .

أقول : كما رد القرآن الكريم على هؤلاء الكاذبين والمكذبين ، نعم الكاذبين فى مزاعمهم هذه ، والمكذبين بآيات ربهم التى تشهد على خلاف قولهم وأكاذيبهم .

كذلك رد " علماء الإسلام وأئمته " على مزاعم وأكاذيب هؤلاء النصارى فهذا أحد الأئمة يوضح مسألة خلق السيد المسيح عليه السلام وأنه جاء عن طريق الخلق الإلهى بكلمة " كن " فقال : « لكل مولود سبب قريب ، وسبب بعيد ، **فالأول** : المنى ، **والثانى** : قول " كن " ولما دل الدليل على عدم القريب فى حق " عيسى " عليه السلام أضافه إلى البعيد وهو " كن " إشارة إلى انتفاء القريب وأوضحه " الله " بقوله **﴿ ألقاها إلى مريم ﴾** (١) أى أوصلها إليها وحصلها فيها ، فجعله كالمنى الذى يلقى فى الرحم " . (٢)

---

(١) سورة النساء آية : ١٧١ .

(٢) الإمام الألوسى : روح المعانى ج٣ ص ١٦٠ ، ج٦ ص ٢٤ .

ثالثا : رأى مبتدعة الحنابلة . قالوا إن كلام " الله " تعالى عبارة عن الحروف والأصوات ، وأنه يقوم بذاته " تعالى " وكلامه قديم ، حتى غالا بعضهم جهلا وقال الجلد ، والغلاف قديمان ، فضلا عن المصحف . [1]

فهذا هو رأى " مبتدعة الحنابلة " في مسألة كلام " الله " تعالى ، وظاهره أنه موافق لرأى " أهل السنة والجماعة " ، ولكن حقيقته غير ذلك لذا فقد أبطلوا رأيهم هذا ، وعللوا سبب بطلان هذا الرأى بقولهم :
" إن حصول كل حرف ووجوده لا يمكن تحققه إلا بعد انقضاء الحرف الذى قبله ، فيكون الحرف الأول منقضيا ، ويكون الذى بعده أول ، وقد علمنا أن ما ينقضى ويتناهى ، أو يكون له أول لايمكن أن يكون قديما بل يكون " حادثا " وما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث " . [2]

رابعا :رأى " الكرامية " وهى الفرقة الخامسة في هذه المسألة بعد " أهل السنة والجماعة " و " المعتزلة " و " الشيعة الإمامية " و " مبتدعة الحنابلة " .

فقالوا : إن كلام " الله " تعالى مركب من حروف وأصوات — نفس قول الحنابلة — وسموا ذلك قولا له ، وأنه حادث ، وقائم بذاته " تعالى " وذلك لأن الحوادث تقوم بذات الله تعالى عندنا . [3]

فهذا هو رأى " الكرامية " في هذه المسألة . وهو كما ترى مثل رأى " مبتدعة الحنابلة " في شئ ، ومختلف عنه في شئ آخر ، مثله في القول إن كلام " الله " تعالى مركب من حروف وأصوات .

---

(١) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٩٥ ، إبن أبى شريف القدسى : المسامرة ص ٧٧ .
(٢) الإمام الجرجانى : شرح المواقف ص ٤٩٦ .
(٣) الإمـام الإيجى : المواقف ص ٤٩٦ .

وأما وجه الاختلاف بينهما ؟

فالحنابلة يقولون بقدم كلام " الله " تعالى وبالغوا في هذا الأمر لدرجة أن قالوا إن الجلد أو الغلاف والمصحف قديم كذلك .

أما " الكرامية " فكانوا على العكس منهم في هذه النقطة لأنهم قالوا : إن كلام " الله " تعالى حادث ، وقائم بذات " الله " تعالى ، فبالإضافة إلى مخالفتهم لرأى " أهل السنة والجماعة " و " مبتدعة الحنابلة " في القول : بحدوث كلام " الله " تعالى ، أضافوا إلى هذه المخالفة : مخالفة أخرى وهي جواز قيام الحوادث بذاته تعالى .

وكما رد " أهل السنة والجماعة " على " المعتزلة " و " الشيعة الإمامية " و " مبتدعة الحنابلة " مبرهنين على بطلان رأيهم في هذه المسألة فكذلك أبطلوا رأى " الكرامية " الذى هو أشد بطلانا من سابقه ، فقالوا في الرد عليهم :

" إن قولكم هذا باطل ، لأن مالا يخلوا من الحوادث فهو حادث ، وقد ثبت بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية أن " الله " تعالى ليس في صفاته ، ولا في أفعاله شئ حادث .

وبالجملة " فأهل السنة والجماعة " من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من " السلف " والخلف متفقين على أن كلام " الله " تعالى غير مخلوق ، ثم جاء " المتأخرون " وتنازعوا فيما بينهم في كلام " الله " تعالى ، هل هو معنى واحد قائم بذاته ، أو أنه حروف وأصوات تكلم " الله " تعالى بها بعد أن لم يكن متكلما ؟ أو أنه لم يزل متكلما إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وأن نوع الكلام قديم .[1]

---

(١) الإمام الإيجي : الموقف وشرحه ص ٤٩٦ بتصرف ، إبن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٦ ، الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ .

العقل ، وقدم القرآن الكريم

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه فى : أن صفات " الله " تعالى بوجه عام ليس فيها صفة حادثة ، لأنه " تعالى " ليس محلا للحوادث ، وأن القرآن الكريم صفة من صفات " الله " تعالى الإيجابية هى صفة الكلام غير مخلوق ولا حادث . بل هو قديم ، كما أجمع " أهل السنة والجماعة " على هذا ، وكما أجمع " السلف " الصالح على القول بهذا استنادا إلى الإشارات التى جاءت فى أقوال النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يتحدث بها بين أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

وان " أهل السنة والجماعة " عندما يتحدثون أو يوضحون أى مسألة تتعلق بذات " الله " تعالى وصفاته ، وأفعاله ، فإنهم يعالجونها من خلال · أن الله وصفاته وأفعاله ليس مثلها شئ وذلك للفرق بين الخالق تعالى والمخلوق .

وقد برهن علماء " أهل السنة والجماعة " على أن كلام " الله " تعالى لا يشبه كلام المخلوقين ، فهذا أحدهم يؤكد هذه الحقيقة بقوله :-

" إنه تعالى متكلم ، آمر ، ناه ، واعد ، متوعد بكلام أزلى قديم ، قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من إنسلال هواء ، أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينطقه بأطباق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتوراة ، والإنجيل ، والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم ، قائم بذات " الله " تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن " موسى "عليه السلام سمع كلام " الله " بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات " الله " تعالى فى الآخرة من جوهر ولا عرض " . [1]

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٤ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

فهذا هو ما عرفه " أهل السنة والجماعة " ، وتصرفوا من خلاله مخالفين بهذا سائر الطوائف والمذاهب الشاذة التي ليس لمذاهبها سند صحيح من " نقل " أو عقل وإنما جل مذهبها قائم على الجدل والجدال ، والمكابرة ، وصرف النصوص السمعية عن ظواهرها ، ومعانيها الحقيقية التي جاءت بها ، وقائم على التأثر بالمذاهب المادية والإلحادية ، واليهودية ، والنصرانية البعيدة عن الإسلام نصا وعقلا .

وهذا إمام آخر من أئمة " أهل السنة والجماعة " يبرهن عن طريق " العقل " المهتدى " بالنقل " على قدم كلام " الله " تعالى فيقول :

" والدليل على قدم كلام " الله " تعالى : أنه لو كان حادثا ؟ لم يخل من أمور ثلاثة ، إما أن يقوم بذات " البارى " تعالى ، أو يقوم بجسم من الأجسام ، أو يقوم لا بمحل .

بطل قيامه به . إذ يستحيل قيام الحوادث بذات البارى تعالى ، فإن الحوادث لا تقوم إلا بحادث ، وبطل قيام كلامه بجسم إذ يلزم أن يكون المتكلم ذلك الجسم ويبطل قيام الكلام لا بمحل ، فإن الكلام الحادث عرض من الأعراض ، ويستحيل قيام الأعراض بأنفسها ، إذ لو جاز ذلك في ضرب منها لزم في سائرها " . [1]

وبهذا يظهر الفرق والاختلاف بين مذهب " أهل السنة والجماعة " على تعدد أسمائهم وأزمنتهم وأمكنتهم من ناحية ، ومذهب المخالفين لهم من ناحية أخرى سواء كانوا معتزلة أو شيعة أو حنابلة ، أو كرامية .

فقد وجدنا الالتزام والاتباع والتمسك بالنصوص السمعية والبراهين العقلية الصحيحة هو ما يميز مذهب " أهل السنة والجماعة " ووجدنا الابتداع والتقليد للمذاهب الفاسدة غير الإسلامية ، وعدم الإيمان بالنصوص السمعية ، أو صرفها عن

---

(١) الإمام الجويني : لمع الأدلة ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

ظواهرها ومعانيها الحقيقية ، والشذوذ والمغالاة فى القول والاعتقاد ، هو مـــــا يمـــيز مذاهب المخالفين لمذهب " أهل السنة والجماعة " فى هذه المسألة الإلهية .

رزقنا " الله " تعالى فهم كتابه ، والاهتداء بهداه والسير على صراطه المســتقيم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصـــــــل الثالـــــــث

موقف السلف والخلف

مـــــن

الصفات الموهمة للتشبيه

في هذا الفصل بمشيئة الله وتوفيقه نبين موقف " السلف " و " الخلف " من الألفاظ الموهمة للتشبيه ، وكيف استغل دعاة التشبيه هذه الألفاظ لمحاولة تدعيم مذهبهم وما انفردوا به من أقوال تخالف منطوق النصوص السمعية ، وصريح البراهين العقلية .

فقد وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ألفاظ وعبارات يفهم من ظواهرها أن فيها مشابهة بين " الخالق " تعالى ، و " المخلوق " وذلك فيما يتعلق بصفاته " تعالى ، وصفات وأفعال الحوادث أو المصنوعات من هذه الألفاظ :-

اليد ، العين ، النزول ، الصعود ، المجيء ، الرضا ، الغضب ، الضحك ، الاستواء ، التعجب ، السمع ، الرؤية ، المعية ، الوجه ، الإتيان ، الكبرياء ، والعظمة ، .... وغيرها من ألفاظ .

لذا فقد تباين موقف " علماء الإسلام " من هذه الألفاظ ، و لم تتفق كلمتهم على رأى واحد فيها ، بل ضل بسببها عقول كثيرة ، ووقعت بسببها فتن عظيمة وانحرفت بسببها أقدام ليست قليلة ، ومما ساعد على تباين الآراء فى هذه الألفاظ وعدم الاتفاق على رأى واحد بشأنها بعض الآيات القرآنية الكريمة .

نعم قد وردت بعض الآيات القرآنية الكريمة التى منها قول الله تعالى :

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

فهذه الآيات الكريمة قد تباينت فى فهم معناها كثير من العقول ، وبناء علــى الفهم الصحيح من عدمه ؟ تكونت الآراء والمذاهب من خلالها فى هذه المسألة الإلهيــة الهامة ، وإذا أرجعنا النظر إلى الآية الكريمة نجد أنها قد اشتملت على ثلاثة أمور هى :-

أولهما : رب العزة المتفرد بالعظمة والعزة والكبرياء .

ثانيها : الراسخون فى العلم .

ثالثها : الذين فى قلوبهم زيغ .

كذلك نجد أن الآية الكريمة قد بينت أن آيات " الله " تعالى منها:ماهو محكم، أى لا اختلاف فى فهم معناه والوقوف على بعض أسراره ومنها : ما هو متشـــابه ، وهو الذى تباينت فيه الآراء وضلت بسببه العقول والأفهام .

كما أن الآية الكريمة قد أخبرت — فيما أخبرت — أن الذين فى قلوبهم زيغ قد تعللوا بهذه الآية الكريمة لتحقيق هدفين فى آن واحد :-

أولهما : الفتنة فتنة من فتنة بعض الناس العامية — خاصة وإشـــاعة الجـــدل والجدال والفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية .

ثانيهما : تأويل بعض الآيات القرآنية ، وصرفها عن غير معناها دون ســـند أو دليل من نقل أو عقل .

هذا فيما يتعلق بموقف ﴿ **الذين في قلوبهم زيغ** ﴾ من الآية الكريمة بوجه إجمالى.

أما الراسخون فى العلم فإنهم قد انقسموا فيما بينهم إلى [illegible] أو رأيـــين فى فهمهم لهذه الآية الكريمة :

أولهما : فهم أن الوقوف على قوله تعالى ﴿ **وما يعلم تأ ويله إلا الله** ﴾ [1]

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

عند قراءتهم لها وقف لازم لا جائز .

وبناء على هذا . فقد فهم هذا الفريق من علماء الإسلام .. أن الـذى يعلم تأويل الآيات القرآنية على وجه الحقيقة هو" الله "تعالى وحده .

وثانيهما :فهم أن الوقف على قول الله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾وقف جائز وليس بلازم .

وبناء على هذا فهم هذا الفريق من العلماء أن " الله " تعالى هــو الذى يعلم تأويل الآيات المتشابهة أولا ، ثم يأتى بعده " الراسخون فى العلم " ، هذا ما يمكن فهمه من هذه الآية ، الكريمة بوجه عام . التى كانت سببا من أسباب الخلاف والاختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية على تباين فرقها وطوائفها ومذاهبها .

وقبل الدخول فى بيان آراء " علماء الإسلام " فى الألفاظ الموهمة للتشبيه بشــئ من التفصيل . أرى أولا التعرف على معنى " المحكم " و " المتشابه " ليكون القــارئ الكريم على علم وبينة من هذين اللفظين أو الإصطلاحين الواردين فى الآية الكريـمــة ، وندع أحد العلماء الأجلاء يوضح لنا هذه النقطة فيقول :

قال الإمام " القرطبى " رحمه الله : أحسن ما قيل فى المتشابه والمحكم أن المحكــم ما عرف تأويله ، وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه ما استأثر " الله " تعالى بعلمــه دون خلقه ، و لم يكن لأحد لعلمه سبيل قال بعضهم : وذلك مثل وقــت قيــام الســاعة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدجال ، وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة فى أوائل السور " .[1]

---

(١) الشيخ الصابونى : صفوة التفاسير ، المجلد الأول ص ١٨٦ .

هذا فيما يتعلق بمعنى " المحكم " و " المتشابه " من الآيات القرآنية ، والتى تباينت فى فهم معناها عقول وأفهام كثير من علماء الإسلام وبيان الإمام " القرطبى " رحمة الله عليه يشير إلى أن معنى المحكم والمتشابه لا ينحصر فى هذا المعنى ، ولكن هذا المعنى أحسن و أفضل وخلاصة ما قيل من آراء فى معنى هذين الاصطلاحين .

فإذا كانت الآراء لم تتفق على كلمة واحدة بشأن تفسير أو توضيح معنى المحكم والمتشابه ؟ فما بالك بشأن الآراء والتفسيرات الكثيرة الواردة بشأن الألفاظ والاصطلاحات المتشابهة فى آيات القرآن الكريم ؟

فإذا كانوا لم يتفقوا على رأى واحد بشأن تعريف " المحكم " و " المتشابه " فهل ننتظر اتفاقهم على رأى واحد بشأن ما يدخل تحت المحكم والمتشابه ؟!

المذاهب والألفاظ الموهمة للتشبيه

إختلفت المذاهب الإسلامية فى موقفها من الألفاظ الموهمة للتشبيه بين الخالق تعالى وصفاته ، وأفعاله من ناحية ، و" المخلوقات "أو " الحوادث " من ناحية أخرى .

وبرغم كثرة الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية المتعددة فإنه يمكن حصرهم فى ثلاثة مذاهب :

أولها : يقول بالتوقف ، أى : التوقف الكامل عن تفسير أو تأويل الآيات المتشابهة أو الألفاظ الموهمة للتشبيه ، وذلك احترازا من السقوط فى دائرة التشبيه أو التعطيل ، مع الإيمان بالصفات الخبرية الواردة فى النصوص السمعية — من كتاب وسنة — وإجراؤها على ظواهرها دون تعرض ببحث أو تأويل ، مع تغليب أدلة التتريه لكثرها أولا ووضوح دلالتها ثانيا ، واعتقاد استحالة التشبيه بين " الخالق " تعالى ، و " المخلوق " فى شئ وهذا هو مذهب " السلف " الصالح رضوان " الله " تعالى عليهم أجمعين .

وقد قال " كثير منهم " إقرأوها كما جاءت ، أى آمنوا بأنها من عند " الله " تعالى ، ولا تتعرضوا لتأويلها أو تفسيرها لماذا ؟

لأن التأويل أمر ظنى بالاتفاق ، يحتمل الخطأ ، ولا يمكن أن تفسر به صفات " البارى " عز وجل احترازا من الوقوع فى الزيغ ، لهذا تفوض معانيها إلى " الله " تعالى .

وقد فسر الإمام " مالك بن أنس " رحمة الله عليه قول الله تعالى ﴿ الرحمان على العرش استوى﴾ [1] بقوله " الاستواء معلوم ، والإيمان به واجب ، والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة " .

وفى هذا المعنى قال الحكيم أبو الوليد " ابن رشد " إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها

وقد استمر هذا المذهب — التوقف — إلى أيام الإمام " أحمد بن حنبل " و " يحيى بن معين " و " إسحاق بن راهويه " الذين ناصروه فى مذهبه ، إلا أنه لم يستمر طويلا لأنه يتضمن الإحالة إلى مجهولات لا نفهم مؤداها ولا غاياتها بل اعتبرها الإمام " ابن حزم " مدخلا لطريق ينتهى بالتشبيه .

ثانيها : يذهب إلى التوغل فى التشبيه فمنهم من شبه فى " الذات " بالنظر إلى الصفات الخبرية ، أو الألفاظ الموهمة للتشبيه مثل " الوجه " و " اليد " و " القدم " و " العين " وما إلى ذلك ، فوقعوا فى التجسيم الصريح ، ومخالفة التتريه المطلق .

ومنهم من شبّه فى الصفات ، كإثبات " الجهة " و " الاستواء " و " الترول" وغير ذلك ، فوقعوا فى التجسيم ، وذلك بسبب تمسكهم بالتفسير الحرفى أو

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

التحليلى للنصوص السمعية الموهمة للتشبيه أو التجسيم .

وفى هذا المعنى قال الإمام " ابن الجوزى " رحمة الله عليه : إعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات " البارى " سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا ، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم .

ولهذا المذهب — التوغل فى التشبيه — فرق عديدة منهم " أصحاب الحديث الحشوية " مثل " مقاتل بن سليمان " المتوفى سنة (١٥٠هـ) وكان مفسرا مشهورا ، ومنهم : مشبهة الشيعة ، مثل " هشام بن الحكم " المتوفى سنة (١٧٩هـ) .

ومنهم : " الكرامية " أتباع " ابن كرام السجستانى " المتوفى سنة (٢٥٥هـ) .

ثالثها : يذهب إلى " التأويل " وهو المذهب الذى اتبعه " المعتزلة " وتابعهم فيه — مع بعض التعديلات — عامة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، سواء كانوا من " أهل السنة والجماعة " أو من " الأشاعرة " أو من " الماتريدية " أو من " الشيعة " أو من " الإباضية " أو من وافقهم ، وفى هذا المعنى قال الإمام " فخر الدين الرازى " رحمة الله عليه " جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لابد من التأويل فى بعض ظواهر القرآن والأخبار " ومما دعى هذا الفريق لسلوك هذا المسلك أنهم مقرون بأن " الله " تعالى منزه عن الجسمية والجهة والحيز ، وما شابهها مما هو من صفات الحوادث ، فرأوا أنه لا سبيل للقضاء على مذهب المشبهين ، أو المعطلين إلا بتأويل الصفات الخبرية الواردة بالنصوص السمعية التى يفهم من ظواهرها مشابهة بين " الخالق " تعالى و " المخلوق "مع الأخذ فى الاعتبار أن فتح باب التأويل على مصراعيه

له أضراره ، لذا فقد وضعوا القواعد والشروط المحددة لهذا العمل وذلك لسد الباب أمام المتلاعبين بالنصوص السمعية وفق أهوائهم المذهبية أو الشخصية .

وفى هذا المعنى قال الشيخ " ابن أبي العز الحنفى " رحمة الله عليه المتوفى سنة (٧٩٢هـ) طريقة التأويل بشرطها أقربهما إلى الحق ويعنى بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب " . (١)

فهذه هى الآراء الإسلامية ، أو المذاهب الكلامية فى هذه المسألة الإلهية الهامة ، وهى تعبر عن واقع الأمة الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ، وما زالت هذه النزعة الثلاثية — التوقف ، التشبيه ، التأويل — سائدة بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وأمكنتهم ، وإذا أرجعنا النظر إلى المذاهب الثلاثة نجد أن :

أولهما : سلك مسلك السلامة والأمن والأمان بالتفويض والتسليم ، وعدم الدخول فى المحذور ، أو المنهى عنه .

وثانيهما : سلك مسلك الابتداع ، والفتنة ، والجدل والجدال ، ومحاولة تفريق كلمة " المسلمين " والتأثر بالنزاعات الخارجية المعادية للإسلام وأهله .

وثالثهما : سلك مسلك الوسطية ، والرد على " المشبهة " و " المعطلة " و "المجسمة " الذين حاولوا أن يشيعوا الفرقة والاختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية ، عن طريق الجدل والجدال فى النصوص السمعية التى يفهم من ظواهرها

---

(١) راجع العلامة ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ بتصرف ، د/ عرفان عبد الحميد : دراسات فى الفرق ص ١٩١ ، ١٩٤ وما بعدها ، الحكيم ابن رشد : فصل المقال فيما الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٦٥ ، الإمام ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ١١٣ ، الإمام ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل ج١ ص ١٣٧ ، الإمام فخر الدين الرازى : أساس التقديس ص ١٠٥ ، الإمام الإيجى : المواقف ص ٤٧٣ .

مشابهة بين ما هو من صفات " الخالق " تعالى وصفات " المخلوق " ، وذلك لاختلاف الظروف والمسائل المثارة بين أبناء الأمة الإسلامية ، ما بين عصر " السلف " و " المتأخرين " فقد اختلفت البيئة ، والأشخاص والثقافة ، وغيرها من أمور تنعكس إيجابا وسلبا على المجتمع الإسلامى ما بين العصرين ، لذا كان لزاما على أئمة الإسلام وعلمائه : أن يتسلحوا بمختلف الأسلحة وهم يواجهون هذه الهجمة الشرسة الحاقدة على الإسلام وشريعته ، وأصوله ، وأتباعه ، والمدافعين عنه .

من جهة أخرى : حذّر " أئمة الإسلام وعلمائه " من الجدل والجدال ، والشك فى النصوص السمعية ، أو تأويلها على غير معناها أو ضرب بعضها ببعض كمدخل للطعن فى صحتها وسلامتها ، أو محاولات الذين فى قلوبهم زيغ بقصد الفتنة و إشاعة الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية بسبب الآيات المتشابهة .

ولذا فقد دعوا إلى اتخاذ مسلك " السلف " الصالح المتمثل فى الإيمان به كله ، وتفويض علم ما لا يعلمونه إلى منزله سبحانه وتعالى ، وقد أكد أحد الأئمة " على هذا المعنى بقوله :-

" قال أبو الحسين هلكت الزنادقة ، وشكوا فى القرآن حتى زعموا أن بعضه ينقض بعضا فى تفسير الآى المتشابه ، كذبا وافتراء على " الله " جل إسمه ، من جهلهم بالتفسير للآى المحكم الذى زاد " الله " المؤمنين به إيمانا وتصديقا ، فقال المؤمنون آمنا به ونحن به مؤمنون ، مقرون أن بعضه يصدق بعضا ، واعلم — أحسن الله توفيقنا وإياك — أن للقرآن وجوها كثيرة ، ومواطن ومواضع منه خاص وعام ، وأهل البدع وافقوا " إبليس " فى مجال القياس ، وتركوا النص من التنزيل ، وتأولوا تأويلا فاسدا ، فعدلوا عن نص الخبر ، إلى القياس الفاسد " . (١)

---

(١) الإمام الملطى : التنبيه ص ٥٤ ، ٨٢ باختصار .

وعلى هذا نجد أن المذهب الذى سلكه " المشبهة " أو من توغلوا فى التشبيه بين " الخالق " تعالى ، و " المخلوق " استنادا إلى الآيات أو الألفاظ الموهمة أو المفسرة لما خفى من الألفاظ والمعانى ، هذا المذهب لابد أن نستبعده تماما ولا نعول عليه ، نظرا لمخالفته لمذهب " السلف " و " المتأخرين " من علماء السنة والجماعة ، بالإضافة إلى مخالفته للمعاجم اللغوية العربية التى يرجع إليها عند الوقوف على بعض الألفاظ المبهمة .

يبقى معنا مذهبان أساسيان فى هذه المسألة الهامة وهما :-

مذهب " السلف " رضوان الله عليهم أجمعين ، ومذهب " المتأخرين " من علماء الكلام ، وقد عرفنا أن المذهب السلفى : يرجّح مسلك التفويض ، أو التوقف التام عن البحث والنظر فى الآيات المتشابهة ، أو الموهمة للمشابهة بين " الخالق " تعالى ، وصفاته وأفعاله ، و " المخلوق " إحترازا من الوقوع فى الخطأ أو المحذور ، أو المنهى عنه .

أما المذهب الثانى : فهم " أصحاب التأويل " ، فهم يعبرون عن طائفة كبيرة فى المجتمع الإسلامى ، والأمة الإسلامية ، وهم من أئمة الإسلام وعلمائه الأجلاء ، وقد سلكوا هذا المذهب — التأويلى أو التوضيحى — إنطلاقا من قاعدة أساسية تتمثل :-

فى الدفاع عن كتاب " الله " تعالى بوجه عام ، المكى والمدنى ، المحكم والمتشابه ، والرد على " المشبهة " و " المجسمة " و " المعطلة " ، و " الملحدين " و " الماديين " و " الدهريين " وغيرهم من مذاهب ونزعات فكرية كانت وما زالت تحاول النيل من دستور الإسلام ، والمصدر الأول للشريعة الإسلامية ، وهو " القرآن الكريم " .

كذلك تحاول النيل من المفسر الأول والأعلم بكتاب " الله " تعالى وهو رسول الشريعة الإسلامية ، وسنته المقيدة ، والمخصصة ، والمبينة لكل ما أطلق وعمم وأبهم من الآيات القرآنية .

ولابد من الإشارة إلى أنه يوجد جماعة من المؤمنين لا تشجع هذا المذهب التأويلى أو التوضيحى لبعض الآيات القرآنية ، خصوصا ما تشابه منها ويقولون : إن هذا المذهب مخالف " للمذهب السلفى " ، ويعتبرونه من البدع التى ظهرت فى الأمة الإسلامية .

ولكن هذا المسلك أو المذهب التأويلى ليس بدعا من الأمر — كما يظن البعض — وإنما له علماؤه وأئمته الأجلاء الذين يقدرون " الله " تعالى حق قدره ، ولا يتكلمون فى آيات " الله " تعالى إلا بالاستناد على ركائز ودعائم أساسية ، سواء كانت هذه الركائز نصوصا سمعية — كتاب وسنة — أو أقوالا معتمدة من أئمة السلف الصالح ، أو مراجع لغوية ، أو براهين عقلية صحيحة ، أو الضرورة التى توجبها الظروف أو الحالة المتعامل معها ، أو غير ذلك من ركائز يستند إليها أو عليها أصحاب المذهب التأويلى .

ولعل ما يؤكد هذا المعنى ما قاله أحد الأئمة الكبار ، وهو الإمام " أبو حامد الغزالى " رحمة الله عليه :-

" واعلم أن الإعراض عن تأويل المتشابه خوفا من الوقوع فى محظور من الاعتقاد يجد إلى الشك والإيهام واستزلال العوام ، وتطريق الشبهات إلى أصول " الدين " وتعريض بعض آيات كتاب " الله " العزيز الرحيم إلى رجم الظنون ، والحمد لله وحده ، وهذه العقيدة الصحيحة السليمة لصاحب قلب سليم ، سلم من البدعة ، ومن استيلاء وساوس الشيطان وهواجس النفس ، وزين بالتقوى ، وأيد بالهدى ، وهذب بالورع وغذى بالذكر ؛ والله تعالى أعلم " .[1]

ففى هذا البيان التوضيحى رد على من يمنع اتخاذ هذا المذهب التأويلى سبيلا له هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فيه رد حاسم على هؤلاء الذين يتخذون الآيات المتشابهة وتأويلها تأويلا فاسدا ، وصرفها عن غير معناها هدفا وحجة وبابا

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٤ ص ٨٠ .

يدخلون منه للطعن فى آيات " الله " تعالى بوجه عام ، أو محاولة تثبيت أفكار أو مذاهب شاذة فى عقول بعض المسلمين ، وغرس العداوة والكراهية بينهم ، وذلك للوصول إلى التراع والمجادلات بل وإلى الحروب أحيانا .

ومن ناحية ثالثة فإن الإمام " الغزالى " لا يجيز التأويل لكل شارد ووارد ، وإلا لو كان الأمر كذلك لم يبق هناك فرق بين عالم وجاهل ، وقلب سليم وآخر مريض ، ومتره " لله " تعالى ومشبه ومعطل لصفاته أو بعض صفاته ؟

وإنما وضع شروطا وضوابط خاصة لابد من توافرها فى من يقوم بتأويل أو تفسير بعض الآيات المتشابهة ، من هذه الشروط كما يفهم من بيانه السابق :-

أولا : أن يكون سليم القلب أى لابد أن يكون قلبه خاليا من البدع الشاذة ، المخالفة لأصول وأركان الإيمان ، ولمنطوق النصوص السمعية ، وإجماع أهل " السلف " ومن تابعهم من " الخلف " رضوان " الله " عليهم أجمعين .

ثانيا : أن يكون قلبه بعيدا عن وساوس الشيطان وهواجس النفس . لأن الشيطان عدو للمؤمن والمؤمنة ، وهو يزين لهما الخير شرا ، والشر خيرا ، والحق باطلا، والباطل حقا ، وقد توعد المؤمنين بأن يصرفهم عن صراط " الله " المستقيم ، وهدى رسوله الأمين سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم وذلك كما أخبرنا رب العزة سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم محذرا من ألاعيبه وفتنه بقوله تعالى : -

﴿ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١)

---

(١) سورة فاطر آية : ٦ .

وقال الله تعالى حاكيا عنه :-

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

كذلك لابد أن يكون من يقوم بهذا العمل بعيدا عن هواجس النفس الأمارة بالسوء ، التى تأمر صاحبها بعمل كل ما يخالف " الله " تعالى ، ويخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعملها فى هذه المسألة يتمثل فى محاولة إقناع صاحبها بأن هناك مشابهة أو مماثلة بين ذات " الله " وصفاته وأفعاله وبين ذوات وصفات وأفعال المخلوقين ، أو التشكيك فى بعض الآيات القرآنية من ناحية مضمونها ومعناها وسلامتها .

وقد حذرنا رسول الشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك من اتباع الشيطان والنفس الأمارة بالسوء واتباع البدع ، لأن اتباع البدع يؤدى إلى الضلال ، والضلال يؤدى إلى النار وبئس القرار .

ثالثا : أن يكون قلبه مزين بالتقوى ومعنى التقوى ؟ الخوف من " الله " تعالى والخوف من عقابه وعذابه ، ومراقبة " الله " تعالى فى كل قول وعمل ، صغر أو كبر ، فالتقوى تعصم الإنسان من الوقوع فى الزلل ، وتقوى " الله " عز وجل ، لها فوائد جمة فمنها كما قال " الله " تعالى :

١ - ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

٢ -﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣)

---

(١) سورة ص آية : ٨٢ - ٨٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

(٣) سورة الطلاق آية : ٢ ، ٣ .

وإشاعة الجدل والجدال والفرقة بين ابناء الأمة الإسلامية .

ثانيهما : تأويل بعض الآيات القرآنية ، وصرفها عن غير معناها دون سند أو دليل من نقل أو عقل.

هذا فيما يتعلق بموقف «الذين في قلوبهم زيغ» من الآية الكريمة بوجه إجمالي .

أماَ الراسخون في العلم : فإنهم قد انقسموا فيما بينهم إلى قسمين أو رأيين في فهمهما لهذه الآية الكريمة :

أولهما : فهم أنّ الوقف على قول الله تعالى « ومايعلم تأويله لا الله» [٢] عند قراءتهم لها وقف لازم لاجائز .

وبناء على هذا : فقد فهم هذا الفريق من علماء الإسلام ، أن الذي يعلم تأويل الآيات القرآنية على وجه الحقيقة هو «الله» تعالى وحده .

وثانيهما : فهم أنّ الوقف على قول الله تعالى «وما يعلم تأويله إلا الله» وقف جائز وليس لازم.

وبناء على هذا : فَهِمَ هذا الفريق من العلماء ، أن «الله» تعالى هو الذي يعلم تأويل الآيات المتشابهة أولاً ، ثم يأتي بعده «الراسخون في العلم» ، هذا ما يمكن فهمه من هذه الآية الكريمة بوجه عام.

التي كانت سبباً من أسباب الخلاف والإختلاف بين أبناء الأمة الإسلامية ، على تباين فرقها وطوائفها ومذاهبها .

٢-سورة آل عمران : جزء من الآية ٧

وقبل الدخول في بيان آراء «علماء الإسلام» في الألفاظ الموهمة للتشبيه بشئ من التفصيل ، أرى أولاً التعرف على معنى « المحكم» و«المتشابه» ليكون القارئ الكريم على علم وبينة من هذين اللفظين أو الإصطلاحين الواردين في الآية الكريمة ، وندع أحد العلماء الأجلاء يوضح لنا هذه النقطة فيقول:

«قال الإمام «القرطبي» رحمه الله : أحسن ماقيل في المتشابه والمحكم أن المحكم ماعرف تأويله ، وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه : ماستأثر «الله» تعالى بعلمه دون خلقه ، ولم يكن لأحد لعلمه سبيل قال بعضهم : وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدجّال ، وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور»[٣] .

هذا فيما يتعلق بمعنى «المحكم» و«المتشابه» من الآيات القرآنية ، والتي تباينت في فهم معناها عقول وأفهام كثير من علماء الإسلام وبيان الإمام «القرطبي» رحمة الله عليه : يشير إلى أن معنى المحكم والمتشابه لا ينحصر في هذا المعنى ، ولكن هذا المعنى أحسن و أفضل و خلاصة ماقيل من آراء في معني هذين الإصطلاحين .

فإذا كانت الآراء لم تتفق على كلمة واحدة بشأن تفسير أو توضيح معني المحكم والمتشابه ؟ فما بالك بشأن الآراء والتفسيرات الكثيرة الواردة بشأن الألفاظ والإصطلاحات المتشابهة في آيات القرآن الكريم ؟

٣- الشيخ الصابوني : صفوة التفاسير ، المجلد الأول ص١٨٦

فإذا كانوا لم يتفقوا على رأي واحد بشأن تعريف «المحكم» والمتشابه ، فهل ننتظر اتفاقهم على رأي واحد بشأن مايدخل تحت المحكم والمتشابه ؟!

المذاهب والألفاظ الموهمة للتشبيه

إختلفت المذاهب الإسلامية في موقفها من الألفاظ الموهمة للتشبيه بين الخالق تعالى وصفاته ، وافعاله من ناحية و «المخلوقات» أو «الحوادث» من ناحية أخرى .

وبرغم كثرة الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية في المسالة الواحدة - ناهيك عن مسائل متعددة - فإنه يمكن حصرهم في **ثلاثة مذاهب :**

أولها : يقول بالتوقف ، أي : التوقف الكامل عن تفسير أو تأويل الآيات المتشابهة أو الألفاظ الموهمة للتشبيه ، وذلك إحترازا من السقوط في دائرة التشبيه أو التعطيل ، مع الإيمان بالصفات الخبرية الواردة في النصوص السمعية - من كتاب وسنة - وإجراؤها على ظواهرها ، دون تعرض لمعناها ببحث أو تأويل ، مع تغليب أدلة التنزيه لكثرتها أولاً ووضوح دلالتها ثانياً ، واعتقاد استحالة التشبيه بين «الخالق» تعالى ، و«المخلوق» في شئ وهذا هو مذهب «السلف» الصالح رضوان «الله» تعالى عليهم أجمعين.

وقد قال «كثير منهم » إقرأوها كما جاءت ، أي أمنوا بأنها من عند «الله» تعالى ، ولا تتعرضوا لتاويلها ، أو تفسيرها لماذا ؟

لأن التأويل : أمرٌ ظني بالإتفاق ، يحتمل الخطأ ، ولا يمكن أن تُفَسّر به صفات «الباري» عز وجل إحترازاً من الوقوع في الزيغ ، لذا تفوض معانيها إلى «الله» تعالى .

وقد فسر الإمام «مالك بن أنس» رحمة الله عليه ، قول الله تعالى «الرحمن على العرش استوى» [٤] . بقوله : «الإستواء معلوم ، والإيمانُ به واجبٌ ، والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة ».

وفي هذا المعنى قال الحكيم أبو الوليد «ابن رشد» إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى ، باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها ».

وقد إستمر هذا المذهب – التوقف – إلى أيام الإمام «أحمد بن حنبل» و«يحيى بن معين » وإسحاق بن راهويه » الذين ناصروه في مذهبه ، إلا أنه لم يستمر طويلاً ، لأنه يتضمن الإحالة إلى مجهولات لانفهم مؤادها ولاغاياتها ، بل اعتبرها الإمام «ابن حزم» مدخلاً لطريق ينتهي بالتشبيه.

ثانيها: يذهب إلى التوغل في التشبيه : فمنهم من شبّه في «الذات» بالنظر الى الصفات الخبرية ، أو الألفاظ الموهمة للتشبيه مثل «الوجه» و«اليد» و«القدم» و«العين» وما إلى ذلك ، فوقعوا في التجسيم الصريح ، ومخالفة التنزيه المطلق.

ومنهم : من شبّه في الصفات ، كاثبات «الجهة» و«الإستواء» والنزول» وغير ذلك ، فوقعوا في التجسيم ، وذلك بسبب تـ[illegible]ـهم بالتفسير الحرفي أو التحليلي للنصوص السمعية الموهمة للتشبيه أو التجسيم .

٤– سورة طه : الآية٥

أنصار وعلماء وأئمة له ، هدفهم تنزيه ذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله عن أى شائبة مماثلة أو مشابهة بينه وبين الحوادث ، وأعتقد : أنه ليس هناك إثنان من العقلاء يختلفان فى علم وثقة الإمام " ابن قيم الجوزية " رحمة الله عليه ، وما تمثله آراؤه وأفكاره ومذاهبه التى دافع بها عن أصول وأركان الإيمان ، والعقيدة والشريعة والأخلاق الإسلامية ، ومازال السواد الأعظم من الباحثين والمفكرين والأئمة : يرجعون إلى آثاره العلمية القيمة التى خلفها للتراث الإسلامى الأصيل ، لكى يوثقوا أو يعضدوا أفكارهم ومذاهبهم التى يؤمنون بها ويدافعون عنها .

ومع هذا فقد وجدنا من علماء الإسلام — سامحهم الله — لا يوافق على ما ذهب إليه الإمام " ابن قيم الجوزية " رحمة الله عليه ، فى عدم الطعن فى أصحاب التأويل ناهيك عن غيرهم من المخالفين لمذهب " أهل السنة والجماعة " فتارة يصفهم بالفساد ، وتراة بالضلال ، وتارة بالمبتدعة وتارة : بالجهل وضيق النفس ، وقبل هذا وبعده : القول على " الله " تعالى بغير علم ، فهذا وصف أحد العلماء : لكل من أول أو رضى بالتأويل من أئمة " أهل السنة والجماعة " سواء كانوا " أشاعرة " أو " ماتريدية " مع ما يوجد فيهم من علماء وأئمة كانوا — ومازالوا — موضع ثقة " جمهور المسلمين " ومازالت آثارهم العلمية يرجع إليها السواد الأعظم من الباحثين والمفكرين وأئمة الدين على تباين مذاهبهم وأمكنتهم وأزمنتهم .

الذين منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ - الإمام " أبو الحسن الأشعرى " رحمة الله عليه .
٢ - الإمام " أبو حامد الغزالى " رحمة الله عليه .
٣ - الإمام " ابن حزم " رحمة الله عليه .
٤ - الإمام " القرطبى "رحمة الله عليه .
٥ - الإمام " فخر الدين الرازى " رحمة الله عليه .

فهؤلاء أئمة الإسلام والمدافعين عنه : قد ذهبوا إلى التأويل فى بعض الأحيان بهدف تنزيه " الله " تعالى وصفاته وأفعاله عن مشابهة الحوادث ، بعد توافر قيود وشروط خاصة ، وبعد انصرافهم عن عملهم يسألون " الله " تعالى العفو فى الدين والدنيا والآخرة ، وتوافر النية الصادقة فى هذا العمل الجليل .

وإليك نص ما قاله الإمام " محمد بن عبد الوهاب " فى أصحاب مذهب التأويل ، وكل من رضى بالتأويل ، فقال تحت عنوان " القول على الله بلا علم" :-

" وهو أساس كل فساد ، وأصل الضلال ، وأكثر الناس حظا من هذه الخصلة الجاهلية " مبتدعة المتكلمين " فقد تكلموا فى الصفات الإلهية مما لم ينزل " الله " به من سلطان ، وأوّلوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم ، كما فعله " الرازى " فى كتابه " أساس التقديس "،وجزى الله شيخ الإسلام — يقصد الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه- خيرا فقد ردّ عليه ، ونقض أساسه ، وسجل ضلاله وجهله ، وضيق أنفاسه " . [1]

فهذا نص ما قاله الإمام " ابن قيم الجوزية " والإمام " محمد بن عبد الوهاب " والإمام " الألوسى " رحمة الله عليهم أجمعين فى هذه المسألة الإلهية الهامة وحكمهم على أصحاب " مذهب التأويل " وكم بين الحكمين من بعد واختلاف كما بعدت السماء عن الأرض .

والسؤال الذى لابد منه هل الإمام " ابن قيم الجوزية " رحمة الله عليه أقل معرفة بأصول وأركان الإيمان ، وأحكام العقيدة والشريعة وأقل دراية بعلم الكلام وأئمته ومذاهبه من غيره أم ماذا ؟

وأترك الإجابة على هذا السؤال للقارئ الكريم ليقول فيه رأيه .

---

(١) الإمام محمد بن عبد الوهاب : مسائل الجاهلية التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ١٤٤ .

كما أن هناك سؤالا آخر : هل أئمة الإسلام وعلمائه الأجلاء الذين لجئـــوا لتأويل بعض النصوص السمعية والأخبار الإلهية — للضــــرورة — يســتحقون هــذه الأوصاف المشينة ، والأحكام التى أطلقها الإمام " محمد بن عبد الوهاب " و " الإمــام الألوسى " ؟

وأترك الإجابة على هذا السؤال كذلك للقارئ الكريم .

مســـألة خلافيــــة

وهناك مسألة خلافية لها صلة وعلاقة تامة بما سبق . وهى مسألة " استواء الله على العرش " ، فهذه المسألة لم تتفق فيها كلمة المذاهب الإسلامية على رأى واحـــد بشأنها أيضا .

فقد تباينت الآراء فى تفسير معنى الاستواء ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى إنكار استواؤه " تعالى " أصلا على عرشه ، مخالفين بهذا النصوص السمعية والبراهين العقليــة التى تشهد وتؤكد استواؤه " تعالى " على العرش .

وبداية نستمع إلى الإمام " ابن قيم الجوزية " رحمة الله عليه وهو يقدم هـــذا البيان الذى يعرض فيه لموقف الفرق والطوائف الإسلامية فى هذه المسألة الإلهية الهامــة فيقول :

" وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [1] يتضمن إبطال قول" المعطلة" و " الجهمية " الذين يقولون : ليس على العرش شئ سوى العـــدم ، وأن الله ليـــس مستويا على عرشه ، ولا ترفع إليه الأيدى ، ولا يصعد إليه الكلم الطيب ، ولارفــع "المسيح " عليه الصلاة والسلام إليه ، ولا عرج برسوله " محمد "صلى الله عليه وسلم،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

ولا تعرج الملائكة والروح إليه ، ولا يترل من عنده " جبريل " عليه الصلاة والسلام ، ولا غيره ولا يترل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ، ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم ، ولا يراه المؤمنون فى الدار الآخرة عيانا بأبصارهم من فوقهم ، ولا تجـوز الإشارة إليه بالأصبع إلى فوق كما أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى أعظم مجامعه فى " حجة الوداع " ، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى النـاس ويقـول : " اللهم اشهد " .

قال شيخ الإسلام : وهذا كتاب " الله " من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة ، والتابعين ، وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شئ وأنه فوق [illegible]ش ، وفوق السـموات مستو على عرشه " . [1]

وإذا استعرضنا المذاهب الإسلامية فى هذه المسألة الهامة نجد أنها تنحصر فى أربعة مذاهب هى :

أولهـا : ينكر استواء " الله " تعالى على عرشه بالمرة ، وهم " الجهمية "و" المعطلة" ولا يلتفت إلى مذهبهم هذا لمخالفته " للنقل والعقل " وإجماع " جمـهور المسلمين " .

ثانيهـا : أثبت استواء " الله " تعالى على عرشه ، كما ثبت بالنصوص السـمعية ، والبراهين العقلية ، ولكن بدون كيفية ، ودون تعرض لتفسير أو تـأويل لمعنى الاستواء ، وقالوا إن المطلوب هو الإيمان بالاستواء ، وليس البحث أو السؤال عن كيفية الاستواء ، وهذا مذهب السلف ال[illegible]ـمة .

ثالثهـا : أثبت استواء " الله " تعالى على عرشه — شأنهم شأن مذهب السـلف — لكنهم فسروا الاستواء بالإستيلاء ، وقالـوا : إن اللغة العربية تؤيـد

(١) الإمام ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٤٥ .

وتؤكد تفسيرهم وتأويلهم هذا فالإستيلاء فى اللغة جاء بمعـــانى متعـــددة منها :

الإستيلاء ، والغلبة ، والقهر ، ومعلوم : أن " الله " تعالى غالب على أمـره وقاهر لكل ظالم وجائر ، وهذا هو معنى الاستواء المجازى .

رابعهـــا : أثبت استواء " الله " تعالى على عرشه بالمعنى الحقيقى للإستواء ، والـــذى يعنى لغويا : العلو ، والإرتفاع ، والتمكن وهو مذهب المتـــأخرين مـــن علماء " أهل السنة والجماعة " . [1]

وعلى هذا : يكون فى هذه المسألة الإلهية الهامة أربعة مذاهب كل مذهب منـــها يمثل جماعة من الجماعات الإسلامية ، وإذا مااستبعدنا المذهب الأول : الـــذى ينكـــر استواء " الله " تعالى على عرشه ، وذلك لشذوذه ومخالفته " للنقـــل " و " العقـــل " وإجماع " جمهور المسلمين " .

يبقى ثلاثة مذاهب ، وإذا دققنا النظر نجد : أنهما يعبران عن مذهبين فقـــط لا ثلاثة كيف ؟

لأن المذهب الأول : الذى يثبت استواء " الله " تعالى على عرشه بدون كيفيـــة أو تفسير ، أو تأويل لمعنى الإستواء ، وهو مذهب " السلف " عامة ، والإمام " مـــالك بن أنس " خاصة ، هو نفس المذهب الرابع : الذى يثبت استواء " الله " تعالى علـــى عرشه بالمعنى الحقيقى للإستواء . وهو العلو والارتفاع ، والتمكن غاية مافى الأمر أن أصحاب المذهب الأول — السلف — لم يفسروا أو يأولوا معـــنى الاســـتواء ولكـــن أصحاب المذهب الرابع : وهو امتداد لمذهب " السلف " رضوان الله عليهم أجمعين قد فسروا أو أولوا الإستواء بهذا المعنى ، وقالوا أن لهم سندا لغويا فى هذا التفسير والتأويل.

---

(١) راجع الإمام ابن قيم الجوزية : إجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٩ بتصرف .

أما أصحاب المذهب الثالث : الذين أثبتوا استواء " الله " تعالى على عرشـــه ، فهم متفقون مع المذهب الأول والرابع فى ذلك لكنهم اختلفـــوا معـــهم فى تفســير الإستواء : بالإستيلاء ، والغلبة والقهر ، وذلك بالمعنى المجازى وليس الحقيقى للإستواء ، ومع هذا : فإن لهم سندا لغويا كذلك فى هذا التفسير والتأويل .

ومن جهتى فإنى أرى أن الأسلم والأفضل فى هذه المذاهب هو مذهب السلف الصالح الذى يتوقف عن البحث والسؤال فى مثل هذه المسائل الإلهية الخاصـــة — إن صح التعبير — وذلك للاحتراز من الوقوع فى الزلل أو الخطأ ، فالسكوت عن بحـــث هذه الأمور أولى وأسلم من بحثها والخطأ فيها ، لأن البحث أو الجدل والجدال فى مثل هذه الأمور الإلهية ليس مأمونا من الزلل ، و تجاوز المسموح به على الأقل .

لذا فإن الإنسان المؤمن يقع فى أحد محظورين بسبب هذه المسألة :

أولهما : لو اعتقد أن معنى الإستواء . هو الإستقرار على العـــرش ، فـــهذا الإعتقاد أو القول لا يخلو صاحبه من شبهة التجسيم ، وإذا ماحاول الإنسان أن ينفـــى هذه الشبهة عن نفسه ، فإنه يكون مصرا على القول أو الاعتقاد بالتجسيم ، أى شـبيه بمن يقول : " أن الله جسم " تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ثانيهما : أن المؤمن لو أنكر استقرار " الله " تعالى على عرشه ؟ فإنـــه — فى هذه الحالة — يكون مخالفا لمذهب " أهل الحق " الذين يؤمنون باستواء " الله " تعـــالى على العرش بدون كيفية .

ولعل مايؤكد هذا المعنى ماقاله " أحد الأئمة " بقوله :

" إعلم أن من أجرى الإستواء على العرش على ما ينبى عنه ظاهر اللفظ وهـــو الإستقرار على العرش ، فقد التزم التجسيم ، وإن تشكك فى ذلك ؟ كان فى حكـــم

المصمم على التجسيم أيضا ، وإن قطع باستحالة الإستقرار على العرش ؟ فقد تـأول الظاهر وهو اعتقاد " أهل الحق " . [1]

وعليه فالرجوع إلى الحق وطريق " أهل الحق " فضيلة كـبرى ولا يـترك الإنسان لنفسه الحرية فى بحث مثل هذه المسائل الإلهية التى لا يعلم وجه الحق والصواب والقول الفصل فيها إلا " الله " تعالى وحده ، وهذا ما فعله " ملائكة الله " تعالى ، و " رسله " عليهم الصلاة والسلام الذين اعترفوا بقصورهم وعجزهم أمام علـم " الله " تعالى الذى وسع كل شئ .

أما أن يقحم الإنسان نفسه فى مثل هذه المسائل الإلهية عن طريق فتح بـاب السؤال والجدل والجدال فيها .

فإن هذا الباب لا يسلم أصحابه من العـداوة ، والكراهيـة ، والاختـلاف والخصومات ، بل وإلى إصدار الأحكام — الجائرة — أحيانا لذا فـإن الرجـوع إلى مذهب " السلف " الصالح رضوان الله عليهم أجمعين : هو الأسلم والأفضل والأعلـم كذلك .

وقد أشار أحد أئمة " أهل السنة والجماعة " إلى هذا المعنى بقوله :

" وبالجملة فإطالة ذيول الكلام فى مثل هذا المقـام ، إضاعـة للأوقـات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ، وليس مقصودنا ها هنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق فى الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تـأويل ، ولا تحريف ، ولا تكلف ، ولا تعسف ، ولا جبر ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، وإن ذلك هو مذهب " السلف الصالح " من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جملة الصفات الـتى أمرّها " السلف " على ظاهرها ، وأجروها على ماجاء به القرآن والسـنة مـن دون تكلف ، ولا تأويل صفة " الإستواء " التى ذكرها " السائل " .

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٤ ص ٨٠ .

يقولون : نحن نثبت ما أثبته " الله " لنفسه من استوائه على عرشه ، على هيئة لا يعلمها إلا هو ، وكيفية لا يدرى بها سواه ، ولا نكلف أنفسنا غير هذا ، فليس كمثله شئ ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا يحيط عباده به علما " . [1]

وأخيرا علينا جميعا الاعتصام بحبل " الله " تعالى ، وذلك احترازا من التفـــرق والاختلاف ، والضلال والإضلال ، والفساد والإفساد ، فمـــا تبـــاينت الآراء ، ولا ضلت العقول ، ولا تخاصمت الطوائف والفرق ؟ إلا بسبب البعد عن كتـــاب " الله " تعالى ، وعدم فهم أصوله وأحكامه ، وقواعد الإسلام وشريعته ، وكذلك بسبب عدم التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، ومذهـــب " الســـلف الصـــالح " والصحابة والتابعين ، ومن اتبع هداهم وسلك سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) الإمام الشوكانى : التحف فى مذاهب السلف ص ٢٢ - ٢٨ باختصار .

الباب الثالث

أفعال الله تعالى

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ما يستحيل فى حق الله تعالى .

الفصل الثانى : ما يجوز فى حق الله تعالى .

الفصل الثالث : القضاء والقدر .

الفصل الأول
ما يستحيل فى حق الله تعالى

اتفق " أهل السنة والجماعة " على أنه يجب " لله " تعالى كل كمال ويستحيل عليه كل نقص ، وقد ثبت بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية الصحيحة " لله " تعالى صفات القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والسمع والبصر ، والحياة ، والكلام ، والقدم ، والبقاء ، والقيام بالنفس ، والمخالفة للحوادث ، والوحدانية.

لذا فإنه " تعالى " يستحيل عليه أضدادها وهى : العجز ، والكراهية والجهل ، والصمم ، والعمى ، والفناء ، والبكم ، والحدوث ، والعدم ، والاحتياج ، ومماثلة أو مشابهة الحوادث ، واشتراك غيره معه فى الألوهية أو الربوبية ، وغير ذلك من صفات الحوادث ، مثل النوم ، والغفلة ، والنسيان ، لأن كل قابل للشئ لا يخلو عنه أو ضده، وأن " الله " تعالى قابل للصفات الواجبة واللائقة بذاته ، فإذا لم يتصف " الله " تعالى بهذه الصفات ؟ لزم أن يتصف بأضدادها ، وأضدادها نقص ، والنقص على " الله " تعالى محال ، لأنه من صفات الحوادث أو المخلوقات وليس " الخالق " تعالى .

وقد برهنوا على هذا بالبراهين العقلية الصحيحة المستنبطة من النصوص السمعية وها هو أحد الأئمة يعبر عن مذهب " أهل السنة والجماعة " فيما يخص ذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله بقوله : -

" وأجمعوا على نفى الآفات ، والغموم ، والآلام ، واللذات عنه ، وعلى نفى الحركة والسكون عنه ، على خلاف قول " الهاشمية " من " الرافضة " فى قولها : بجواز الحركة عليه ، وفى دعواهم : أن مكانه حدث من حركته ، وخلاف من أجاز عليه التعب ، والراحة ، والغم ، والسرور ، والملالة ، كما حكى عنه " أبى شعيب الناسك" تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأجمعوا على أن " الله " تعالى غنى عن خلقه ، لا يجتلب بخلقه إلى نفسه نفعا، ولا يدفع بهم عن نفسه ضررا ، وهذا خلاف قول " المجوس " فى دعواهم أن " الله " تعالى إنما خلق الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان ، وأذى أعوانه ، وأجمعوا : على أن " صانع العالم واحد " على خلاف قول " الثنوية " بصانعين قديمين ، أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وخلاف قول " المجوس " : بصانعين أحدهما أنه قديم إسمه عندهم " يزدان " والآخر شيطان رجيم إسمه " أهرمن " ، وخلاف قول " المفوضة " من غلاة الروافض : فى أن " الله " تعالى فوّض تدبير العالم إلى " عليّ " فهو الخالق الثانى ، وخلاف قول " الخابطية " من القدرية أتباع " أحمد بن خابط " فى قولهم أن " الله " تعالى فوّض تدبير العالم إلى " عيسى ابن مريم وأنه هو الخالق الثانى " . (1)

كما أجمع " أهل السنة والجماعة " على أن " الله " تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته " تعالى " وصفاته وأفعاله ، وأنه منزه عن كل نقص يستحيل عليه وعلى صفاته وأفعاله ، وقد ثبت هذا بالدليل النقلى والبرهان العقلى ، بحيث لا ينكره إلا كل كاذب كفار ، لأنه ثبت بالدليل النقلى ، والبرهان العقلى : أن " الله " تعالى ليس كمثله شئ فى ذاته ، أو صفاته ، أو أفعاله ، ومنزه عن أمور الحوادث ، لأن ما لا يخلوا من الحوادث يكون حادثا .

ولعل هذا المعنى يؤكده " أحد العلماء " بقوله :

" فإن " الله " تعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (2) ففى هذا الإثبات : ما يقرر معنى النفى ، ففهم أن المراد انفراده " سبحانه " بصفات الكمال ، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسله ليس كمثله شئ من صفاته ، ولا فى أسمائه ، ولا فى أفعاله ، مما أخبرنا به من صفاته ، وله صفات لم يطلع عليها

---

(1) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(2) سورة الشورى آية : ١١ .

أحد من خلقه ، كما قال رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم فى دعـــاء الكـــرب : " اللهم إنى أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتـــابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيـــم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى " [1] ، وليس قـــول " الشيخ " رحمة الله عليه " ولا شئ يعجزه " من النفى المذموم ، فإن " الله " تعـــالى قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْـــأَرْضِ إِنَّـــهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [2] فنبه سبحانه وتعالى فى آخر الآية . على دليل انتفاء العجز وهـــو كمال العلم والقدرة ، فإن العجز إنما ينشأ ؟ إما من ضعف عن القيام بما يريده الفاعل وإما من عدم علمه به .

و " الله " تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهو على كل شئ قدير ، وقد علـــم ببدائه العقول والفطر : كمال قدرته وعلمه ، فانتفى العجز لما بينه وبين القدرة مـــن التضاد ، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون " إلها " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ". [3]

وقد تعددت البراهين العقلية المأخوذة من الأدلة النقلية على أن " الله " تعـــالى متره عن النقائص ، لأنها من صفات الحوادث أو المخلوقات ، وهذا ما أجمع عليـــه " أهل السنة والجماعة " مخالفين بهذا من سواهم ، الذين لم يقدروا " الله " تعالى حـــق قدره ، وشبهوا فى صفاته ، وفى أفعاله ، وفى ذاته ، تعالى " الله " عما يقول الظـــالمون علوا كبيرا ، فمرة : يجعلوه تعالى " محلا للحوادث ، ومرة ينفون عنه ما أثبته لنفســه ، ومرة : يثبتون له ماالمستحال عليه سبحانه وتعالى ، ومرة : ينسبون إليه والدة وولـــد ، ومرة : يجعلون معه شريكا وشركاء ، ومرة : ينفون عنه القدرة التامة أو العلم التـــام ، وهكذا إلى آخر الاستحالات والنقائص التى تتره " الله " تعالى عنها فى كتابه ، وعلى

---

(١) حديث صحيح : ١٩٩ .

(٢) سورة فاطر آية : ٤٤ .

(٣) أبن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

ألسنة "رسله" عليهم الصلاة والسلام ، وإجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والمتأخرين من " أهل السنة والجماعة " رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، ومهما نزهنا " الله " تعالى عن النقائص ، وأثبتنا له كل كمال ؟ فلن نوفيه حقه ، ولن نستطيع أن نقوم بواجبنا نحوه عز وجل ، لأن من طبيعتنا العجز والنقص والسهو والنسيان .

ولهذا كان مذهب " السلف " الصالح يتمثل فى الإيمان بكل ما ورد فى كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات إيجابية ومن صفات الكمال والجلال ، ولا يجادلون ولا يسألون عما خفى عليهم من معانى صفاته وأفعاله عز وجل ، وذلك لوقوع بعض الأمور على خلاف مفهوم العقول الإنسانية ، التى تنظر للأشياء من جهة واحدة ، أو بمفهوم قاصر ، ثم بعد مدة يتبين لهم خلاف ما فهموه ، ويتأكد لهم صدق وصواب ما أراده " الله " تعالى ، وهذا التبيان لأفعال " الله " تعالى : لم يتيسر للجميع ، وإنما يعرفه البعض حق المعرفة ، ويغيب عنه الكثير ، وكان مذهب " السلف " الصالح رضوان الله عليهم أجمعين : يتمثل فى إرجاع ورد كل شئ إلى " الله " تعالى ، ما علموا منه ، وما جهلوا ، لأنهم لا يعرفون الخير فيما نزل ، أو فيما غاب عنهم ، وذلك فى إطار مفهوم قول الله تعالى فى كتابه الكريم : -

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (1)

أما الذين يقيسون الأمور بمقاييس وحسابات وقتية عارضة ، وينظرون إليها نظرة سطحية وبمعايير بعيدة كل البعد عن التسليم والرضا بكل ما قضى " الله " تعالى به . فإنهم — بلا شك — قد أخطأوا الحسابات ، وأساءوا التصرفات ، وبعدوا عن سواء السبيل ، لأن الإيمان الحقيقى لم يدخل فى قلوبهم بعد ، ولم يشعروا بحلاوته

---

(1) سورة البقرة آية : ٢١٦ .

ولذته ، و لم ينعكس بالإيجاب على أقوالهم وأفعالهم ، وما زالت أغشية قلوبهم مليئة بمؤثرات خارجية دنيوية صرفة .

وهذا أحد الأئمة يوضح مذهب " السلف " الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فيما يجب " لله " تعالى ، وفيما يستحيل عليه بقوله :-

" ومن الإيمان بالله بما وصف به نفسه من غير تحريف فى كتابه ، وبما وصف به " رسوله " من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن " الله " سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1] فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون فى أسماء " الله " وآياته ، ولا يكيفون ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه " سبحانه " لانظير له ولا كفئ له ، ولاند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه " . [2]

وانطلاقا من قاعدة : أن " الله " تعالى وصفاته وأفعاله فوق كل وصف وفوق كل تعليل أو سؤال ، وفوق كل تصور بشرى ،ولأن الوقوف على هذا ؟ لا يتيسر لأحد مهما علت درجته حتى ولو كان " ملكا مقربا " أو " نبيا مرسلا " .

فقد قام أئمة الإسلام وعلمائه بالرد على الذين يلحدون فى أسماء " الله " تعالى وصفاته ، وأفعاله ، ويقولون على " الله " تعالى بغير علم أو دليل من " نقل " أو "عقل سليم " وقياسهم الأمور الإلهية بالأمور الحادثة المخلوقة .

فهذا أحد الأئمة يوضح هذه النقطة بقوله :-

" قال أهل اللغة معنى الإلحاد فى اللغة : الميل عن القصد ، وقال " المحققون " : الإلحاد فى أسماء " الله " تعالى يقع على ثلاثة أوجه هى :-

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) الإمـــام ابن تيمية : العقيدة الواسطية ص ١٧ — ٢٣ .

الأول : إطلاق أسماء " الله " المقدسة الطاهرة على غير " الله " تعالى ، مثل الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة .

والثانى : أن يسموا " الله " تعالى بما لا يجوز تسميته به ، مثل تسمية من سماه " أبا للمسيح " .

والثالث : أن يذكر العبد " ربه " تعالى بلفظ لايعرف معناه ، ولا يتصور مسماه ".(1)

وهكذا : لابد من التمسك بما ورد فى كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أمور تتصل بذات " الله " تعالى وصفاته وأفعاله ، وعدم السير وراء " المبتدعة " من المشبهة والمجسمة ، والمعطلة ، ومن حذا حذوهم ، الذين خالفوا كل معروف وجاءوا بكل منكر وتركوا الصواب والسلامة ، وآثروا البدع والتحريف .

---

(1) الإمام الرازى : تفسير الرازى " مفاتيح الغيب " ج١٥ ، ص ١٧ .

الفصـــل الثانى

ما يجـــــــــوز

فـــى

حــــــق " الله " تعالـــــــــى

كما اتفق " أهل السنة والجماعة " على أنه يستحيل على " الله " تعالى وصفاته وأفعاله كل نقص ، وذلك بالأدلة النقلية ، والبراهين العقلية ، وأثبتوا له " تعالى " كل كمالٍيليق بذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، فقد اتفقوا : على أنه يجوز فى حق " الله " تعالى فعل كل ممكن وتركه ، وذلك مثل " الخلق "و" الرحمة " و " العذاب " و " الإحياء "، و " الإماتة " وغيرها من أمور يجوز فعلها ، ويجوز تركها .

واتفقوا أيضا على أنه لا يجب على " الله " تعالى شئ نحو خلقه ، ولا يُسأل عما يفعل لأنه ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [1] متصرف فى ملكه كيفما يشاء ، وبما يشاء لايشاركه فى أمره أحد ولا يحول دون إرادته حائل ، وأن أفعاله " تعالى " جارية على وفق الحكمة والعدل والرحمة ، سواء علم الخلق تلك الحكمة ، أو لم يعلموا ؟

وإذا ما نظرنا فى كتاب الله تعالى نجد أنه يؤكد هذه المعانى خير تأكيد حتى لايبقى هناك أى شبهة للشاكين والمشككين فى أفعال " الله " تعالى وإرادته ، فمن النصوص القرآنية التى تشير إلى هذا :-

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

٢ - قول الله تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [3]

٣- قول الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [4]

---

(١) سورة البروج آية : ١٦ .

(٢) سورة يونس آية : ١٠٧ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٥٤ .

(٤) سورة القصص آية : ٦٨ .

وإذا كانت هذه هى بعض النصوص القرآنية التى تؤكد على أن " الله " تعالى لا يجب عليه شئ نحو خلقه ، وإنما يفعل ما يفعل ، ويعطى من يعطى من باب الفضل والرحمة كذلك " العقل " يؤكد هذا المعنى القرآنى ، لذا فإنه يقول :

لو وجب على " الله " تعالى فعل شئ من الممكنات ، أو استحال وعجز عن فعل شئ منها ؟

فيصير — فى هذه الحالة — الممكن واجبا ، أو مستحيلا ، ولكن صيرورة الممكن واجبا أو مستحيلا ، باطل وفاسد ، فلم يبق إلا القول : أن " الله " تعالى يجوز عليه فعل كل ممكن وتركه ، وأنه لا يجب عليه شئ سبحانه وتعالى .

وفى السطور التالية نعرض لبعض الأمور الجائزة عقلا ، والثابتة سمعا ، من هذه الأمور الإلهية :-

مسألة رؤية " الله " عز وجل فى الآخرة : التى تباينت فيها المذاهب الإسلامية ، واختلفت فى معناها كثير من العقول الإنسانية ما بين مثبت لها ، ومنكر لوقوعها .

وكل فريق يستشهد على مذهبه بنصوص سمعية ، وبراهين عقلية ، كما أن كل فريق يفسر أو يأول تلك النصوص على وفق ما يتوافق مع مذهبه .

وعلى كل فسوف نعرض للمذهبين ثم ننظر فيهما لنرى الصواب منهما ، والأقوى بأدلته من غيره ؟

جمهور المسلمين ، ورؤية الله تعالى :

والمذهب الأول فى هذه المسألة الإلهية الهامة يمثله "جمهور المسلمين" الذين قالوا : إن رؤية " الله " تعالى جائزة عقلا ، وثابتة سمعا ، وذلك بالنصوص السمعية التى سنذكرها وبرهنوا بطريق " العقل " على أن " الله " تعالى يُرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة فى رؤية الأجسام ، أو المخلوقات والحوادث ، لأنه ليس له مثل

فى ذاته ، أو صفاته أو أفعاله ، أو أسمائه .

كما أنه " تعالى " يُرى من غير إحاطة ، وعند رؤية " المخلوق " له تعالى يُحار فى عظمته وجلاله ، لدرجة أنه لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله .

و لم لا ؟ ! والعقل — فى هذه الحالة — يعجز عن الفهم والإدراك وأن كل شئ يتلاشى ويغيب بجوار عظمة " الله " الواحد القهار ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

النصوص السمعية والرؤية

استدل " جمهور المسلمين " الذين يمثلون مذهب " أهل السنة والجماعة " بنصوص من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على جواز رؤية " الله " تعالى فى الآخرة منها :

١ - قول الله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢)

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة على رؤية " الله " تعالى : أن الله تعالى ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ويكون بالنفى إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفى السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية وبنفى الموت الذى يتضمن كمال الحياة وهكذا !

---

(١) سورة النور آية : ٣٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

فالآية الكريم تدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شئ ، وأنه يـُرى ، ولكن تعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب لا يُدْرَك بالأبصار ، ولا يحاط به علما ، كما قال تعالى : **﴿ ولا يحيطون به علما﴾** [1] .

٢ - قول الله تعالى **﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظـــر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانـــي فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال ســبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾** [2] .

وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة على مذهبهم فى الرؤية من وجهين :

أولهما : أنه لا يظن بكليم " الله " تعالى ورسوله الكريم ، واعلم الناس بربـه فى وقته : أن يسأل ما لا يجوز على الله تعالى ، بل هو من أعظم المحال ، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام الجهل بشئ من أحكام الألوهية، فكيف يجوز " للمعتزلى " المنكر للرؤية أن يكون أعلم من " موســـى " عليــه السلام ، فيما يجب " لله " تعالى ، ويستحيل عليه مع أن المقصود مـــن بعثـة " الأنبياء " عليهم السلام الدعوة إلى العقائد والأعمال الصالحة ؟

ثانيهما : قال الله تعالى **﴿ لن تراني ﴾** [3] و لم يقل إنى لا أُرى أو لا تجـوز رؤيتى ، أو لست بمرئى والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كـــان فى كمه حجر ، فظنه رجل طعاما ، فقال : اطعمنيه .

فالجواب الصحيح أنه لا يُؤكل ، أما إذا كان طعاما صح أن يقال إنك لن تأكله وهذا يدل على أن " الله " سبحانه مرئى ، ولكن " موسى " عليه الســـلام لا

---

(١) سورة طـه آيـة : ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار – الدنيا – لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى " ويوضحه قوله تعالى **﴿ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾** [1] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى فى هذه الدار ، فكيف بالبشر الذى خلق من ضعف ؟ .

٣ – قول الله تعالى : **﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾** [2] والحسنى : الجنة ، والزيادة الرؤية كما ثبت بالحديث الصحيح الذى رواه الإمام " مسلم " رحمة الله عليه .

٤ – قول الله تعالى **﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴾** [3] ومعنى ناضرة جميلة وناظرة : من النظر أى الرؤية .
ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة على ثبوت رؤية " الله " تعالى فى الآخرة : أن النظر يفيد الرؤية إذا تعدى " بإلى " كما فى هذه الآية الكريمة ، ويفيد الانتظار إذا تعدى بنفسه كقوله تعالى : **﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾** [4] ويفيد معنى التفكر والاعتبار إذا تعدى " بفى " مثل : نظرت فى الكتاب والأمر ويفيد معنى الرأفة إذا تعدى " باللام " مثل : نظر السلطان لفلان .

٥ – الحديث الصحيح الذى رواه الصحابى الجليل " أبو هريرة " رضى الله عنه : " أن الناس قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .
(٢) سورة يونس آية : ٢٦ .
(٣) سورة القيامة آية : ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) سورة الحديد آية : ١٣ .

قال : فإنكم ترونه كذلك " [1]

٦ - الحديث الصحيح الذى رواه " صهيب " رضى الله عنه قال : " أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية **﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيـادة ﴾** [2] قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد ، يا أهل الجنة إن لكم عند " الله " موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقـل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، قال : فو الله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر بأعينهم " [3] .

فهذه هى أدلة " جمهور المسلمين " فى ثبوت رؤية " الله " تعالى فى الآخرة . [4]

فهل فى هذه النصوص النقلية ما تحيله العقول أو تستنكره حتى تشـذ شـرذمة قليلة عن إجماع " جمهور المسلمين " وينفون رؤية " الله " تعالى بناء على فهمـهم الخاطئ لهذه النصوص القرآنية وقيامهم بصرف نصوص نقليـة — أخـرى — عـن ظواهرها لتتوافق مع مذهبهم فى هذه المسألة الإلهية ؟

---

(١) الحديث متفق عليه ، ورواه الإمام البخارى فى كتاب التوحيد ، بـاب قـول الله تعـالى : **﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴾** .

(٢) سورة يونس آية : ٢٦ .

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين [illegible] ـرة ربهم سبحانه .

(٤) راجع الإمام ابن قيم الجوزية : حادى الأرواح ص ٢٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ بتصرف ، ابـن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ وما بعدها ، ابـن الهمـام : المسـايرة ص ٤١ ، السفارينى : الوامع الأنوار البهية ج٢ ص ٢٤٠ وما بعدها ، الملطـى : التنبيـه ص ١١٦ ، ١١٧ ، البغدادى : أصول الدين ص ١٠٠ .

العقل ورؤية الله تعالى

هذا وهناك أدلة عقلية كثيرة مستنبطة من الأدلة النقلية من هذه الأدلة النقلية والعقلية :-

١ - سئل الصحابى الجليل " ابن عباس " رضى الله عنهما . هل رأى " محمد " صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قال : نعم رآه ، قال " عكرمة " : فقيل لابن عباس أليس الله تعالى يقول : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [1] ، قال " ابن عباس " : لا أُمَّ لك ذلك نوره الذى هو نوره ، إذا تجلى به لم يستقم به شئ . [2]

٢ - قال الإمام مجاهد رضى الله عنه : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ﴿ لن تراني ﴾ [3] لأنك لا تطيق ذلك ، ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى ؟ أمكن أن ترانى أنت وإن لم يطق الجبل ؟ فأحرى ألا تطيق أنت ، فعلى هذا جعل " الله " الجبل مثالا " لموسى " و لم يجعل الرؤية مستحيلة على الإطلاق . [4]

٣ - قال الإمام ابن كثير رحمة الله عليه : ونفى الإدراك الخاص لا ينفى الرؤية يوم القيامة ، إذ يتجلى " الله " لعباده المؤمنين كما يشاء فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه " تعالى " وتقدس ؟ فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت " عائشة " رضى الله عنها : تثبت الرؤية فى الآخرة وتنفيها فى الدنيا وتحتج بهذه الآية . [5]

٤ - قال الإمام " الغزالى " رحمة الله عليه " أجمع الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين — أن " الله " تعالى يُرى فى الآخرة ، لابتهالهم إلى " الله "

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى كتاب التفسير باب سورة النجم الجزء الخامس ص٦٩، ٧٠ وقال حديث حسن غريب

(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٤) الشيخ الصابونى : صفوة التفاسير ، المجلد الأول ص ٤٧٢ .

(٥) الشيخ الصابونى : صفوة التفاسير ، المجلد الأول ص ٤١٠ .

سبحانه فى طلب لذة النظر إلى وجهه الكريم واعتقادهم بذلك ، كان ذلك قرائن من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجملة من ألفاظه الصريحة التى لا تدخل تحت الحصر " . (١)

٥ - كما استدل " جمهور المسلمين " بهذا البرهان العقلى الذى يقول ((إن " الله " تعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يُرى ، فالبارى عز وجل يصح أن يُرى ، وكما جاز أن يعلم " البارى " عز وجل من غير كيفية وصورة ، جاز أن يُرى من غير كيفية وصورة)) . (٢)

هذا فيما يتعلق بأدلة المذهب الأول وهو مذهب " جمهور المسلمين فى مسألة رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وهى كما نرى أدلة صريحة وقوية ، لا تحتمل التأويل أو صرفها عن غير معناها الحقيقى بالإضافة إلى أنها متفق عليها من " جمهور المسلمين " ، والآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن ؟ تدعم وتقوى الأحاديث النبوية الشريفة الواردة بهذه المسألة الإلهية الهامة فقد رواها نحو ثلاثين صحابيا من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا قال أحد أئمة " أهل السنة والجماعة " : " ومن أراد الوقوف عليها ؟ فليواظب سماع الأحاديث النبوية فإن فيها مع إثبات الرؤية ، أنه يكلم من شاء إذا شاء وأنه يأتى لفصل القضاء يوم القيامة ، وأنه فوق العالم ، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب ، وأنه يتجلى لعباده ، وأنه يضحك ، إلى غير ذلك من الصفات التى سماعها على " الجهمية " بمنزلة الصواعق . (٣)

---

(١) الإمام الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٢ .

(٢) الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ١١٥ – ١١٩ باختصار ، البيجورى : شرح البيجورى على الجوهرة ج٢ ص ١٧ ، ابن الهمام : المسامرة ص ٤٣ .

(٣) ابن قيم : حادى الأرواح ص ٢٣ ، وما بعدها ، البغدادى : الفرق ص ٢٠٢ ، السفارينى : لمع الأنوار ج٢ ص ٢٤٣ .

مذهب المنكرين لرؤية الله تعالى

أما مذهب المانعين لرؤية " الله " تعالى . فقد تزعمه " المعتزلة " و " الخوارج " و" الجهمية " و "الإمامية " و " النجارية " و " الزيدية " من الشيعة ، ومن حذا حذوهم من الفرق والطوائف المخالفة لمذهب " أهل السنة والجماعة " ، وقد استدلوا على مذهبهم فى هذه المسألة الإلهية بنصوص سمعية ، وبراهين عقلية فمن النصوص السمعية التى استشهدوا بها :-

١ - قول الله تعالى : **﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾** (١).

٢ - قول الله تعالى : **﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾** (٢)

فهذه أدلتهم التى استشهدوا بها من القرآن الكريم على مذهبهم المانع لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة ، ويلحظ القارئ الكريم أن هاذين الدليلين القرآنيين قد استخدمهما " جمهور المسلمين " أو " أهل السنة والجماعة " على مذهبهم المثبت لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة .

ولكن سلامة الفهم من عدمه هو الذى يميز بين القائلين بالجواز والقائلين بالمنع، وفى السطور التالية نرى رد " أهل السنة والجماعة " على المفكرين لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة ونقف على المفهوم الصحيح من هاتين الآيتين الكريمتين .

---

(١) سورة الأنعام آيـة : ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٠٣ .

رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة

قام علماء " أهل السنة والجماعة " بالرد على النافين لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة بقولهم : " إن هاتين الآيتين المذكورتين دليل على جواز الرؤية ، وليس دليلا على منعها، وعلى هذا فهما دليلان للمجوزين لرؤية " الله " تعالى ، وليس دليلان للمانعين لها .[1]

ونقف عند واحد من المؤيدين لمذهب " المعتزلة " وهو الإمام " الزمخشرى " الذى حاول أن يؤيد مذهبه فى هذه المسألة الهامة عن طريق تفسيره ، أو تأويله — بمعنى أدق — لبعض معانى الآيات القرآنية التى استشهد بها " المعتزلة " ومن حذا حذوهم .

فزعم — الزمخشرى — أن " لن " فى الآية الكريمة : تفيد التأبيد أى تفيد منع الرؤية مطلقا فى الدنيا والآخرة .

ولكن زعمه هذا مردود عليه من قبل " أهل السنة والجماعة " فقالوا فى الرد عليه :

أ - أن " لن " فى الآية الكريمة لا تفيد التأبيد ، بدليل أن " الله " تعالى أخبر عن " اليهود " بأنهم لن يتمنوا الموت أبدا بقوله سبحانه : **﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾**[2] مع أنهم يتمنون الموت فى الآخرة ليتخلصوا من العذاب بدليل قول الله تعالى **﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك ﴾**[3] فلو كانت " لن " للتأبيد الشامل للدنيا والآخرة — كما زعم الزمخشرى — لما أن يتمنى " اليهود " الموت فى الآخرة .

---

(١) راجع الإمام الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٢١٨ بتصرف ، الإمام الإيجى : المواقف ص ٥٠٣ ، السالمى : مشارق أنوار العقول ج١ ص ٣٦٢ ، ابن القيم : حادى الأرواح ص ٢٢٨ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٧٧ .

ب – " لن " للتوكيد بدلالة قوله " أبدا " قال " " ابن مالك " :

ومن رأى النفى بلن مؤبدا ... فقوله أردد وسواه فاعضدا

وإذا أريد بها التأبيد ؟ فهو على تأبيد النفى فى الدنيا لا فى الآخرة ، بدلالة " لـــن " فى الآية الكريمة ﴿ ولن يتمنوه ﴾ [1] ، وأن هذه الآية الكريمة ﴿ لن ترانـــي ﴾ [2] مـــن أوضح الأدلة على جواز رؤية " الله " تعالى ، لأنها لو كانت مستحيلة لكان معتقـــد جوازها ضالا أو كافرا ، وكيف يعتقد مالايجوز على " الله " تعالى من اصطفاه " الله " تعالى لرسالته ، واجتباه لنبوته ، وخصه بتكريمه ، وشرفه بتكليمه ، وجعله أفضل أهل زمانه ، وأيده ببرهانه . [3]

فهذا ما رد به أئمة " أهل السنة والجماعة " على النافين لرؤية " الله " تعـالى فى الآخرة دون تمييز منهم بين المؤمنين وغيرهم ، وكان الرد قويا وكـــان موجـــها إلى المانعين للرؤية بوجه عام وطائفة " المعتزلة " بوجه خاص .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٣) الإمام الجوينى : لمع الأدلة ص ١١٨ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاويـــة ص ١٩٥ – ١٩٦ .

الدليل العقلى للمنكرين لرؤية { الله } تعالى

هذا وقد استدل النافين لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة بدليل عقلى قالوا فيه :

إن " الله " تعالى لو كان مرئيا لكان مقابلا للرائى بالضرورة ، فيكون فى جهة وحيز " ، فهذا دليل عقلى لمذهب النافين لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة . بناء على هذا القياس — الفاسد — الذى قاسوا فيه الأمور الإلهية بالأمور الحادثة أو المخلوقة ، فهم يقولون إن الرؤية بالنسبة للحوادث ، لا تتم إلا من خلال مقابلة المرئى ، وكونه فى جهة وحيز محددين .

وبناء على هذا ، لو جازت رؤية " الله " تعالى فى الآخرة ، لكان كذلك ، أى فى جهة وحيز ، ومقابلا للرائى ، تعالى " الله " عن قولهم الفاسد علوا كبيرا .

رد أهل السنة والجماعة

وقد رد أهل السنة والجماعة على أدلة النافين لرؤية " الله " تعالى ، وبيانهم المعنى الصحيح من مفهوم الآيتين الكريمتين، وكذلك ردوا على دليلهم العقلى هذا ، محذرين من استعمال القياس الفاسد الذى هو مستحيل فى حق " الله " تعالى وصفاته ، لذا قال أهل السنة والجماعة فى الرد عليهم :-

" إن لزوم الجهة والحيز ممنوع ، إذ الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك ، وكقوة يجعلها " الله " تعالى فى الرائى من غير أن ينقص منه قدر من الإدراك ، ولا يشترط فيها مقابلة المرئى بجهة ، أو فى جهة معها مسافة ، ومن غير إحاطة بمجموع المرئى " [1]

وها هو أحد أئمة أهل السنة والجماعة يعرض لمذهب المعتزلة ومن حذا حذوهم فى هذه المسألة الهامة ، ثم يرد عليه مبينا بطلانه ومخالفته لمنطوق النصوص السمعية ،

---

(١) الإمام الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٤ بتصرف ، الإمام ابن قيم الجوزية : حادى الأرواح ص ٢٦٩ ، ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ – ١٩٦ .

ومفهوم البراهين العقلية ، فيقول : -

((وأنكر " جهم " النظر إلى " الله " عز وجل ، والله يقول :-

﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴾ (١) .

وقال : **﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾** (٢) .

وقال : **﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾** (٣) .

وقال : **﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾** (٤) .

واعلموا : رحمكم " الله " أن أعظم ما يرجوا أهل الجنة من الثواب النظر إلى " الله " عز وجل .

وقد قال " أبو عاصم " إذا كان المؤمن يُحجب عن ربه تعالى ولا يراه ، والكافر محجوب عن ربه تعالى ، فما فضل المؤمن على الكافر وقول " الله " عز وجل ، ورسوله ، وأصحاب رسوله . أحق أن يتبع من قول جهم فى النظر إلى " الله " عز وجل)) (٥)

فهذه أدلة الفريقين أو المذهبين فى مسألة رؤية " الله " تعالى فى الآخرة ، أو يوم القيامة ، وبنظرة تأملية فيها قدر من التدبر والاعتبار نجد :

أن أدلة المذهب الأول . الذى يمثله " جمهور المسلمين " أو " أهل السنة والجماعة " سواء كانت أدلة نقلية ، أو عقلية أدلة صريحة وقوية لا تحتمل أى تأويل ، أو صرفها عن ظواهرها ، لأنها تخاطب العقل السليم الذى يتدبر ويتفكر فى آيات " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليقف على بعض معانيها

---

(١) سورة القيامة آية : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٤٤ .

(٣) سورة القمر آية : ٥٥ .

(٤) سورة المطففين آية : ١٥ .

(٥) الإمام الملطى : التنبيه ص ١١٦ - ١١٨ .

ومراميهـــا ، فهي ليست للحفظ أو القراءة فقط ، وإنما هــــى للفــهم والاســتنباط واستخراج العبر والفوائد ، وهذا ما سار عليه السلف الصالح ، ومن جاء بعدهم مـــن أئمة وعلماء " أهل السنة والجماعة " رحمة الله عليهم أجمعين ، فقد نظروا فى النصوص السمعية الواردة بشأن هذه المسألة الإلهية الهامة ، فوجدوها تؤكد على ثبوت وقـــوع هذه الرؤية المباركة فى الآخرة لطائفة خاصة من خلق " الله " تعالى وهم المؤمنون بـالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبقضائه وقدره .

أما غيرهم — المنكرون والمكذبون — فإنهم غير جديرين بهذا الفضل ، وهـــذه الهبة الإلهية الخاصة للمصدقين بكتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذين فهموا ما فيهما وما هو واجب ، وجائز ومســـتحيل فى حـــق " الله " تعـــالى وصفاته وأفعاله .

وإذا لم يعتقد " المنكرين " أو " المانعين " لرؤية " الله " تعالى بقوة ووضـــوح النصوص السمعية الواردة بشأن هذه المسألة وتأكيد ثبوتها للمؤمنين .

فدعنا نخاطبهم بطريق " العقل " وليس " النقل " كما يريدون هم ، ونـــزولا على ميولهم ونزعتهم العقلية المقدسة للعقل وما يصل إليه من نتائج وأفكار ، فنقـــول لهم :-

أولا : إنكم تتفقون مع " أهل السنة والجماعة " فى أن " الله " تعالى قد أرسل رسلا للناس يبشرونهم بجنات " الله " تعالى ويحذرونهم مـــن نـــاره ، وان هـــؤلاء "الأنبياء" و " الرسل " عليهم الصلاة والسلام هم من خير خلق " الله " تعالى ومن المصطفين الأبرار ، وأنه لابد من توافر شروط وصفات معينـــة ، بـــل وخاصة جدا فى اختيارهم ، لقيامهم بهذا العمل الجليل ، وهو تبليغ ما أوحـــاه " الله " تعالى إليهم ، سواء ما يتصل بالعقيدة ، أو الشريعة ، أو الأخـــلاق ، وأنهم أعلم خلق " الله " تعالى بما يجب ، وما يجوز ، وما يستحيل على " الله " تعالى .

ذلك لأنهم يقولون ويفعلون بناء عن وحى إلهى ، أو إلهام من " الله " تعالى ، أو بإرسال رسول ، فهذه هى طرق الوحى الإلهى لمن اصطفاهم واجتباهم من بين خلقه تعالى .

وبناء على هذا وغيره يقول العقل : هل يليق أو يجوز لأنبياء " الله " تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام أن يسألوا " الله " تعالى أمرا ممنوعا أو مستحيلا ؟

والعقل يقول : إن هذا غير وارد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بوجه عام ونبى الله " موسى " عليه الصلاة والسلام بوجه خاص .

فإذا كانت رؤية " الله " تعالى فى الآخرة ممتنعة أو مستحيلة فلماذا يسألها كليم " الله " تعالى سيدنا موسى عليه السلام من ربه عز وجل ؟

فإذا كان يعرف أن الرؤية ممنوعة فسؤاله فى هذه الحالة لا معنى له .

وهذا ما يستبعده العقل السليم ، لأنه لو كان يعرف أن ذلك من الأمور المستحيلة أو المستبعدة ما كان يطلب هذا الشئ من ربه عز وجل .

أما وأنه يعرف أن سؤاله لهذا الشئ من ربه عز وجل من الأمور التى لا تدخل فى دائرة الممنوعات أو الاستحالات العقلية ، فقد طلبها من ربه تعالى .

ثانيا : إن " الله " تعالى علق رؤيته عز وجل على شئ ممكن وجائز عقليا وليس مستحيلا ، ألا وهو استقرار الجبل .

فهل هذا الاستقرار ممكن أو مستحيل ؟

والعقل يقول : إن كل شئ يدخل فى دائرة الإمكان أو الجواز ، ماعدا أمرا واحدا وهو أن يكون " لله " تعالى شريك فى ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أسمائه، وما عدا هذا فهو ممكن لا مستحيل .

ومن هذا المنطلق فقد رجّح " الله " تعالى أدلة القائلين برؤيته تعالى على أدلة المانعين ، وكذلك فعل نفس الشئ رسوله صلى الله عليه وسلم

عن طريق أحاديثه الشريفة الصحيحة الواردة بهذه المسألة الهامة ، وكذلك فعل أصحابه الذين رووا الأحاديث المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم ، وتوافر لهذه المسألة الهامة نحو ثلاثين صحابيا من خيرة أصحابه رووا عنه ما يؤكد ثبوت رؤية " الله " تعالى فى الآخرة .

كذلك سار السلف الصالح على هذا الدرب الإلهى النبوى ، وجاء بعدهم " جمهور المسلمين " وأخذوا بهذا الأمر الإيجابى ممن سبقوهم .

ثالثا : إذا كانت رؤية " الله " تعالى ممنوعة فى الآخرة مطلقا ، أى لطائفة المؤمنين ولغيرهم ، فالعقل السليم يقول : ماهى ميزة أو فضيلة من آمن بـ " الله " تعالى ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ، وقضائه وقدره على من كفر وكذب وضل وأضل ؟ ولعل ما يؤكد قول العقل فى أن الطائفتين لا يمكن أن يتساويا ما قاله " الله " تعالى فى كتابه الكريم :-

﴿ وما يستوي الأعمى والبصير (١٩)ولا الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور (٢١) وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ [(١)]

رابعا : من ينظر فى أدلة النافين أو المانعين لرؤية " الله " تعالى فى الآخرة خاصة السمعية منها ، يجد أنها ضدهم وليس لهم لماذا ؟ لأنهم أولوها وفسروها على وفق مذهبهم ، والدليل على هذا : أنهم قاسوا رؤية " الله " تعالى فى الآخرة ، وفق تصورات وأمور حادثة لا تنطبق إلا على كل ما هو مخلوق أو مصنوع وقد نسوا أو تناسوا ماقاله " الله " تعالى وأكد عليه فى قرآنه الكريم :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة فاطر آية : ١٩ — ٢٢ .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

فلو فهموا معنى هذه الآية الكريمة وما تؤكد عليه فى أن " الله " تعالى ليس لـه مثل فى ذات ، أو صفة ، أو فعل ، أو اسم ما كانوا أقدموا علـى هـذا ، ولكانوا غيروا مذهبهم فى هذه المسألة الهامة ، ولو فرضنا - جدلا — أن أدلـة القائلين برؤية " الله " تعالى ، والقائلين بنفيها أو منعها متساوية فمـا هـو الدليل النبوى الصحيح الذى يرجح أدلة المنع على أدلة الجواز ؟

أو يرجح مذهب النافين على مذهب المثبتين أين هذا الدليل ؟

وهل يمكن لواحد من المنكرين للرؤية أن يأتى إلينا ولو بدليل واحد صحيـح قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأعلم بما فى كتاب " الله " تعـالى والمفسر الأول والأخير له .

أما و لم يحصل ذلك فقد جاء العكس ، أعنى أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد جاءت عنه أحاديث كثيرة متواترة تؤكد وترجح مذهب المثبتـين على مذهب النافين لرؤية " الله " تعالى بالإضافة إلى الآيات القرآنية التى تؤكد على رؤية المؤمنين " لله " رب العالمين رزقنى " الله " تعالى وسـائر المؤمنـين النظر لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير وانه خير مسئول وخير مأمول.

الفصل

الثالث

القضاء والقدر

بادئ ذى بدئ لابد من الإشارة إلى أن الدين السماوى الذى جاء إلى البشرية جمعاء ، بل وإلى العالمين كافة . واحد لا يتبدل ولا يتحول ، فهو واحد من لدن أبينا " آدم " عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث " الله " الأرض ومن عليها .

والمقصود بالدين العقيدة أو التوحيد ، وإفراد المعبود " عز وجل " بالطاعة والعبادة دون سواه ، فهو سبحانه وتعالى واحد فى ذاته ، واحد فى صفاته ، واحد فى أفعاله ، واحد فى أسمائه ، أما الذى يتغير فهو " الشريعة " وذلك بحسب طبيعة الأمة المرسل إليها نبيها أو رسولها ، وذلك إما بالزيادة فيها عما قبلها من شرائع ، أو بالتخفيف .

والشريعة هى : الفرائض أو الواجبات الإلهية على عباده ، وذلك مثل : الصلاة، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وكذلك الأخلاق أو المعاملات : كالبيع والشراء ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وإعانة الغير ، وغير هذا من معاملات وأحكام.

فهذه الأمور الخاصة بالشريعة والأحكام والأخلاق هى التى تتغير من " نبى " إلى " نبى " ، أو من " رسول " إلى " رسول " .

أما العقيدة : فهى ثابتة لا يطرأ عليها أى تغيير أو تبديل أو تحويل ، ولعل ما يؤكد هذا المعنى قول الله تعالى :﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) .

كما أن من شروط الإيمان وصفات المؤمن ما قاله " رسول الله " صلى الله عليه وسلم " الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره " (٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩ .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم ، وجاء فى صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٧/١ .

فهذه الأمور – الستة – المذكورة فى الحديث الشريف هى أركان وأصول الإيمان أو الدين كما وضحها الرسول الخاتم سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم .

والأمر الذى نتوقف عنده – فى هذا الفصل – هو مسألة القضاء والقدر ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان .

وهذه الأمور تشكل قاعدة الانطلاق للمؤمن فى حركاته وسكناته ، وعبادته ، ومعاملاته ، وبدونها أو بفقد أمر منها تكون حركاته وسكناته ، وعبادته ، ومعاملاته: لا معنى ولا مضمون ولا ثمرة لها بمعنى آخر لابد أن يكون هناك أساس سليم يرتكز عليه الإنسان وهدفا واضحا لا تردد ولا تراجع فيه .

أى أن عبادته وطاعته وحركاته وسكناته لابد أن تكون على وفق منهج " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحدهما دون النظر لسواهما ، وإرجاع كل شئ إلى " الله " تعالى وحده .

وبهذا يكون للعبادة والمعاملة معنى وثمرة وهدف ، ينعكس على أصحابها بالإيجاب فى الدين والدنيا و الآخرة .

لذا فإننا نبين معنى القضاء والقدر فى اللغة والاصطلاح لنرى ما بينهما من أوجه اتفاق واختلاف :

القضاء فى اللغة

ورد القضاء فى اللغة بمعان متعددة منها :-

" الإعلام ، والإخبار ، والأمر ، والإلزام ، والخلق ، والإيجاد ، والحكم ، والفصل ، والفراغ من الشئ ، أو الانتهاء منه ، والإرادة ، والعهد والحتم ، والبيان ، والأداء " .[1]

---

(١) إبراهيم مصطفى وشركاه : المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٤٩ ، الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٤ ص ٤٠ .

القدر فى اللغة

ورد القدر فى اللغة بمعان متعددة كذلك منها :-

" القضاء ، والحكم ، والطاقة ، والمقدار ، والتعظيم ، والمعرفة ، والميقات ، والتقسيم ، والعلم ، والتسوية ، والتهيئة ، وقياس الشئ بالشئ ، وتدبير الأمر ، والقوة والتمكين ، والتروية ، والتفكير فى تسوية الأمر ، وجعل الخصائص والطبائع فى الأشياء والقضاء الذى يقضى " الله " تعالى على عباده " . (1)

هذا فيما يتعلق بمعنى القضاء والقدر فى اللغة وهما – كما ترى – متباينان فى المعنى .

المعنى الاصطلاحى الشرعى للقضاء والقدر

كما تباينت الآراء فى معنى القضاء والقدرمن الناحية اللغوية ، كذلك الأمر بالنسبة لمعناها الاصطلاحى الشرعى :-

١ – ذهب بعض العلماء إلى أن القضاء والقدر بمعنى واحد ، ويقصد بهما ((النظم المحكم الذى وضعه " الله " تعالى لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها)) . (2)

٢ – ذهب البعض الآخر إلى أن القضاء والقدر متباينان فى المعنى ، فمنهم من قال : أن القضاء سابق للقدر ، وهذا هو القول المشهور ، ويكون القضاء على هذا **المعنى** : علم " الله " عز وجل فى الأزل بالأشياء كلها على ما ستكون عليه فى المستقبل ، **أما القدر** : فهو إيجاد تلك الأشياء بالفعل طبقا لعلمه الأزلى المتعلق بها ، ومن العلماء من عكس ذلك فقال : أن القدر سابق للقضاء ، وجعلوا تعريف القضاء خاص بالقدر ، وتعريف القدر خاص بالقضاء . (3)

---

(١) الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، فصل القاف ، حرف الراء .

(٢) الأستاذ / السيد سابق : العقائد الإسلامية ص ٩٥ .

(٣) د/ سيد البوطى : كبرى اليقينيات الكونية ص ١٣٠ بتصرف .

وعلى هذا فهناك رأيين أو قولين فى معنى القضـــاء والقـــدر مـــن ناحيتـــهما الاصطلاحية الشرعية :-

الــرأى الأول : يجعل الإثنان بمعنى واحد .

والرأى الثانى : يفرق بينهما .

ومن جهتــى فإنى أميل إلى القول الثانى ، وذلك نظرا لتباينهما فى المعنى اللغوى . وهذا مما يرجح تباينهما الاصطلاحى الشرعى ، ولو سرنا علـــى هــذه القاعدة نجد أن تباينهما الاصطلاحى ليس بمستغرب على " العقل " بعــد معرفــة تباينهما فى اللغة ، وأنهما لفظان أو كلمتان . لا كلمة واحدة ، وأنهما مختلفــان فى المبنى ، لذا فإن اختلافهما فى المعنى ليس شاذا أو مستبعدا من الناحية العقلية .

أما مسألة أيهما سابق على الآخر ؟ وأيهما متأخرا ؟

فهذا مما لا مجال للعقل الإنسانى فيه ، لأنه خارج عن طاقته ، وذلك لصعوبـــة معرفة الأمور الإلهية على وجه اليقين أو القطع ، وكذلك لايمكن الحكم على أفعـــال " الله " تعالى بالتقدم والتأخر ، لأنه ليس هناك شيئا متقدما وشـــيئا متـــأخرا بالنســبة للمشيئة الإلهية ، ولأن الكل أمام حكم " الله " تعالى ومشيئته سواء .

أما التقدم والتأخر ، والماضى والحاضر ، والمستقبل ، فـــهو خـــاص بـــالأمور المخلوقة الحادثة فقط ، أما " الخالق " عز وجل فهو منزه عن هذه الأمور .

ومما يرجح تباين معنى القضاء والقدر من الناحية الاصطلاحية الشرعية أنهما وردا فى النصوص السمعية مختلفان كل لفظ منهما له معنى يختلف عن الآخر .

النصوص السمعية ، والقضاء والقدر

من النصوص السمعية التي وردت بشأن القضاء والقدر :-

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (١) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢) .

٣ - قول الله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ (٣) .

٤ - قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٤)

٥ -قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (٥)

٦ - قول الله تعالى :﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٦)

٧ - قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٢) سورة فصلت آية : ١٢ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٧٧ .

(٤) سورة الرعد آية : ٨ .

(٥) سورة الحجر آية : ٢١ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .

(٧) سورة القمر آية : ٤٩ .

٨ - قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ (١)

وكما هو الشأن فى المسائل الإلهية المتعددة لم تتفق كلمة المذاهب الإسلامية - السالفة والحاضرة - على كلمة واحدة بشأنها فكذلك الأمر بالنسبة لهذه المسألة الإلهية التى ضلت فى فهمها عقول كثيرة ، وزلت بسببها أقدام عديدة ، ولم يصل إلى بر السلامة والأمان إلا قليلا ، اعتصموا بحبل " الله " تعالى ، واهتدوا بهديه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهداهم " الله " تعالى لكلمة الحق ، وقول الصدق ، ولم يلتفتوا إلى الذين فى قلوبهم مرض من أصحاب المذاهب الضالة عن سواء السبيل ، فقاموا ببيان فساد قولهم ومذهبهم .

وفى السطور التالية - بمشيئة الله وتوفيقه - نتعرف على مذاهب الفرق والطوائف الإسلامية فى هذه المسألة الهامة ، مع بيان مذهب " السلف الصالح " رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن تابعهم من " أهل السنة والجماعة " وموقفهم من المذاهب المخالفة لهم وردهم عليهم .

والبداية تكون مع تقسيم " علماء الإسلام " الأفعال الإنسانية إلى قسمين :

أولهما : أفعال اضطرارية :

وهى الأفعال التى لا قدرة للإنسان على فعلها أو تركها ، وذلك مثل " حركة ارتعاش اليد " و " حركة الجهاز الهضمى " و " حركة الجهاز العصبى " وما إلى ذلك من أفعال خارجة عن إرادة الإنسان وطاقته .

وقد اتفق جميع العقلاء - من الفرق الإسلامية - على أن هذه الأفعال وأمثالها ، مخلوقة لله تعالى ، وليس للإنسان دخل فيها .

لذا فقد تجلت حكمة " الله " تعالى وعدله ورحمته : أنه لا يكلف الإنسان بما لا

---

(١) سورة الأعلى آية : ١ - ٣ .

يستطيع فعله أو قوله ، وقد قضى وقدر أنه لاثواب ولا عقاب يترتب على مثل هـــذه الأفعال الاضطرارية .

ثانيهما : أفعال اختيارية :

وهى الأفعال التى للإنسان قدرة واختيار على فعلها أو تركها ، وذلك مثـــل " الحركة " و " السكون " و " القيام " و " القعود " و " الأكـــل " و " الشـــرب " و " اللباس " و " الاعتقاد " و " الإيمان " و " الكفر " و " التصديق " و " التكذيـــب " وما إلى ذلك من أمور وأفعال اختيارية لا جبر ولا إكراه على فعلها أو تركها .

لذا كان هذا النوع من الأفعال موضع خلاف واختلاف بين الفرق والمذاهـــب الإسلامية ، هكذا :

أولا : مذهب الجبرية :

أتباع " الجعد بن درهم " و " جهم بن صفوان الراسبى " فهذا المذهب نفـــى القدرة والاختيار عن الإنسان ، وجعلوا الإنسان مجبر فى جميع ما يفعل وما يـــترك ، وجعلوه كالريشة المعلقة فى الهواء لا قدرة لها على الحركة أو السكون ، وقـالوا : إن " الله " تعالى خلق فى الإنسان أفعاله بنوعيها — اضطرارية واختيارية — الـــتى يخيـــل إلى البعض أنها اختيارية كلها ، وأن نسبة هذه الأفعال إلى الإنسان من بـــاب المجـــاز لا الحقيقة ، كنسبتها إلى الجمادات والنباتات فنقول : تغذى النبات ، وتحرك الحجر .

كما أن الثواب والعقاب — عندهم — جـــبر لا اختيـــار ولا إرادة فيـــه ، وأن التكاليف الشرعية جبر ، وحاولوا أن يبرهنوا على مذهبهم هذا بنصوص سمعية مـــن القرآن الكريم تؤيد ما ذهبوا إليه .

الرد على الجبـــــرية

وقد رد علماء " أهل السنة والجماعة " على مذهب " الجبرية " هذا ، وبينـــوا فساده ، وذلك لمخالفته لمنطوق النصوص السمعية ، وصحيـــح الـــبراهين العقليـــة ، فقالوا :

" إن النصوص السمعية التي استشهدوا بها — على مذهبهم الفاسد — لا تستقيم مع نصوص سمعية أخرى أكثر صراحة ووضوحا من النصوص التي ذكروها ، لذا يجب تأويل النصوص التي استشهدوا بها ، لكي تتوافق مع إجماع " أهل الحق " في مذهبهم القائل : أن للإنسان فعلا واختيارا فيما يفعل وفيما يترك ، وأنه يستحق الثواب على طاعته ، والعقاب على معصيته ، أو المدح والذم ، لأن " الله " تعالى نفى الظلم عن نفسه في قرآنه الكريم ، وعلى لسان رسوله الأمين سيدنا " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وأن " الله " تعالى لا يحاسب الإنسان إلا على الفعل الذى اكتسبه أو عمله بالفعل وهذا ما يؤكده المولى عز وجل في كتابه الكريم بقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

كما أن مذهبهم هذا يؤدى إلى القول بأنه لا ثمرة من وراء التكليف بالأوامر والنواهي من قبل " الله " تعالى ، ولا معنى لإرسال " الرسل " عليهم الصلاة والسلام ، ولا فائدة من ترتيب الثواب على الطاعات ، والعقاب على المعاصي ، وهذا — الذى يقولونه — لا يقول به عاقل أيا كان مذهبه . (٢)

ثانيا : مذهب المعتزلة :

هذا المذهب الذى تفرع أتباعه لطوائف مختلفة ورغم اختلافهم فإنهم يتفقون على أمور أساسية بالنسبة لهذه المسألة الهامة وهى :

---

(١) سورة النحل آية : ١١١ .

(٢) الإمام ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج٣ ص ٢٢ بتصرف ، الإمام الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٠٨ ، الإمام الإسفراييني : التبصير في الدين ص ٩٦ ، الطائي : رسالة في التوحيد ص ١٢٧ ، د/ عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق ص ٢٥٥ ، د/ سعيد البوطي : كبرى اليقينيات ص ١٦٩ .

١ - إن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الاختيارية ، وليس لله تعالى صنع ولا تقدير فيها لا بإيجاد ولا نفى !!

٢ - إن " الله " عز وجل عالم أزلا بأفعال خلقه ، ولم يزل عالما بمن آمن ويؤمن ، وكفر ويكفر ، وهذا القول يتميزون به عن " القدرية " الخالصة الذين أنكروا علم " الله " تعالى الأزلى .

وأن " الله " تعالى لا يعلم أفعال الفرد إلا بعد وقوعها بالفعل .

٣ - الإنسان فاعل مختار ، يعمل بالقدرة الحادثة التى منحتها إياه العناية الإلهية ، فيوجهها حسبما يريد .

٤ - أمر " الله " تعالى وإرادته متلازمان ، فالله تعالى يريد منا أن نوحده ، وأن نؤمن برسله عليهم الصلاة والسلام ، ونقيم الصلاة ، وأمرنا بذلك ، ولا يريد منا المعاصى والكفر ، وقد نهانا عنهما ، وإنما هذه الأمور — المعاصى وغيرها — من إرادة الإنسان واختياره وفعله .

واحتج " المعتزلة " على مذهبهم — الفاسد — بما يأتى :

لو كان " الله " تعالى خالقا لأفعال العباد ، والعباد لا اختيار لهم ؟

أ - لبطل التكليف الشرعى من الأوامر والنواهى .

ب - ولبطل الثواب والعقاب .

ج - ولانتفت فائدة بعثة " الأنبياء " عليهم الصلاة والسلام . [1]

---

(١) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٩٤ بتصرف ، الإمام ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل ج٣ ص ٣٣ ، الإمام الشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٧٩ ، د/ عبد الرحمن بدوى : مذاهب الإسلاميين ج١ ص ٨٤ وما بعدها ، د/ عرفان عبد الحميد : دراسات فى الفرق ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

كما رد علماء " أهل السنة والجماعة " على مذهب " الجبرية " وبينوا فساده ، فكذلك الأمر بالنسبة لمذهب " المعتزلة " .

ولو نظرنا إلى مذهب " الجبرية " نجد أنه ينفى أو يسلب عن الإنسان كل شـئ من الأفعال سواء كانت اختيارية أو اضطرارية .

والمذهب الاعتزالى على العكس من سابقه تماما ، فهو يسند للإنسان كل شئ سواء كان داخلا تحت اختياره وكسبه ، أم خارجا عنهما لذا فقد بين علماء " أهــل السنة والجماعة " فساد هذا المذهب الاعتزالى بقولهم : ((وأن " الله " تعالى خالق كل شئ ، سواء كان خيرا أم شرا ، وأن الإنسان مكتسب لها فقط وليس خالق لها .

ومما يدل بل يؤكد على أن " الله " تعالى خالق لأفعال الإنسان الاختيارية آيات قرآنية لا مجال للتأويل لها ، والتى منها :

١ - قول الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [١]

٢ - قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢] أى خلق عملكم . [٣]

ثالثا مذهب " الأشاعــــرة "

وقد ذهبوا إلى أن :

أفعال الإنسان الاختيارية مخلوقة لله تعالى ، وليس للإنسان تأثير فى إيجادهـــا ، وأن " الله " تعالى يخلق فيه قدرة على إصدار ذلك الفعل للإنسان ، فـــالفعل إبـــداع واحداث لله تعالى ، وكسب للإنسان ، والكسب عبارة عن اقتران قدرة الإنسان بفعل " الله " تعالى .

---

(١) سورة الفرقان آيـــة : ٢ .

(٢) سورة الصافات آية : ٩٦ .

(٣) نفس المرجع السابق .

على معنى : أن الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلا من الأفعال فإن " الله " تعـــالى يخلق له فى هذه اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل ، وهذه القدرة المخلوقة هى الـتى تكتسب الفعل وليس خلقه .[1]

وبهذا يتضح الفرق أو الاختلاف الكبير بين مذهبى " الجبرية " و " المعتزلة " من جهة ، ومذهب " الأشاعرة " من جهة أخرى .

فأولهمــا: يأول النصوص السمعية على وفق ميوله ومذهبه .

وثانيهما : – الأشاعرة – يلتزم بمنطوق النصوص السمعية دون تأويلها أو صرفها عن ظواهرها ، وفى نفس الوقت يقدر " الله " تعالى حـــق قـــدره ، ويضـــع الإنسان فى موضعه الحقيقى دون إفراط أو تفريط – بخلاف من ســـبقنيه من المذهبين الفاسدين – وهذا ما يميزه عن غيره .

رابعا مذهب " الشيعة الإمامية "

وهو المذهب الرابع فى هذه المسألة الإلهية الهامة ، وقد بينه أحد العلماء بقوله :

" إن أفعالنا من جهة أفعالنا حقيقة ، ونحن أسبابها الطبيعية ، وهى تحت قدرتنـــا واختيارنا ، ومن جهة أخرى هى مقدورة " لله " تعالى ، وداخلة فى سلطانه ، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه ، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا فى عقابنا علـــى المعاصى ، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل ، و لم يفوض إلينا خلق أفعالنا ، حـــتى يكون قد أخرجها عن سلطانه ، بل له الخلق والحكم والأمر ، وهو قادر على كل شئ ومحيط بالعباد .

(١) الإمام الإيجى : المواقف ص ٥١٥ وما بعدها بتصرف ، الإمام التفتازانى : شـــرح المقـــاصد ج٢ ص ١٢٥ وما بعدها ، د/ عرفان عبد الحميد : دراسات فى الفرق ص٢٦٣ .

وكذلك روى عن بعض أئمة " الشيعة الإمامية " أنه قال " لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمر بين أمرين " (١)

خامسا مذهب " ابن رشد "

الحكيم المشهور ابن رشد ذهب إلى أن التباين الوارد بالنصوص السمعية لم يأت عبثا ، بل كان مقصودا من " الشارع الحكيم " لكى يوحى إلى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا ، بالحل الذى يجب أن يذهب بالشبهة التى ربما فرقت بين " أهل الجدل " وأن الجبر لايمكن أن يكون محضا ، وأن الاختيار لا يجوز أن يكون مطلقا ، بل الحق هو التوسط بين الرأيين ، وذلك بأن نقرر أن أفعال الإنسان ليست اختيارية تماما ، ولا اضطرارية تماما ، وإنما تتوقف على عاملين : إرادة حرة ترتبط فى الوقت نفسه بأسباب خارجية ، تجرى دائما على نمط واحد أودعها " الله " تعالى فى الكون . (٢)

فهذا هو موقف الفرق والمذاهب الإسلامية من الأفعال الإنسانية ، والتقديرات الإلهية ، وكما علمنا فقد كان التباين والخلاف والاختلاف هو السمة البارزة فى هذه المسألة الهامة .

وان هذه الفرق والمذاهب تعبر عن الفكر الإسلامى العام على الرغم من تعدد اتجاهاته ، وتنوع مسالكه وأهدافه ، ولو أرجعنا النظر إلى هذه المذاهب الإسلامية ، وكيف كان موقفها من الأمور الإلهية والتقديرات الأزلية نجد أن :-

أحدهما وهم " الجبرية " : يمثل التفريط بشتى معانيه وصوره ، لأنهم ينفون عن الإنسان أى مسئولية فيما يفعل ، وما يترك ، ويجعلونه كأنه لا وجود له أصلا .

---

(١) الإمام المظفر : عقائد الإمامية ص ٤٤ ، الشيخ هاشم : الشيعة بين الأشاعرة ص ٢١٢ ، الشيخ محمد ناصر : أصول الدين الإسلامى ص ٤٠ وما بعدها ، الشيخ الزنجانى : عقائد الإمامية ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ١١٨ - ١٢٠ .

وهذه النظرة الجبرية هدفها الأول والأخير محاولة اخراج الإنسان من دائرة التكليف والثواب والعقاب ، والمدح والذم ،وكأنه لا هدف ولا غاية ينشدها فى حياته وبعد مماته ، أى أنه يكون شبيها بالأنعام التى تأكل وتشرب وتنام فقط ، وإلا فما معنى نفى المسئولية عن الأفعال التى يفعلها ويكتسبها الإنسان بكامل حريته ، مع أن " الله " تعالى أكد فى قرآنه الكريم فى أكثر من موضع على أن الإنسان مسئول عن أفعاله ويثاب عليها إن كانت خيرا ، ويعاقب عليها إن كانت شرا ، من هذه الآيات القرآنية التى تؤكد ذلك :

١ - قول الله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [١]

٢ - قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٢]

٣ - قول الله تعالى ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [٣]

وثانيهما وهم المعتزلة : يمثل الإفراط بشتى صوره ومعانيه ، لأنهم يحملون الإنسان كل شئ ، سواء كان خلق الفعل ، أو كسبه وهذا فيه ما فيه من سوء الأدب مع " الله " تعالى الذى قدر كل شئ سواء كان خيرا أو شرا ، فكيف يجعل هؤلاء " المعتزلة " خلق الفعل — سواء كان فعلا اضطراريا أو اختياريا — من الإنسان وليس من " رب الإنسان " ورب كل شئ ؟

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة فاطر آيـة : ١٨ .

(٣) سورة المدثر آيـة : ٣٧ - ٣٨ .

وكما رد " الله " تعالى على المذهب الأول ، فكذلك رد على هؤلاء " المعتزلة " الذين أساءوا الفهم والأدب لقضاء " الله " تعالى وقدره ، لأنهم سلبوا عن " الله " تعالى ماهو ثابت له ، أعني الخلق والتقدير والإحاطة بكل شئ .

وصدق الله العظيم في قرآنه الكريم مجيبا على " المعتزلة " ومن وافقهم بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

وثالثهما : وهو مذهب " الأشاعرة " و " الشيعة الإمامية والحكماء من " الفلاسفة " يمثل المذهب الوسط بين الإفراط والتفريط ، والاعتدال في القول والفعل والاعتقاد ، لأنه جعل ما لله تعالى لله ، وما للإنسان للإنسان .

أى أن " الله " تعالى هو الخالق لكل شئ ، والإنسان هو المكتسب لما يفعله ، وأن الإنسان ليس حرا على الإطلاق ، وليس مجبرا على الإطلاق ، بل هو حر في بعض الأفعال ، ومجبرا في البعض الآخر ، وذلك كما هو مذهب " جمهور المسلمين " و " أهل السنة والجماعة " وصدق الله العظيم في قرآنه الكريم مؤيدا ما ذهب إليه " جمهور المسلمين " :

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٢ .

كذلك كل عقل سليم أيد منطوق ومفهوم النصوص السمعية التى تؤكد على أن " الله " تعالى هو الخالق لكل شئ فى الأرض وفى السماء بوجه عام ، ولأفعال الإنسان بوجه خاص ، وأن الإنسان هو المكتسب لأفعاله فقط ، وأنه مسئول عما يفعل ، خاصة إذا لم يكن مكرها ، أو فى حالة سكر ، أو ما إذا كان نائما غير مدرك لما يقول ، أو متلفظا بلسانه ، ولكن قلبه غير موافق للسانه ، كمن تلفظ بكلمة الكفر ولكن قلبه مطمئن بالإيمان .

ففى هذه الحالة لا يؤاخذ على ما يقول فى حالة الإكراه أو الاضطرار وهذا من عدل " الله " تعالى ورحمته بعباده ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم وهو يؤكد هذا المعنى بقوله تعالى :

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

وقد برهن أئمة " أهل السنة والجماعة " على المذهب الحق فى هذه المسألة الإلهية الهامة ببراهين عقلية مأخوذة من مفهوم النصوص السمعية ، وهذا أحدهم يقول فى ذلك :- " فمن زعم أن العباد خالقون لأكسابهم فهو قدرى مشرك بربه تعالى ، لدعواه أن العباد يخلقون مثل خلق " الله " تعالى من الأعراض التى هى الحركات ، والسكون فى العلوم والإرادات ، والأقوال والأصوات "، وقد قال " الله " عز وجل فى ذم أصحاب هذا القول :

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢)

---

(١) سورة النحل آية : ١٠٦ .

(٢) سورة الرعد آية : ١٦ .

ومن زعم أن العبد لاستطاعة له على الكسب وليس هو بفاعل . ولا مكتسب فهو " جَبرى " .

والعدل خارج الجبر والقدر ، ومن قال أن العدل مكتسب لعمله . و " الله " سبحانه خالق لكسبه فهو سنى عدلى متره عن الجبر والقدر " .[1]

وإذا كان " المعتزلة " ومن حذا حذوهم ينفون عن " الله " تعالى الخلق والأمر والتقدير ويسندون ذلك للإنسان فما هو الفارق — فى هذه الحالة — بين " الخالق " عز وجل ، وبين " المخلوق " إذا كان الإنسان يخلق فعله ويكتسبه فى نفس الوقت ؟ وكيف فهموا النصوص السمعية التى تؤكد على أن " الله " تعالى هو الخالق المصور والصانع المبدع ؟ ، وكيف خالفوا إجماع " أهل الحق " فى هذه المسألة فحرى هم أن يفهموا آيات " الله " تعالى فهما صحيحا تتفق وما فهمه " السلف الصالح " رضوان " الله " عليهم أجمعين .

ثم بعد هذا يقولوا ويبرهنوا على معتقدهم بشرط عدم مخالفته لمنطوق الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وإجماع " أهل الحق " .

وقد عرف أئمة " أهل السنة والجماعة " ما لله تعالى ، وما للإنسان وقدّروا " الله " تعالى حق قدره ، ولم يُحمّلوا الإنسان فوق ما يستحق .

وفى نفس الوقت لم يسلبوا منه ما هو مخلوق له والذى من أجله كُرِّم ، وفُضِّل ، وَجُعِلَ خليفة " الله " تعالى فى الأرض ، وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [2]

---

(١) الإمام البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٠٤ .

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٦ – ٥٨ .

وهذا أحد أئمة الإسلام الأجلاء يشير إلى هذا بقوله :

" أنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله على أحسن الوجوه ، وأكملها وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم فى أفعاله ، عادل فى أقضيته ، ولا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من " الله " تعالى ، فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما .

فكل ما سواه من إنس ، وجن ، وشيطان ، وملك ، وسماء ، وأرض ، وحيوان ونبات ، وجوهر ، وعرض ، ومدرك ، ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وأنشأه بعد أن لم يكن شيئا " . (١)

ولا يظن ظان ، أو يشك مرتاب ، أو يعتقد " معتزلى " أن فى كتاب " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تباينا أو تعارضا فيما بينهما ، أو بينهما وبين ما يذهب إليه " العقل " السليم ، والفطرة النقية التى لم تتلوث بسموم المذاهب الضالة ، والتيارات المنحرفة ، والأفكار الشاذة ، وقد أوضح أحد علماء " أهل السنة والجماعة " هذا بقوله :

" أصل القدر سر الله تعالى فى خلقه ، وهو كونه أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وهدى ، قال على كرم الله وجهه ورضى عنه : [القدر سر الله فلا تكشفه] " .

والنزاع بين الناس فى مسألة القدر مشهور ، والذى عليه " أهل السنة والجماعة" أن كل شئ بقضاء " الله " تعالى وقدره ، وأن " الله " تعالى خالق أفعال العباد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٢)

---

(١) الإمام الغزالى : القصور العوالى ج٤ ص١٥٢ .

(٢) سورة القمر آية : ٤٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (١)

وأن " الله " تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ، ولا يحبه ، فيشاؤه كونا ، ولا يرضاه دينا .

وخالف فى ذلك " القدرية " و " المعتزلة " وزعموا أن " الله " تعالى شاء الإيمان من الكافر ، ولكن الكافر شاء الكفر ، فردوا إلى هذا لئلا يقولوا : شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه ، ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فإنهم هربوا من أشياء فوقعوا فيما هو شر منه ، فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة " الله " تعالى ! فإن " الله " تعالى قد شاء الإيمان منه — على قولهم — والكافر شاء الكفر ، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة " الله " تعالى ، وهذا من أ ح الاعتقاد وهو قول لادليل عليه ، بل هو مخالف للدليل " . (٢)

ومن الأمور المخالفة للنصوص السمعية ، والبراهين العقلية الصحيحة . أن تذهب بعض الفرق والطوائف الإسلامية إلى نفى أو سلب بعض الأمور الإلهية عن " الله " عز وجل ، كزعمهم أن " الله " تعالى يقدر على بعض الأمور ، ولا يقدر على البعض الآخر ، وهذا فى نظر " أهل السنة والجماعة " من المذاهب الشاذة ، المخالفة لإجماع " أهل الحق " الذين يعتقدون أن " الله " تعالى قادر على كل شئ ، وأنه لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

كما أن فيه سوء أدب مع " الله " تعالى ، وسوء فهم لمعنى الإرادة والمشيئة ، والأمر والرضى ، فالله تعالى أراد كل شئ فى هذا الكون ، سواء كان إيمانا أو كفرا ، ظلما أو عدلا ، ولكنه " تعالى " لا يأمر بالكفر ولا يرضى به لعباده ، ومع هذا أراده من الكافر .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤٩ .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

وأن " أهل السنة والجماعة " أجمعوا على أن " الله " تعالى أراد كل شئ فى هذا الوجود ، وأن كل شئ بقضائه وقدره ، وردوا على من اعتقد أو يعتقد خلاف هذا .
وفى هذا المعنى قال أحد الأئمة مشيرا إلى هذا بقوله :

" ونريد أن نوضح الفكرة فنرى سيدنا " عمر " رضى الله عنه ، دقيقا كل الدقة حينما اعترض عليه " أبو عبيدة " وقد أراد أن يترك الأرض التى بها الطاعون ، [أفرارا من قدر " الله " يا عمر ؟ فقال : أفر من قدر الله إلى قدر " الله "] .

كان " عمر يؤمن بقدر " الله " وكان " أبو عبيدة " يؤمن بقدر " الله " ولكن لم يمنعهما هذا من اتخاذ الأسباب " (1)

ولابد من الإشارة إلى أن الأفكار والآراء والمذاهب التى خلفتها الفرق والطوائف الإسلامية ، وخاصة " المعتزلة " و " الجبرية " و " غلاة الشيعة " ، قد أحدثت الكثير من السلبيات والاختلافات ، والجدل والجدال بين أبناء الأمة الإسلامية، وما زال لها صدى وتأثير حتى اليوم ، خاصة فيما يتعلق بمسألة القضاء والقدر ، وهل الإنسان مسير أم مخير ؟

ومما يدل على تغذية هذه الأفكار والمذاهب — الشاذة — الكثير من الأمور أو الأسباب منها ما هو إسلامى ، أو متصلا بالشريعة الإسلامية ، ومنها ما هو متعلق بسوء فهم النصوص السمعية ، ومنها ما يرجع إلى تأويل آيات " الله " تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على غير معناهما . دون استناد إلى قواعد التأويل الصحيحة ، وغير هذا من أمور وأسباب لها علاقة مباشرة ، أو غير مباشرة بهذه المسألة الهامة .

ولعل ما يوضح هذا المعنى ما قاله " أحد الأئمة : " وقد رأينا من قبل أن " أبا الهذيل " يذهب إلى أن " الله " تعالى يقدر على الظلم والجور والكذب ، وعلى أن يجور ويظلم ويكذب ؛

---

(1) الدكتور عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الإسلام ج1 ص141 .

ولكنه لا يفعل ذلك لحكمته ، ومن المحال أن يفعل شيئا غير ذلك ، لم يوافق " النظام " على هذا وهو المفكر المستقل النزعة إلى أقصى حد ، وأتى بمذهب أثار كثيرا من المنازعات الفكرية فى العالم الإسلامى .

أما جوهر هذا المذهب فهو أن " الله " تعالى لا يفعل الظلم فقط ، بل لا يقدر عليه ، ولا يترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح ، بل لا يستطيع ذلك .

قد يستطيع أن يترك شيئا منها ما يساويه ، وقد يستطيع أن يترك فعلا هو صلاح إلى فعل آخر هو صلاح يقوم مقامه ، أما ما هو دون فلا يستطيع .

ولا يوصف " الله " تعالى بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئا ، ولا أن ينقص منه شيئا ، وكذلك من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحدا من الجنة ، ولا يستطسع أن يعذب الأطفال ، ولا أن يدخلهم النار " .(1)

هذا وقد رد الكثير من العلماء والأئمة على مذهب " المعتزلة " - كما أشرنا إلى ذلك — ومذهب " الجبرية " وبينوا فساده ، وبرهنوا على بطلانه بالنصوص السمعية ، والبراهين العقلية ، وذلك لمخالفته منطوق الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وإجماع " أهل الحق " وبينوا الأمور التى أخذت على هذا المذهب الجبرى خاصة .

---

(1) الإمام الشهرستانى : الملل والنحل ج1 ص37 .

مناقشة نظرية الجبر

وهاهو أحد " العلماء " يناقش مذهب أو قول من يقول : " إن الإنسان مجبر فى جميع أفعاله ، وأنه لا اختيار له فيما يفعل وفيما يترك " .

وقد بين فسادها ، وأخذ عليها عدة ملاحظات ، فقال :

" أهم الملاحظات التى تسجل حول هذه النظرية هى :

الملاحظة الأولى : النظرية تتنافى مع الأحكام العقلية الضرورية ، ونظرية الجبر تتصادم مع مجموعة ضروريات عقلية :

أ - فالعقل يفرق بالضرورة بين نوعين من الحركة :

١ - الحركة الإرادية الاختيارية .

٢ - الحركة اللاإرادية .

ب - " العقل " يحكم بالضرورة بقبح التكليف بما لا يطاق .

ج - " العقل " يحكم بالضرورة بعدالة " الخالق " وحكمته .

فى حين نظرية " الجبر " تفرز معطيات تتنافى مع هذه الضرورات العقلية .

الملاحظة الثانية : النظرية تتنافى مع النصوص القرآنية :

١ - الآيات القرآنية التى تضيف الفعل إلى العبد :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (١)، ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (٢)

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (٣)

٢ - الآيات القرآنية التى تنص على التخيير فى فعل الإنسان :

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٩ .

(٢) سورة النساء آية : ١٢٣ .

(٣) سورة الطور آية : ٢١ .

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (1)

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (2)

٣ - الآيات القرآنية التي تمدح المؤمنين ، وتذم الكافرين :

١ - ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (3)

٢ - ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (4)

الملاحظة الثالثة : النظرية تتنافى مع مبدأ " الثواب والعقاب " وفي القرآن الكريم تأكيد واضح لهذا المبدأ :

١ - ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (5)

٢ - ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ (6)

٣ - ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (7)

الملاحظة الرابعة : النظرية تتنافى مع حرية الإرادة البشرية ؛

فالإنسان يملك إرادة الفعل ، وإرادة الترك ، كما يبرهن على ذلك الواقع الموضوعي لكل حركاته ، وممارسته وفعالياته .

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٩ .

(٢) سورة المدثر آيـة : ٣٧ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ١ .

(٤) سورة البقرة آيـة : ٢٥٤ .

(٥) سورة الطور آيـة : ١٦ .

(٦) سورة طـه آية : ١٥ .

(٧) سورة الأنعام آيـة: ١٦٠ .

الملاحظة الخامسة : النظرية تتنافى مع " المبدأ الجزائي " الذى تؤمن به كل المجتمعات البشرية على اختلاف انتماءاتها المبدئية والفكرية والعقائدية والسياسية .

الملاحظة السادسة : النظرية تحمل صيغة سياسية ؟

فقد وظفها " الأمويون " لخدمة أهدافهم ، فهى التى تلائمهم فى الميدان السياسى ، لأنها توحى للناس بأن وجود " الأمويين " وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ، ليست سوى قدر مرسوم من " الله " تعالى ، لا يمكن تغييره ولا تبديله ، فلا جدوى من الثورة عليه ، وها هو " معاوية " يتظاهر بالجبر والإرجاء كما قدمنا لأجل أفعاله أمام الملأ بأنها مقدرة لا سبيل إلى تبديلها . [1]

من جهة أخرى وفى معرض رد الإمام " البيهقى " رحمة الله عليه على أحد سائليه الذى توجه بسؤال إليه قائلا فيه :

هل أراد " الله " تعالى المعصية من خلقه أم لا ؟

فردّ " الإمام " عليه مبينا الفرق بين الإرادة أوالمشيئة الإلهية ، والمحبة والرضا .

ومن خلال هذا فإن كل ما يقع فى الكون بإرادة " الله " تعالى ومشيئته ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يشاء ، ولكنه " تعالى " لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولا يرضى الكفر ولا يأمر به ، وهذا نص ما قاله فى رده على سؤال السائل :

" إعلم علمنى " الله " وإياك أن لفظ الإرادة يحمل له معنيان ، فيقصد به المشيئة لما خلقه ، ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به ، فإن كان مقصود " السائل " أن " الله " تعالى أحب المعاصى ورضيها وأمر بها ، فلم يردها بهذا المعنى ، فإن " الله " لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء .

وإن أراد " السائل " : أن المعاصى من جملة ما شاءه " الله " تعالى وخلقه ، فالله

---

(١) العلامة السيد الغريفى : التشيع ص ٣١٣ - ٣١٥ .

خالق كل شئ وما شاء " الله " كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون فى الوجـود إلا ما شاء ، وقد ذكر " الله " فى موضع أنه يريدها ، وفى موضع أنه لا يريدها .

والمراد بالأول : أنه شاءها خلقا ، والثانى : أنه لا يحبها ولا يرضاها أمرا ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُـــرِدْ أَنْ يُضِلَّــهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (١) .

وقال حكاية عن نبيه " نوح " عليه السلام مع قومه ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِــي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . (٢)

وقال فى الثانى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (٣)

يعنى أنه يحب لكم اليسر والتيسير ، ولا يحب لكم العسر والتعسير . (٤)

وهكذا وضح للجميع مدى سلامة وصواب مذهب " أهل السنة والجماعة " فى هذه المسألة الإلهية — كما هو الشأن فى المسائل الأخرى — ومدى موافقته للنصـــوص السمعية ، والبراهين العقلية التى تؤكد على أن " الله " تعالى خالق كل شئ ، ومريـــد لكل شئ ، وأن السبب فى مخالفة المذاهب الأخرى لمذهب " أهل السنة والجماعة"هو:

الخلط بين الإرادة والمشيئة الإلهية ، وبين المحبة والرضا ، وإن مذهـــب " أهـــل السنة والجماعة " هو المذهب المعتدل والوسط بين الإفراط والتفريط اللـــذان يعـــبران عنهما جميع المذاهب المخالفة لمذهب " أهل الحق " .

كما أن الإنسان مسئول عما يكتسب من أفعال ما دامت بإرادته واختياره .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٢) سورة هود آيـــة : ٣٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٤) الإمام البيهقى : القضاء والقدر ص ١١٠ – ١١١ .

الفصل الرابع

النبوات والرسالات

معنى العصمة فى اللغة والاصطلاح

بادئ ذي بدء نبين معنى العصمة في اللغة والاصطلاح :

" العصمه" المنع يقال "عصمه" أى منعه من الجوع ، و"العصمه " أيضا الحفظ ، وقد "عصمه" يعصمه بالكسر، "عصمة فانعصم " و " اعتصم " بالله أى امتنع بلطفه من المعصية وقوله تعالى "لا عاصم اليوم من أمر الله " (١) يجوز أن يراد لا معصوم أى لاذوا عصمة فيكون فاعل بمعنى مفعول (٢)
كما أن العصمه لغه : مطلق الحفظ . واصطلاحا: حفظ الله - تعالى - للمكلف من الذنب مع استحاله وقوعه (٣) .
كما ان العصمه تعنى انهم - أى الأنبياء والرسل - لا يتركون واجبا ، ولا يفعلون محرما ، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم (٤) .
ومن خلال هذه المقول التى جاءت فى معنى العصمه نستطيع الوقوف على الأمور الآتيه : ـ

١- إن العصمة تعنى أن الله ـ تعالى ـ قد عصم أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام - من الزلات والوقوع فى المحرمات .
٢- ان الله ـ تعالى - قد حفظ أنبيائه ورسله ـ وعليهم الصلاة والسلام ـ من المعاصى فى صغرهم وكبرهم حتى مماتهم .
٣- إن العصمة تعنى أن الله - تعالى ـ قد حفظ أنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من غدر الغادرين ،وقتل القتلة الظالمين .
٤- أن العصمة تعنى تأييد الله ـ تعالى ـ لأنبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بحيث لا يستطيع أحد من المشركين ومن على شاكلتهم أن يقيم الحجة عليهم لذا لم يستطيعوا الانتصار عليهم فلجئوا الى الجدال والـ[illegible]ة والسيف والطعن والسب والشتائم كما يفعل السفهاء والصبيان .

---

(١)راجع محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ص ١٨٣ ،١٨٤ .
(٢)راجع ابراهيم البيجورى : المختار من شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٥٩ .
(٣)السيد سابق : العقائد الاسلاميه بهامش ص ١٥٧ .

هذا ما نستطيع الخروج به من معنى العصمة الالهيه لأنبيائــه ورسـلـه — عليـهم الصلاة والسلام — الذين اصطفاهم وفضلهم على العالمين وتولى رعايتهم وصنعهم على عينه وهم ما زالوا أجنة فى بطون أمهاتهم ، وهو معهم أينما كانوا ، ورباهم على تحمل الصعاب والمشقات والصبر على جهاله الجهلاء وسفاهة السفهاء لأنهم سيحملون أمرا ثقيلا يقيمون بتبليغه الى الناس كافة دون تفرقه بين أحد منهم وهذا ما أشار اليه رب العزة — تبارك وتعالى— فى كتابه المبين بقوله عز من قائل : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسـالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدى القوم الكافرين " (١)

@@@@@@@@@@@

هل هناك تباين بين معنى النبى والرسول ؟

من ينظر فى آيات الكتاب المبين التى نزلت على رسوله الأمين سيدنا " محمـد — عليه أفضل الصلاة واتم التسليم — يجد انه قد جاء ذكر لفظ " البنى" و " الرسول " أكثر من مرة فى غير موضع ،

كما يلاحظ أن الله — تعالى — فى بعض المواضع يقوم بمخاطبة أحد أنبيائه ورسله — عليهم الصلاة والسلام — باسمه مجّردا كما هو الشأن فى :

١-سيدنا " نوح" ٢- سيدنا " ابراهيم " ٣- سـيدنا " اسـماعيل " ٤- سـيدنا " اسحاق" ٥- سيدنا " يعقوب"

٦- سيدنا "موسى " ٧- سيدنا " هارون " ٨- سيدنا " عيسى" وغيرهم عليهم جميعا أفضل الصلاة واتم السلام .

واحيانا يخاطب الله — تعالى — أحد أنبيائه ورسله مقرونا بلفظ النبى أو الرسـول وذلك كما هو الشأن فى خاتم النبيين سيدنا " محمد بن عبدالله — صلـى الله عليـه وسلم .

فهل هناك تباين بين معنى اللفظين — النبى والرسول — ام ان معناها وأحدا ؟

النبى فى اللغة

&&&&&&&&&&&&&

جاء فى بعض المعاجم اللغويه : آن كلمه " البنى" أما ان تكون مهموزة ، أو غير مهموزة:

١-فاذا كانت مهموزة — اى النبىء — فهى :

أ - اما ان تكون مشتقة من " النبأ " وهو الخبر ، وعلى هذا يكون معنى " النبى " : انه المخبر

---

(١) سورة المادة الآية ٦٧ .

عن الله تعالى .

ب ـ واما أن تكون من " النبيء " ومعناه : الطريق الواضح لأن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم الطرق الموّصله الى الله تعالى .

٣-اما اذا كانت بغير همز أي " النبى " فهى :

أ - إما أن تكون همزتها مخففة.

ب ـ واما أن تكون مشتقه من " النبوة" أو " النباوة " أى المكان المرتفع لأن " النبى " مرتفع الرتبه على غيره " (١)

* هذا فيما يتعلق ببيان معنى كلمه " النبى " من جهه اشتقاقها اللغوى الـذى يعني : الوحى والتبليغ والارشاد وهذا مفهومها المعنوى ،

* أما مفهومها الحّسى فيعنى : الوسيله والواسطه بين السماء والارض ، وبين " الخالق - تعالى ـ والمخلوق ،

ولا ريب أن كلا المعنيين ـ المعنوى والحسى ـ يهدفان الى غايـه واحـدة ونتيجه ثابته وهى :

معرفه الله ـ جل جلاله ـ والوقوف على أوامره ونواهيه ، والعمل على مرضاتـه ، والبعد عن غضبه وعقابه .

الرسول فى اللغة

جاءت كلمه " الرسول " فى اللغة بمعان متعددة :

أ ـ فهى إما أن تكون ماخوذة من قولهم : " جاءت الإ بـل رسـلا أى متتابعـه واحدة تلوة واحدة "

ويكون معنى " الرسول" على هذا المعنى : الذى يتابع أخبار من بعثه وهـو الله جل جلاله .

ب ـ واما أن تكون ماخوذة من : رسل اللبن إذا تتابع درة ويكون معنى " الرسول " على هذا المعنى : انه الرجل الذى يتتابع عليه الوحى . (٢)

* وعلى هذا يكون معنى الكلمه ـ الرسول ـ مقصورا على معناها الحسى ، أى سواء كان تتابع الإبل بعضها وراء بعض ، أو سوءاء كان بتدفـق اللبـن واستمرار نزوله ،

ويكون معنى " الرسول" انه الشخص الذى لا يفتر عن متابعـه أوامـر الله ـ تعالى ـ وابلاغها للناس .

---

(١) راجع الشيخ ابن منظور : لسان العرب مادة " نبأ " ، الإمام سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ١٧٠ ،

الزجاجى : اشتقاق أسماء الله الحسنى ص ٥٠٤ ، ابن الانبارى : البيان فـى غريب إعراب القرآن ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ ، التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٢٨ .

(١)راجع ابن منظور : لسان العرب مادة رسل ، البغدادى : أصول الديـن ص ١٥٤ .

لاقى فى سبيلها الكثير من العنت والأذى ، وكيف يفترعن ذلك وهو مامور بتبليغ ذلك للناس سواء أحبوا أوكرهو ،

ويلحظ القارىء الكريم أن كلمه " النبى" تحمل المعنيين — الحسى والمعنوى — من الناحية اللغويه ، بعكس كلمه" الرسول " التى تحمل المعنى الحسى فقط ،

وعلى هذا يكون هناك تباين بين معنى الكلمتين — النبى والرسول — من الناحيه اللغويه الاشتقاقيه ، فهل هناك تباين بين معناها منالناخيه الشرعيه الاصطلاحيه؟ هذا ما نعرفه من خلال السطور التاليه :

النبى والرسول فى الاصطلاح

* تباينت أقوال العلماء الاجلاء فى تحديد المعنى الشرعى الاصطلاحى للنبى والرسول ومع هذا فانه يمكن حصرها فى ثلاثه أقوال رئيسة هى :

الاول : ان " النبى" إنسان أوحى اليه بشرع — أى احكام — سواء أمر بالتبليغ والدعوة إليه أم لم يو مر ، فإن أمر بهذا فهو" نبى رسول " ويكون الفرق بينهما يتمثل : فى الامر بالتبليغ لاحدهما دون الآخر ، وعلى هذا المعنى يكون : النبى " أعم من "الرسول " و " الرسول " أخص من " النبى " ، اما معنى " النبوة " و" الرساله " فإن له شانا أخر ,

لأن هذا المذهب يرى : ان الرساله أعم من جهه نفسها من النبوة أى ان الرساله أعم والنبوة أخص بعكس معنى النبى و الرسول ،

وهذا هو القول المشهور الذى قال به جمهور المسلمين وعامة " الأشاعرة " وصححه المهدوى والقاضى عياض الذين قالوا :

إن الرساله اعم من جهه نفسها ،وأخص من جهه اهلها ، وان كل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا " (١)

الثانى : ان الاثنان — النبى والرسول — بمعنى واحد لا فرق بينهما فكلا منهما : أنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما اوحى اليه " ،

وهذا القول هو ما ذهب اليه بعض المحققين وهو مذهب جمهور المعتزلة " .

---

(١) راجع ابن ابى العز : شرح العقيدة الطحاويه ص ١٥٨ ، القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٢٥١ بتصرف يسير .

الثالث: أن الرسول " صاحب الوحي بواسطه الملك، و" النبى " هو المخبر عـــن الله تعالى بكتاب أو إلهام أو تنبيه فى المنام (١)

* فهذه مجمل الاقوال التى قيلت فى معنى " النبى " والرسول من الناحيـــه الشرعيه الاصطلاحيه وبنظرة تحليليه نستطيع الخروج بالامور التاليه : ـــ

أ - إن جمهور المسلمين " وعامه " الأشاعرة" وبعض الأئمه الاعلام قد فرقوا بين النبى والرسول من الناحية الاصطلاحية ، وذلك باشاراتهم الى أن النبـــى أعـــم والرسول أخص ، أى ذكر النبى ذكر الرسول وليس العكس بعكس النبـــوة مـــع الرساله لأن الرساله أعم والنبوة أخص ،

مع الاشاره الى ان هناك من خوطب فى الكتاب المبين باللفظين معا ـــ النبـــى والرسول ـــ وذلك كما هو الشأن فى سيدنا محمد ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ وهذا يشير الى منزلته الرفيعه عند ربه ـــ تعالى ـــ ولم لا ؟ وقد رفع الله لـــه ذكره (٢)

---

(١) راجع الماوردى : أعلام النبوة ص ٣٨ ، المقدسى : المســـامرة ص ٢٣٢ ، التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٢٨ بتصرف يسير .

(٢) جاء فى الكتاب المبين آيات كثيرة تخاطب سيدنا محمد ـــ صلى الـــه عليـــه وسلم ـــ بيا أيها النبى وآيات أخرى بيا أيها الرسول ، فمن الآيات الكريمه التى شملت النوع الأول :

أ - **قول الله تعالى :** " يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كـــان عليها حكيما "

[سورة الأحزاب الآيه ١] .

ب ـــ **قول الله تعالى :** " يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الـــى الله باذنه وسراجا منيرا [سورة الأحزاب الأيتان ٤٤،٤٥] .

ج ـــ **قول الله تعالى :** " يا أيها النبى إذا اطلقتم النساء فطلقوهن لعدتـــهم واحصـــوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينه [سورة الطلاق جزء من الآيـــه ١] .

د ـــ **قول الله تعالى :** " يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزوجك والله غفور رحيم

[سورة التحريم الآيه ١]

أما الآيات الكريمه التى خاطبته صلى الله عليه وسلم .بيا أيها الرسول " فمنها :.

أ ـــ **قول الله تعالى :** " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهم ولم تؤمن قلوبهم[سورة المادة جزء مـــن الآيـــه ٤١] .

وفضله الله ـــ تعالى ـــ على كثير من خلقه ، وأعطاه من الآيات ما لم يعط لكـــير من إخوانه النبيين و المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
وقد عرف النبى محمدا ـــ صلى الله عليه وسلم ذلك حق المعرفـــة وحـــدث بـــه أصحابه عندما قال فى الحديث الصحيح الذى رواه الصحابي الجليل ابن عبـــاس ـــ رضى الله عنه ـــ قال

قال رسول الله عليه وسلم :

" انا سيد ولد آدم ولا فخـــــــــــــر " (١)

ب ـــ أما الرأى الذى ساوى بين النبى والرسول فى المعنى ؟ فانه لا يستقيم مع النصوص النقليه -كتاب وسنه ـــ ولا يستقيم ما أفادت به المعاجم اللغويه ومعاينها الشرعيه الاصطلاحيه كيف هذا ؟
لأن الكتاب المبين فرق بينهما فى اللفظ والعبارة كإشارة واضحه الى تباينها فى المعنى والمفهوم ، يقول الله جل ذكره فى كتابه المبين :
" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم " (٢)

كذلك جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه الصحابى الجليل أبى ذر ـــ رضى الله عنه ـــ عندما سئل النبى محمدا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن عدد الانبياء " فقال : " مائه ألف وأربعه وعشرون ألفا " وعندما سئل عن عدد الرسل فقال : " ثلاثمائه وثلاثه عشر جما غفيرا " (٣)

ج ـــ اما الرأى ـــ وهو خاص بالمعتزله ـــ الذى يقول : إن الرسول صاحب الوحى بواسطه الملك ،
" والنبى" هو المخبر عن الله تعالى بكتاب او إلهام او تنبيه فى المنام فهذا الراى يفرق بين " النبى " و " الرسول " من جهه التلقى عن الله عز وجل ،

ومن جهتى فاني لا اوافق على هذا التفير الذى شار اليه هذ المذهب لماذا ؟ لان كلا من" الأنبياء " و " الرسل " يلتقون عن الله عز وجل مباشرة أو بواسطه ، وكلا منهما يبلغون عن الله ـــ تعالى ـــ شرعه واحكامه ،
وكلا منهما يهدفون الى غايه واحدة وهى توحيد الله جل جلاله ، .
وكلا منهما يقوم ببشارة المطيعين بالجنه ، وانذار العاصين بالنار وهل " النبى " ليس صاحب وحى حتى يقصر هذا المذهب الوحى على الرسول فقط ؟
وهل " الرسول " لا يبلغ عن الله تعالى اوامره ونواهيه حتى يجعلوا الاخبار خاصا بالنبى ؟

---

(١) الحديث اخرجه الترمذى (٢٨٢/٢) وابن ماجه (٤٣٠٨) واحمد (٢/٣ وقال الترمذى : حديث حسن صحيح
(٢) سوررة الحج الآيه ٥٢
(٣) راجع التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٢٨

مع أن الله ــ تعالى ــ أمر الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ بتبليغ ما أوحى اليــهم وذلك فى قوله تعالى:ــ

" يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغــت رســالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين " (١)

هذا وقد اتفق " جمهور المسلمين " على انه ينطبق على "الرســل" و" الأنبيــاء " ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ما ينطبق على سائر الناس من : أكل ، وشرب ، ونــوم ، وذهاب الى الاسواق وممارسه المهن الحرة الشريفه ، ومرض ، وجوع وعطــش ، وتعب ، وحزن وسرور ، وضحك ، وبكاء وسهو ونسيان ، ونكاح ، وما الى ذلــك من صفات البشر ،

وهذا تعجب بعض الناس من كون الرسول : محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يـأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وتمنوا أن لو كان معه " ملك " او يكون هو ملكا وليس بشرا وقد اكد رب العزة ــ سبحانه وتعــالى على بشريه الأنبياء و الرســل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ فى اكثر من موضع فى كتابه المبين منها :

١- **قول الله تعالى :** وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاســواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا " (٢)

٢-**قول الله تعالى :** وما ارسلنا قبلك من المرسلين إلا انــهم ليـأكلون الطعــام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصــبرون وكان ربك بصيرا " (٣)

٣- **قال النبى محمد ا ـ** صلى الله عليه ويلم فى حديثه الصحيــح مؤكــدأ علــى بشريته وانه ينطبق عليه ما بنطبق على سائر البشــر مــن السهو والنسيان : ــ

" إنما انا بشر انسى كما تنسون فإذا نسيت فذكرونى" (٤)

٤- **قال النبى محمد ا** ــ صلى الله عليه وسلم فــى حديثــه الصحيــح مؤكــدا عبوديته لله عزوجل ــ وحده ، ويعلما أصحابه واتباعــه واحبابــه الدعاء والتضرع إلى الله ــ تعالى ــ **فى الأمور** :

" اللهم إنى عبدك ، إبن امتك ، ناصيتى بيدك ، [illegible] فى حمكك ، عدل فى قضاؤك " (٥)

---

(١) سورة المائدة الآيه ٦٧

(٢) سورة الفرقان الآيه ٧

(٣) سورة الفرقان الآيه ٢٠

(٤)الحديث اخرجه " البخارى " فى الكتاب : الصلاة باب التوجه نحــو القبلــه ، و"مسلم " فى كتاب : المساجد باب السهو الصلاة .

(٥)الحديث رواه الامام " احمد ط فى مسنده جـ ـه ص ٤٥٢ .

ولربما يقول قائل : لماذا ينطبق على الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل ما ينطبق على سائر البشر من الأعراض البشرية وهل هذا له حكمة ؟
وقد أجاب علماء الإسلام على هذا السؤال بقولهم " إن هذا التوافق بين " الأنبياء " و " الرسل " من جهه وسائر الناس من جهة أخرى له حكم كثيرة علمنا منها القليل وجهلنا منها الكثير ، فمن الحكم التى نستطيع علمها ومعرفتها : ـ

١- التشريع : بمعنى أن ما يقع للرسل و الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من سهو ونسيان فانه يدخل فى باب التشريع الإلهي للنوع الإنساني وذلك كما حدث لرسولنا " محمد " ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما سهى فى إحدى صلواته، ثم لما ذكره بعض أصحابه قام بتعليمهم ـ وتعليمنا ـ كيف يسجدون للسهو عندما يسهون فى صلاتهم أو يشكون فيما أتوا من ركعات ، مما يؤكد على أن السهو والنسيان يدخلان ضمن التشريع الإلهي للنوع الإنساني .

٢- القدوة الحسنة : بمعنى ان الانسان عندما يقف على ما حدث لأنبياء الله تعالى ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أمراض ومصائب وابتلاءات فى انفسهم واموالهم وأولادهم وازواجهم وما الى ذلك ، بالرغم من علو مقامهم ورفقه شأنهم عند ربهم ومليكهم ـ سبحانه وتعالى ـ فإنه يصبر ويصابر على ما نزل به من مصائب وابتلاءات ، فعندما ينظر فى أحوال الأنبياء والرسل ويقول إذا كان هذا حال انبياء الله ورسله وكيف انهم صبروا على ما أصابهم فكيف بحالى انا وانا العبد المذنب ؟
وعلى هذا فإن الانبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قدوة حسنة لأقوامهم ولمن يأتى بعدهم .

٣- تعظيم الأجر والثواب : بمعنى ان البلاء والفتن والمصائب التى تنزل بالانبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم يقابلوها بالصبر والتسليم والاحتساب ، فلا شك يكون فيها تزكيه لنفوسهم ، ومغفرة لذنوبهم ،ورفعة بلدرجاتهم عند ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ ولذا قال سيدنا محمد ـ صلى اللع عليه وسلم ـ مشيرا الى هذا المعنى : ـ
" أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم المثل فالأمثل " (١)

٣- التطبيق العملى : بمعنى أن الأنسان عندما ينظر الى الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقد أعرضوا عن حب الدنيا وظلينتها ، وأقبلوا على الله ـ تعالى ـ لعلمهم ان الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعرضة ، وانها ملعونه ملعون ما فيها إلاما استثناء النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ـ
" ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا : ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلما (٢)
مع الإشارة ألى أن الدنيا ليست مذمومه أو محمود لذاتها أو على إطلاقها بل على ما يترتب على ما يعلمه الإنسان فيها من طاعة أو معصية (٣).

---

(١)الحديث رواه " البخارى " والترمذى واحمد وابن ماجه عن سعد فى الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٢

(٢)الحديث اخرجه " الترمذى " فى كتاب الذهد ـ باب الدنيا ملعون ما فيها إلا بذكر الله جـ٧ ص٨٠

(٣)راجع البيجورى : شرح البيجورى على السنوسيه ص ٤٤ ،٤٥ بتصرف يسير .

(٢٠٦) من أركان الإيمان

* من أركان الإيمان الواجبة على كل مؤمن ومؤمنه : الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ دون ترفقه بين أحد منهم لانهم جميعا مرسلين بأمر الله ــ تعالى ــ وجاءوا بعقيدة واحدة وهى واحدنيه الله ذاتا وصفاتا وأفعالا واسما .

* ومعنى الأيمان برسل والأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ التصديق بكل ما جاءوا به من عند الله عز وجل بما يتعلق بالمسائل الالهيه والأحكام الشرعيه ، لأن فى طاعتهم طاعه الله ، ومعصيتهم معصيته جل جلاله ، وقد جاءت فى آيات الذكر الحكيم كثير من الآيات القرآنيه تؤكد على وجوب الإيمان بهم جميعا من هذه الآيات القرآنيه : ــ

١- قول الله تعالى : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين " (١)

٢- قول الله تعالى : "قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (٢)

٣- قول الله تعالى : "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " (٣)

٤- قول الله تعالى : والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما " (٤)

---

(١)سورة آل عمران الايتان ٣١،٣٢
(٢) سورة البقرة الآيه ١٣٦
(٣)سورة البقرة الآيه ٢٨٥
(٤) سورة النساء الآيه ١٥٢

لذا فإن طاعة الأنبياء والرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ واجبه على كل إنسان بوجه عام ، وعلى كل مؤمن ومؤمنه بوجه خاص ،
ومن يكذب بهم أو باحد هم فإنه يكذب الله ـــ عزوجل ـــ ذاته ، كذلك من يكذب بالقرآن أو بعضه فإنه يكذب الله ، ويكذب الله فجزاؤه النار وبئس القرار .
###################

كم عدد الانبياء والرسل ؟

ولسائل ان يقول : هل نستطيع معرفة عدد الانبياء والرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ أم ان ذلك فوق طاقه الانسان وان الله لم يكلفنا بذلك ؟
وقد تباينت أقوال العلماء فى الآجابه على على هذا السؤال وانقسموا فيما بينهم الى ثلاثه مذاهب رئيسه هى : ـــ

١-منهم من يذهب الى ان عدد " الانبياء " (مائه ألف وأربعه وعشرون ألفا) وعدد " الرسل " (ثلاثمائه وثلاثه عشر) بناء على ما ورد فى بعض احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٢- منهم من قال : أنه لا ينبغى الاقتصار على هذا العدد لان ذلك العدد ضئيل جداً بالقياس الى كثيرة الامم والشعوب والقبائل من بدايه الخلق الى رساله خاتم النبيين سيدنا "محمد " صلى الله عليه وسلم .
٣-قال بعض المحققين : انه لا ينبغى القطع وحصر عدد الانبياء والرسل فى عدد معين لماذا ؟

أ- لأنه لم يرد حصر عددهم بدليل قطعي الثبوت سواء من القرآن الكريم او من السنه النبويه الصحيحه والحديث الوارد بحصر عددهم " ضعيف " وهو خبر أحاد ولم يقترن بما يفيد القطع ، وخبر الاحاد لا يفيد الا الظن ، ولا عبرة بالظن فى باب الاعتقادات .
ب ـــ قد يؤدى حصرهم فىهذا العدد ان يدخل فيهم ما ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو داخل فيهم (١)

ومن جهتى : فإنى اميل الى القول الذى لم يقطع بعدد معين للانبياء والرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ لأنه لا يعلم عددهم على وجه الحقيقه الا الله ـــ الخالق العظيم بالاضافه الى ان الوقوف على عددهم لم يكلفنا الله ـــ تعالى ـــ به ، ولم يضر المؤمن والمؤمنه الجهل بهذا ، لكن الواجب هو الايمان بجميعهم ما عرفناه منهم ومالم نعرفه .

---

(١) راجع المودودى : مبادىء الإسلام ص ٣٣ بتصرف يسير .

وقد حذر رب العزة ــ سبحانه وتعالى ــ أشد التحذير فى اكثر من موضــع فى كتابه المبين اولئك الذين يكفــرون برســل الله وانبيائـــه او بعضـــهم ، وتوعدهم فى الآخرة بانهم سيلاقون جزءا كفرهم ويكذبهم **فقال الله جــل شانه : ــ**

" إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولــون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا أليما " (١)

@@@@@@@@

صفات الأنبياء والرسل

عليهم السلام

* مما هو معلوم عقلا وثابت نقلا ــ بالكتاب والسنه ــ ان الله عز وجل قد فضل الناس بعضهم على بعض مع ان ربهم واحد وابيهم واحد ومصيرهم واحد ،

* حتى ان بعض الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ قد فضل الله بعضهم علـــى بعض مع ان عقيدتهم واحدة هى وحدانيه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ،

ولعل هذا ما يؤكد قول الله تعالى فى كتابه المبين : ــ

" تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات " (٢)

وقل الله تعالى: ــ

" ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمه ربك خير مما يجمعون " (٣)

ومن هذا المنطلق فقد توافرت فى الانبياء ــ عليهم السلام بفضل الله ورحمته ــ خصائص وصفات معينه ميزتهم عن كثير من خلقه ، ومع هذا فنحن مأمورين بالاقتداء والتأسى بأفعالهم وأقوالهم ،

من هذه الصفات التى توافرات فى الانبياء ــ عليهم الصلاة والسلام : ــ

١- الصدق ٢- الأمانه ٣- الفطانه ٤- الذكورة ٥-السلامة من العيوب

وسوف نقف قليلا عند هذه الصفات لتتبين بعض معاينها ونشير الى بعض مضامينها :

---

(١) سورة النساء الآيتان ٥٠ ،٥١

(٢)البقرة جزء من الايه ٢٥٣

(٣)سورة الزخرف جزء من الآيه ٣٢ .

أولا : الصدق

* اول صفه تصف بها انبياء الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صفه الصدق ،لأنها تمثل الاساس او الركيزة التى يرتكز عليها سائر الصفات الاخرى ، كما انها تمثل العلاج الناجح والناجع لأى مرض ما من الأمراض الاجتماعيه التى ظهرت على ساحه الأنسانيه بين أبناء الامه الأسلاميه ،
* كما انها تمثل نقطه الوصل بين وحى السماء واهل الارض ـ وتمثل الحد الفاصل بين الحقيقة والخيال ، بين الصادقين والكاذبين ،
* وقد قامت الادله النقليه ـ من كتاب وسنه ـ والبراهين العقليه على صدق " الأنبياء" عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم بحث لا يبقى هناك حجه للمنكرين الا العناد والجحود والمكابرة ولأن الصدق فضيله ، والكذب رذيله فقد استحال الكذب على الأنبياء" و " الرسل" ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولأن الكذب ينافى دعوى النبوة والرساله ،

والصدق: هو مطابقه الخبر للواقع لذا فانه واقع لهم ويتحقق فيهم جميعا .

وانواعه ثلاثة :-

أ) الصدق فى دعوى النبوة والرساله .

ب) الصدق فيما يبلغونه عن الله ـ تعالى ـ الى الناس من احكام شرعيه .

ج) الصدق فى كل ما يقولونه ويفعلونه مما له علاقه بامور الدنيا (١)

* وهناك الكثير من النصوص النقليه تؤكد اتصاف الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بفضيله الصدق ليهلك من هلك عن بينه ويحى من حى عن بينه حسبنا منها :

١ـ قول الله تعالى: " قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " (٢)

---

(١) راجع التفتازانى : شرح العقائد النسفيه ص ١٣٦ ، الأيجى : المواقف ص ٥٦٧ ، التفتازانى : شرح المقاصد ج ٢ ص ١٢٨ بتصرف

(٢) سورة يس الآيه ٥٢ .

٢- قول الله تعالى : " وما ينطق عن الهوى إن هو الإ وحى يوحى " (١)
٣- قول الله تعالى : " ولو تقول علينا بعض الأقاويل لآخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين " (٢)
٤- روى الترمذى فى سننه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعض اصحابه يا رسول الله إنك تداعبنا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنى لا أقول إلا حقا " (٣)

* كذلك قامت البراهين العقليه على صدق الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ منها : ـ

أ. لو أجاز ، العقل ـ الكذب على الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لاجاز الكذب فى اخبار الله تعالى ، ولكن تجويز ذلك من المحالات كيف ؟
لأن " الخالق " الحكيم ـ سبحانه وتعالى ـ أيدهم بالبراهين والمعجزات .

ب. الصدق فضليه والكذب رذيله ، والصدق طاعه والكذب معصيه ، والأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاةو والسلام ـ معصمون من الذنوب والآثام .

ج. إن الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لو كذبوا واشتهر ذلك علي ألسنه الناس لا نتفت فائدة النبوة والرساله لماذا ؟
لأنه كيف يصدق الناس من يكذب على الله تعالى (٤)

* بهذا يتاكد بالدليل النقلى والربهان العقلى ان الكذب منتفى فى حق الأنبيـــاء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأنهم كيف يكذبون وهم أئمـــه الخلـــق ، وخير الناس ، وقد صنعهم الله على عينه ، وكيفل برعايتهم وتعليمهم ؟

* كذلك على الأنسان المؤمن ـ خاصه ـ ان يقتدى بهم ، ويتأسى بأفعالـــهم وأقوالهم ويقول الصدق ويتجنب الكذب حتى ولوكان ذلك يكلفه الكثير ، ففـــى الصدق نجاة وفى الكذب هلكه ،

* وبالصدق يعيش الأنسان سعيدا مسرورا بين أهله وعشيرته وبنى جنسه أينما حل وارتحل وبالكذب يعيش الأنسان شقيا حزينا .

---

(١) سورة النجم الايتان ٣،٤
(٢) سورة الحاقه الآيات ٤٤،٤٧
(٣) الحديث رواه الترمذى فى كتال البر باب ما جاء فى المزا ح ج٦ ص ٢٠٦ وقال : حديث حسن صحيح
(٤) راجع الأيجى : المواقف ص ٥٦٧ ، البيجورى : شرح البيجورى على جوهرة ج٢ ص ٢٤ ، الطائى : رساله فىالتوحيد ص ٦٧ بتصرف يسير .

ثانيا : الأمانة

* الأمانه هى الصفه الثانيه التى توافرت فى "الأنبياء " والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أى امانه التبليغ عن الله ــ عز وجل ــ اوامره ونواهيه ، أو شرعه واحكامه الى الخلق أجمعين .

* **ولسائل ان يقول : هل لنا أن تعرف معنى التبليغ لنقف على معناه لغويا ؟**

تجيبنا احدى المعاجم اللغويه على ذلك بقولها : ــ

" **بلغ المكان** : وصل إليه ، وكذا إذا شارف عليه ومنه قوله تعالى " فاذا بلغن اجلهن " (١) اى قاربنه ، وبلغ الغلام : ادرك ، وبابهما دخل ، والآبلاغ والتبليغ : الأيصال ، والإسم منه البلاغ ، والبلاغ أيضا الكفاية " (٢)

وبهذا يكون التبليغ معناه : القيام بالشىء على ما ينبغى القيام به وايصاله الى اصحابه سواء اطاعوا او عصوا ؟

* والنبى والرسول ليس عليهما إلا البلاغ المبين ، وبعدها يترك للناس حريه الإيمان او الكفر ، حريه التصديق او التكذيب ، ولكن بعد ان يبين لهم جزءا الطاعن ، وعقاب المعصيه .

وضد التبليغ : الكتمان ، وضد الأمانه : الخيانه ، والكتمان والخيانه منفيان فى حق الرسل والأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ لأنهم جميعا ماموريه بالتبليغ سواء أطاع الناس او عصوا ، واحبوا او كرهوا ؟

وهذا ما يؤكد قول الله ــ تبارك وتعالى ــ فى كتابه الكريم : ــ

* " باايها الرسول بلغ ما انزل من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين " (٣)

هذ وقد بين علماء الدين ان الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ فى التبليغ بين امور ثلاثه :

أ. قسم امروا بكتمانه : وهو خاص بينهم وبين " خالقهم " جل جلاله .

ب. قسم خيروا فيه بين الكتمان وعدمه .

ت. قسم امروا بتبليغه : وهذا هو الذى بلغوه الى من ارسلها اليهم ، وانهم مامورين من قبل الله ، ــ تعالى ــ بتبليغه وعدم كتمانه .(٤)

---

(١) سورة الطلاق جزء من الأيه ٢
(٢) راجع الامام الرازى : مختار الصحاح ص٢٦
(٣) سورة المائدة الآيه ٦٧
(٤) راجع الامام الطائى : رساله فى التوحيد ص ٦٨ بتصرف يسير

وكيف لا يبلغون عن الله — تعالى — شرعه وأحكامه ومهمتهم الأولى والأخيرة هى : الإبلاغ والتبليغ ، وهذا ما اكدع رب العزة — سبحانه وتعالى — فى كتاله الكريم بقوله تعالى : —

" ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون " (١)

وقوله تعالى : " ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر " (٢)

ماذا يترتب لو لم يبلغون عن الله اوامره ونواهيه ؟

* بين علماء الدين أن الأنبياء والرسل — عليه الصلاة والسلام — قاموا بابلاغ الناس ما اوحى اليهم وما أمروا بتبليغه إليهم ، وانهم لو لم يفعلوا ذلك لترتب عليه كثير من المحاذير كلها منفيه ومستحيله فى حق امناء وحيه وشرعه .

وهذه هى بعض الأمور المترتبه على عدم الابلاغ : —

أ. انهم لو كتموا شيئا مما اموروا بابلاغه الى الناس لكنا ، اى اتباع الرسل والأنبياء — مامورين بكتمان العلم لاننا مامورين بالأقتداء بهم والتاسى بافعالهم ، ولكن الكتمان محال فى حقهم لورود كثير من النصوص النقليه تفيد ان كلتم العلم ملعون .

ب. إن الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — لو كتموا شيئا مما امروا بتبليغه الى الناس لكانوا خائنين للامانه التى حملوها ، ولكن كتمانهم ، محال لانهم قد عصموا من الخيانه وطبعوا على الامانه

ج. ان الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — مبشرين بالجنه ، ومنذرين بالنار لذا فهم مامورين بتبليغ ذلك للناس مصداقا لقول الله ، تبارك وتعالى — فى كتابه الكريم : — رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " (٣)

د. إن الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — لو كتموا شيئا مما امروا بابلاغه الى الناس لكانوا ملعونين لقول الله — تبارك وتعالى — فى كتاب الكريم : —

* إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله اللاعنون " (٤)

---

(١) سورة المائده الآيه ٩٩

(٢) سورة المدثر الآيات ٢ ، ٣

(٣) سورة النساء الآيه ١٦٥

(٤) راجع البيجورى : شرح البيجورى على الجوهرة ج٢ ص ٢٥ / الطائى : رساله فى التوحيد ص ٦٩ ، السفارينى / لوامع الأنوار ج٢ ص١٠٨ بتصرف يسير

* إذن امكانية الكتمان والخيانه بالنسبه للأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — منتفيه فى حقهم نقلا وعقلا لأن خيانتهم وكتمانهم يوجبان نقصا فى حقهم — ويترتب عليه الكثير من السلبيات فى حق الأتباع لذا فهم معصمون من الكتمان ولاخيانه ومامورين بالابلاغ والتبليغ .

$$$$$$$$$$$$$$$$

ثالثا: الفطانة

* الفطانه صفه من الصفات التى يشترط وجودها فى من يقوم بحمل امانه السماء الى اهل الارض ، ولسائل ان يقول : ما معنى الفطانه ؟

* " الفطنه : كالفهم تقول فطن للشىء يفطن بالضم وفطن بالكسر فطنه أيضا وعطانه ، وفطانه لفتح الفاء فيهما ، وجل فطن بكسر الطاء وضمها " (١)

وعلى هذا فان الفطانه " تعنى : سرعه الفهم ، والكياسه ، وحسن التصرف ، والصبر والمثابرة .

أما معناها الشرعى ؟

أما معناها الشرعى فكما قال أحد العلماء : —

" التيقظ والتفطن وحدة العقل والذكاء وسداد الرأى وسرعه البديهه " (٢)

* وقد أكدت النصوص النقليه ، والبراهين العقليه اتصاف الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — بصفه الفطانه ، من هذه النصوص : —

١- قول الله تعالى : وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم " (٣)

٢- قول الله تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل على سبيله وهو اعلم بالمهتدين " (٤) .

٣- قول الله تعالى : "ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسحبن والطير وكنا فاعلين " (٥)

٤- قول الله تعالى : وشددنا ملكه واتيناه الحكمه وفصل الخطاب " (٦)

---

(١) راجع الامام محمد الرازى : مختار الصحاح ص٢١٢

(٢) راجع البيجورى على الجوهرة ص٣ .

(٣) سورة الانعام الآيه ٨٣

(٤) سورة النحل الآيه ١٢٠ (٥) سورة الأنبياء الآيه ٧٩

(٦) سورة ص الآيه ٢٠

فهذه النصوص النقلية الكريمه تؤكد اتصاف الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ بصفه الفطانه وهى ان كان الخطاب فيها لبعضهم الا ان المقصود جميعهم وليس بعضهم لان العبرة ــ كما يقول علماء التفسير ــ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان " الفطانه " صفه كمال وضدها ــ الجهل والغباء ــ قصه نقض لذا فهم معصومون مما ينافى مقتضى النبوة والرساله ،
كذلك العقل برهن على ثبوت صفه الفطانه "للانبياء والرسل باكثر من دليل وها هو استدلال العقل على عصمتهم من الجهل والغباء : ــ

أ ــ ان الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ قد ارسلوا لاقامه الحجج وابطال الشبه ولا يتصور ذلك ممن يكون فطمنا .

ب ــ إن الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ساسه الجميع ومرجع جميع الناس فى حل المشاكل الاعتقاديه والاخلاقيه وغيرها .

ج ــ ان الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ هم اسوة حسنه لنا وقد وتنا فى الافعال والاقوال معلوم ــ عقلا وواقعا ــ ان المقتدى به لا يكون الا فطنا عاقلا .

د ــ ان الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ قد ثبت لهم الفطانه ــ بالنصوص النقليه ــ واستحال عليهم البلادة والجهل لانهما صفه نقض وتخل بمنصب النبوة والرساله وتتنافى مع العصمه التى ثبتت لهم بالعقل والنقل (١) .

* وهكذا يتوافق العقل مع النقل فى اثبات صفه الفطانه للانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وكيف يتعارضا ؟ والنقل منزل من حكيم حميد ، و العقل من خلق الله العلى العظيم ،

* كما ان فيه رد على اولئك الذين يعطلون العقل عن عمله الذى خلق له وهو التفكير والتدبر والنظر والعبرة والاعتبار .

رابعا : الذكورة

* الصفه الرابعه التى يجب توافرها فى الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ هى الذكورة كما ذهب الى ذلك جمع كثير من علماء الدين الى ان اصبح اجماعها .

(١) راجع التنفتازانى :شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها ن البيجورى : شرح البيجورى علىالجوهرة ص ١٤٣،١٤٤ ، الطائى : رساله فى التوحيد ص ٦٩ يتصرف يسير .

* الا ان هناك بعض العلماء اجاز ان تكون " المرأة " نبيا ورسولا مستشهدين ببعض النصوص النقليه لتأييد مذهبهم ،

* وقد برهن " علماء الدين " على وجوب صفه " الذكورة " في من يقوم بحمل امانه السماء الى اهل الارض ، من بين البراهين النقليه والعقليه التي استشهدوا بها على مذهبهم :ــ

١- **قول الله تعالى** : " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون " (١)

٢- **قول الله تعالى** : " وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى " (٢)

٣- **من متطلبات النبوة والرساله** : اشهار الدعوة والتردد على تجمعات المدعوين واظهار المعجزات ، ولزم الاقتداء في الافعال والاقوال والسلوكيات .

٤- **الأنوثة** تتطلب التستر والابتعاد عن الناس ــ الا لضوروه ــ فكيف تكون المرأة " نبيا وهى لم تظهر على الناس بدعوتها ولم تقم الحجة عليها ؟ (٣)

* هذا فيما يتعلق بادله اصحاب الفريق الاول المشترط وجود صفه الذكورة " في من يقوم بالدعوة الى الله ، تعالى ــ والتبشير بجنته ، والانذار بعذابه ،

* اما اصحاب الفريق الثانى: وهو قله قليله ــ المجوزين ان تكون المرأة نبيا ورسولا فقد استشهدوا على مذهبهم ببعض النصوص النقليه وهاهى :ــ

١- **قول الله تعالى** : " اذ قالت الملائكه يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العاملين " (٤)

* فهذه الايه الكريمه تدل على اصطفاه الله ــ تعالى ــ السيدة مريم ــ عليها السلام ــ مع انها امراة مما يدل على جواز ذلك .

٢- **قول الله تعالى** : " فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " (٥)

* فهذه الايه الكريمه تتحدث عن ارسال الروح ــ اى جبريل عليه السلام ــ للسيدة ــ مريم مما يدل على جواز ان تكون المراة نبيا ورسولا .

٣- **قول الله تعالى** : اوحينا الى ام موسى ان أرضعيه فاذ خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى اما رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين " (٦) .

---

(١) سورة الانعام الآيه ٩
(٢) سورة يوسف جزء من الآيه ١٠٩
(٣) راجع المقدسى : المسامره بشرحح المسايره ص ٢٣١ بتصرف يسير .
(٤) سورة آل عمران الآيه ٤٣
(٥) سورة مريم جزء من الآيه ١٧
(٦) سورة القصص الآيه ٧ .

فهذه الآيه الكريمه تخبر : ان الله ـ تعالى ـ قد اوحى الى ام موسى ـ عليها السلام ـ مما يجوز ان تكون المرأة نبيا و رسولا .
هذه هى أدله أصحاب الفريق الثانى المجوز ان تكون المرأة نبيا ورسولا .
* ولكن أصحاب الفريق الاول قد ردوا عليهم موضحين المقصود الحقيقى من هذه الآيات الكريمه التى استشهدوا بها على مذهبهم فقالوا فى الرد عليهم : ـ
" إن اصطفاء الله ـ تعالى ـ للسيدة مريم ـ عليها السلام ـ وارسال امين الوحى جبريل أليها لم يكن وحيا بشرع لأن ظاهر الأيه الكريمه لا يدل عليه ،
* كذلك الأمر بالنسبه لأم موسى ـ عليها السلام ـ لا يراد به الا معنى الالهام مثله مثل قول الله تعالى : " واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيتا ومن الشجر ومما يعرشون " (١)
* هذا ما رد به اصحاب المذهب الاول المشترط وجود صفه " الذكورة " فى من يقوم بتبليغ شريعه الله واحكامه الى الناس (٢) .
والمتدبر فى ادله الفريقين : يجد انها تميل لصالح الفريق الاول الذى يشترط وجود صفه " الذكورة " فى النبى والرسول لأن النبوة والرساله تتطلب امورا كثيرة وجهدا شاقا لا تستطيع المرآة ـ بحكم تكوينها الجسمانى والعقلانى ـ ان تتحملها ، وهذا ليس تحقيرا لشأن " المرآة " ولكن رحمه بها من قبل العليم الحكيم الذى خلق كل شىء فاحسن خلقه وتدبيرة ، ولأن الله تعالى قال فى كتابه المبين :
* " الرجال قوامين على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما إنفقوا من اموالهم " (٣)
والقوامة : هى حسن التصرف ، وبذل الجهد العظيم ، والتحلي بمزيد من الصبر للاستماع الى الناس ومعرفه ما يدور بينهم ، والمساعدة فى حل مشاكلهم قدر الطاقه الانسانيه ، أو سؤال الخالق ـ تعالى ـ عن اجابه ما يصعب الرد عليه .

---

(١) سورة النحل الآيه ٦٨
(٢) راجع المقدسى : المسامرة ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، السفارين : لوامع الآنوار ج٢ ص٢٢٦ بتصرف يسير
(٣) سورة النساء جزء من الآيه ٢٤

خامسا : السلامة من العيوب المنفرة

❁❁❁❁❁❁❁

* الصفه الخامسه التى يجب توافرها فى الانبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — السلامه من العيوب والنقائص باعتبارهم اكمل الناس خلقا وخلقا وعلما وحكمه ،

وقد انقسم علماء الدين الى فريقين بشأن هذا الشرط او هذه الصفه الخامسه : —

أولهما : قال انه لا بد من سلامه الانبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — من العيوب المنفرة ، وانه لابد من توافر الامور الاتيه فيهم :

أ- أن يكون النبى والرسول صحيح الخلقه باعتبار اكمل اهل زمانه خلقا وخلقا ولكن الفريق الثانى — الذى لا يشترط ذلك — اعترض على هذا الأمر بما كان من امر سيدنا موسى عليه السلام وعقدة لسانه مما ينقض هذا الشرط الذى اشترطه الفريق الاول .

" بان عقدة لسانه سيدنا موسى — عليه الصلاة والسلام — كانت قبل النبوة ثم أزيلت العقدة بعد الارسال بدليل دعائه لربه تعالى فى قوله عزوجل :

" واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " (١) فاستجاب الله — تعالى — لدعائه بقوله عزوجل : —

" قال قد أوتين سؤلك يا موسى " (٢)

ب- ان يكون " النبى — عليه السلام — خاليا من العيوب المنفرة كالبرص والجذام ونحوهما ولكن الفريق الثانى : اعترض على هذا الشرط بما كان لسيدنا أيوب — عليه الصلاة والسلام — واصابته بمرض جلدى كان سببا فى اعراض كثير من الناس عن مخالطته .

واجاب الفريق الاول على هذا الاعتراض بقولهم : —

" إن بلاء سيدنا أيوب — عليه الصلاة والسلام — كان قبل النبوة ثم عوفى وشفى بعدها بدليل قول الله عز وجل فى كتابه الكريم : —

" فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمه من عندنا وذكرى للعابدين " (٣)

ج - أن يكون " البنى — عليه السلام — خاليا من دناءة الصناعه كالحجامه ونحوها ، ومن قله المروءة كالاكل على الطرقات ، لأن العرف كان — وما زال — يستنكر من يفعل ذلك .

---

(١) سورة طه الآيتان ٢٧ ، ٢٨

(٢) سورة طه الآيه ٣٦

(٣) سورة الأنبياء الآيه ٨٤ .

د- ان يكون النبى ــ عليه السلام ــ خاليا من الفظاظه والشدة والغلظة لأن أبعد الناس عن الله ــ تعالى ــ صاحب القلب القاسى ، والقلب القاسى غالبا ما يكون منبع الذنوب والآثام ، ولن فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب كما نطق بذلك صاحب القلب الرحيم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة واتم التسليم " (١)

وبعد : فهذه هى الشروط والمواصفات التى اشترطها " علماء الدين " فى من يقوم بامانه تبليغ وحى السماء الى آهل الأرض ،

* واذا ارجعنا النظر الى هذه الشروط او المواصفات التى اشترطت فى الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ نجد انها مرتبه ترتيبا تصاعديا بمعنى :

* انها بات بما اتفق عليه علماء الدين الحنيف فبدأت بالصدق ، ثم الامانه ، ثم الفطانه فهذه الصفات ــ الثلاث ــ لا خلاف ولا اختلاف عليها بين علماء الدين فجميعهم متفق على توافر فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

* **ثم جاءت الصفه الرابعه :** وهى " الذكورة " فوجدنا علماء الدين ينقسمون الى قسمين معظمهم او اكثرهم : يشترط وجود صفه " الذكورة فى من يقوم بشرف النبوة والرساله ، وبعضهم : لا يشترط ان يكون النبى او الرسول ذكرا بل يجوز ان يكون امراة مستشهدين بالسيدة مريم ــ عليها السلام ــ وأم سيدنا موسى عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ،

وعرفنا ان الحكم يميل لصالح الفريق الأول الذى يشترط أن يكون النبى والرسول ذكرا وذلك لاعتبارات كثيرو معقوله ،

* **ثم جاءت الصفه الخامسه وهى :** السلامه من العيوب وهى صفه اساسيه يقتضيها منصب النبوة والرساله باعتبار كان الانبياء ــ عليهم والسلام ــ أكمل أهل زمانهم خلقا وخلقا وعلما وحكمه فلابد ان يكونوا خلوا من العيوب او النقائص أو ما يخل بمروءتهم كالاكل فى الطرقات والبرص والجذام ونحوها ولكن وجدنا بعض العلماء لا يشترط ذلك مستشهدين بحال بعض الانبياء مما ابتلاهم الله ــ تعالى ــ به من امراض مصائب فى انفسهم واموالهم واولادهم وازواجهم ؟

ثم كان رد **اصحاب الراى الاول :** ان هذه الامراض التى وقعت لبعض الانبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كانت قبل النبوة ثم زالت بعدها .

ومن جهتى ارى أن الآنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ هم أكمل الناس خلقا وخلقا وما حدث لبعضم كان بمثابه التدريب العملى من قبل الله الخلاق العليم ليجزيهم .

ـجع التفتازنى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٩٨ ، السفارينى لوامع الانوار ج٢ ص ٢٦٧ ، عبدالكريم المدرس: الوسيله ص ٦٩٣ ، القاضى عبد الجبار : شرح الآصول الخمسه ص

* أحسن ما علموا ويزيدهم من فضله ، وليعودهم على تحمـــــل الصعــــاب والآلام ، وليكونوا قدوة حسنة لأقوامهم واتباعهم ، وليعتبر بحالهم أولـــــوا الالباب ، وليقولوا لانفسهم — ولغيرهم — اذا كان هذا حال أنبيــــاء الـــه ورسله فما حالنا نحن ونحن الغارقون فى الذنوب والآثام ؟

* لا شك ان هذا له حكم عظيمه يعلمها من يعلمها ، ويجهلها من يجهلـــها ، وفى كل شىء له آيه تدل على انه الواحده .

@@@@@@@@@@

@@@@@@

@@@

حاجة الناس الى هدي النبوة والرسالة

****

* بدايه نشير الى ان الله ــ تعالى ــ خلق الانسان وكرمه وفضله على كثير من خلقه وجعله خليفته فى الارض ، وحمله الامانه التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملها واشفقن منها ،

* وميزة بالعقل الذى يستطيع به ــ بتوفيق الله وهدايته ــ معرفه الخير والشر ، والحسن والقبيح وغير هذا من متناقضات ، وامره ان يستعمله فيما خلق له وهو : النظر والتفكر والتدبر والتامل فى ملكوت السموات والارض ليهتدى الى من خلق هذه السموات والارض والجبال والبحار والانهار ، وأجرى السحاب ، وسخر الشمس والقمر والنجوم والجبال ،

* وانزل المطر وانبت الزرع ، وسخر الطيور والدواب لخدمه الانسان ، وخلق الليل والنهار ليعرف الانسان الاوقات والازمان ، وغير هذا من نعم لا تحصى ولا تعد وهذا من فضل الله على الناس ليشكروا او يكفروا ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين .

* وقد قضى الله ــ تعالى ــ فى علمه الازلى القديم : ان من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ومع هذا فالخلاق العظيم ــ سبحانه وتعالى ــ خلق اسباب الهدى واسباب الضلال وبين اسبابهما وغايتهما باجلى بيان واصدق برهان فى كتابه المبيين ، وسنه رسوله الكريم سيدنا محمد عليه افضل الصلاو واتم التسليم .

* ومن اسماء الرب العظيم الرحمن الرحيم رحمان فى الدنيا للمؤمنين وغير المؤمنين ورحيم فى الاخرة للمؤمنين فقط ،

* ومن رحمته بالانسانيه ــ جمعاء ان ارسل اليها " رسلا " مبشرين ومنذرين لئلا يكون لهم حجه او معذرة ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صدق ومنهم من كذب ،

* وقد تباينت مسالك الناس فى معرفه الحق والعمل به ما بين عصر وعصر ، وما بين مصر ومصر ، وقد ترك فيهم هاديين باقيين ما بقيت السموات والارض وهما " كتاب الله " وسنه رسوله محمد " صلى الله عليه وسلم ، فمن عمل بهما سعد وفاز فوزا عظيما ، ومن تركها شقى وخسر خسرانا مبينا وقد ظهر فى كل عصر ومصر شرذمه قليون يريدون التحلل من اصول الدين واحكامه وادابه واخلاقه محاولين ــ بشتى الوسائل ، ان يجدوا دليلا او شبهه دليل على موقفهم الرافض لكل ما هو من عند الله وعند رسل الله ــ عليهم الصلاة والسلام .

* فمرة : ينكرون ما جاء فى الكتاب الكريم كله او بعضه ، ومرة: ينكرون السـنه النبويه الشريفه كلها أو بعضها ، ومرة : يطعنون فى اصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ متهمين إياهم باشد الاتهامات ، وأفظع الافتراءات خاصه سيدنا "ابو بكر " و " عمر " و " عثمان " و" على " وكذلك ازواجه صلى الله عليه وسلم
* ومرة : يقولون : إن " العقل " يستطيع وحده معرفه الخير والشر، والحسن والقبيح وما ينفعه وما يضره دون حاجه الى كتاب أو رسول او شريعه ،
* لذا فهم ــ بوجه عام ــ ينكرون ما جاء فى الكتاب الكريم والسـنه النبويه خاصه ، وينكرون بعثه الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ويقولون : انه لا فائدة من بعثتهم وهدايتهم ما دام " العقل " يستطيع معرفه ما يضره وما ينفعه ،
* وهذه الدعوى قديمه جديدة رددها شرذمه قليلون من الناس فى مل عصر عليه يصلون الى غاياتهم تاو بعضها ومنها : الاعراض عن الله وكتبه ورسله وما جاءوا به من عقيدة وشريفه واخلاق ، ولكن هيهات لهم ذلك فربك يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره " الكافرون " و" المشـركون " و " الظـالمون و "المبطلون "
* كذلك قام " علماء الدين الحنيف " ببيان شبهات الطـاعنين ــ ومـن فى قلبوبهم مرض ــ كما قالوها وكما حاكوها بالسنتهم واقلامهم ، ثم ردوا عليـها مبرهنين على فسادها وبطلانها وعقلا ونقلا ,
* وقد بين الله ، تعالى ــ فى كتاله الكريم الغايه من بعثه الانبياء والرسـل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ بقوله عز وجل : ــ

" ولقد بعثنا فى كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٢)

وبقوله تعالى :ـ

" وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون " (٢)

وبقوله تعالى :ـ

" هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين " (٣)

* إذن الغايه من بعثه الأنبياء عليهم السلام ــ كما حددتها الآيات الكريمـه ــ هو الدعوى الى الايمان بالله ــ تعالى ــ ربا ، وبالاسلام دينا ، والايمان بكتب الله ، ورسله ــ عليهم الصلاة والسلام أجمعين ــ واليوم الاخر وما فيـه مـن ثواب وعقاب وجنة ونار ،

---

(١) سورة النحل جزء من الآيه ٣٦
(٢) سورة الانبياءالآيه ٢٥
(٣) سورة الجمعه الآيه ٢

* ومن رحمه الله ـ تعالى ـ بالناس ان الثواب والعقاب لا يتم الا بعد ان يرسل اليهم رسولا ليقيم عليهم الحجه ان ضلوا وكفروا ويبشرونهم ان اهتدوا وآمنوا وذلك مصداقا لقوله جل ذكره في كتاب الكريم : ـ

" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (١)

* وما كان للناس أن يعرفوا اوامر الله ـ تعالى ـ ونواهيه الا بعد ان يرسل اليهم رسولا كما لم يكن لهم ان يعرفوا ما يرضى الله ـ تعالى ـ وما يسخطه الا بارسال الرسل الأنبياء عليهم السلام وقد انقسم المنكرون للنبوات والرسالات الى قسمين كبيرين : ـ

أولهما : ينكر النبوات والرسالات ـ بوجه عام ـ وينكر وجود خالق لهذا الكون خلق الخلق ،وقدر الآكوان ، وعلم الانسان ، وهؤلاء هم الماديون او الماديين والالحاديين الذين لا يؤمنون الا بالمادة وما هو مادى ، ويزعمون ان الدهر ـ الزمان ـ هو الذى يهلك وليس رب الدهر ـ سبحانه وتعالى ـ .

* وهؤلاء واولئك قد جاء ذكرهم فى الكتاب الكريم فى مواضع مختلفه منكرا عليهم ومرقفهم من الالهيات والنبوات والرسالات والسمعيات وما فيها من احداث تثيب لها الولدان .

ثانيهم : فريق يؤمن بوجود "اله " لهذا الكون ، ولكنه فى نفس الوقت ـ ينكر ان يكون الله ـ تعالى ـ قد ارسل رسلا مبشرين ومنذرين وان أمن بعضهم بهم فانه ينكر فائدتهم وهدايتهم زاعمين ان "العقل "يمكنه معرفه ما يريده الله وما لا يريده ومن هؤلاء"براهمه الهند" (٢) و" الصابئه " بعض " الزنادقة " (٣)

---

(١) سورة الاسراء الآيه ١٥

(٢) قال بعض الائمه : من الناس من يظن انهم سموا " براهمه " لا نتسابهم الى " ابراهيم " عليه السلام ، وذلك خطأ فان هؤلاء هم المخصوصون بنفي " النبوات " اصلا ورأسا ، فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة " ابراهيم عليه السلام من اهل الهند فهم الثنويه " منهم القائلون بالنور والظلمه على راى أصحاب الاثنين وهؤلاء " البراهمه " انما انتسبوا الى رجل منهم يقال له إبراهيم وقد مهد لهم نفى " النبوات " أصلا (راجع الأمام الباقلانى : تمهيد الأوائل هامش ص ١٢٦)

(٣) راجع د/ محمد يوسف : الإسلام وحاجه الانسانيه إليه ص ١٢٣ ، د/ السلوم الغلو والفرق الغالية ص ٧٩ يتصرف يسير

مزاعم من ينكرون النبوات والرسالات

$$$$$$$$$$$$

* إن من ينكرون النبوات والرسالات لهم مزاعم كثيرة للتدليل على موقفهم الرافض لذا نعرض لبعض مزاعمهم ورد علماء الدين الحنيف عليها قالوا : —

١-ان ما ياتى به النبى اوالرسول اما ان يكون مما يعرفه العقل او مما لا يعرفه ، فان جاء مما يعرفه العقل كان لا فائدة منه ولا حاجه لنا اليه ويكون فى العقل غنن وكفايه ، وان جاء بما لا يعرفه العقل كان حريا ألا يتلقى بالقبول لان المقبول هو الذى تدركه العقول .

الرد عليهم

%%%%%%%%

* أن هذا القول واضح البطلان لماذا؟ لأن كل مطلع على الرسالات السماويه يعلم انها قد اشتملت على ما يعرفه " العقل " وعلى ما لا عرفه فاما ما لايعرفه العقل فان للرسالات والنبوات مهمه التاكيد عليه والالتزام به ، وفى ذلك دعما لمكانه " العقل " وتعبيرا عمليا على اهميه فى بناء الحياة .

* واما مالا يعرفه العقل — وهو اكثر مما يعرفه — فان للرسالات السماويه دورا لارشاد العقل اليه ، وتنبيهه الى ما فيه النفع الصالح ، ووضع الحلول المناسبه لما يصادف الناس من مشاكل الحياة المتجددة وشئونها المعقدة ،

* وما قد يبدوا مخالفا لما يقتضيه العقل من التشريعات السماويه كبعض اعمال " الحج " وغيره ، فهو ناشىء عن قصور فى " العقل " — أحيانا ، عن دارك المصالح والمفاسد الحقيقة ، وعدم احاطته غالبا بالمصالح الاخرويه .

٢-قالوا : أن كان النبى من جنس المرسل اليه وتفضيل احد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حيف ومحاباه وخروج عن العدل والحكمه ، وذلك غير جائز على الحكيم العادل سبحانه وتعالى .

الرد عليهم

%%%%%%%%

والرد عليهم فى هذا الزعم من وجهين : —

أ - أن الله — تعالى — جلت حكمته يخص بفضله ورحمته من يشاء من خلقه ، كما ان له ان يساوى بين سائرهم ، وهذا لا ينافى كونه — تعالى — عادلا حكيما .

ب - يلزم من قولهم — الفاسد — ان يكون الله — تعالى — غير عادل لانه خص بعض خلقه بالعلم والذكاء ، وكمال الجسم والحواس وخلق فى بعض اخر الجهل والغباء والنقص وانتم لا تقولون بذلك بل تقولون : ان ذلك لمصلحه الطرفين وسبيل الى نفع عظيم والله — تعالى — اعلم به ،

* فلتكن خصوصيه بعض الخلق بارساله والنبوة وغيرهما مصلحه للطرفين — اى الرسول والمرسل اليه — ولطفا لهم فى النظر فى حجج العقول التى امرهم بالرجوع اليها والعمل بموجبها .

٣- قالوا : إن الله — عز وجل — حكيم ومن يبعث رسولا او نبيا الى من يعلم أنه يكفر به ولا يصدق به بل يعميه ويؤذيه يكون عابثا ، فوجب نفى بعث الرسل والانبياء عن الله — تعالى — لنفى العبث عنه عز وجل .

الرد عليهم

%%%%%%%

* ان هذا القول : يترتب عليه جواز بعث الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — الى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه بهم ، كما يترتب عليه ان لا يحتج الله — تعالى — بالعقول وما وضعه فيها من ادله على من يعلم انه يجحدها ولا يستدل بها ،

فأن قلتم : لقد استدل بها كثير ، واهتدى بهديها عددا ليس بقليل .

قلنا : قد صدق بالرسل والأنبياء كثير ، واهتدى بهديهم كثير ايضا فم المانع من ان يحتج الله ، عز وجل — على عبادة عن طريق واحد منهم يرسله اليهم ،ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وفنون المعرفه ، كما احتج عليهم بالعقل وجعله مصدرا للمعرفه ؟

٤- **قالوا :** ان كان الله — تعالى — قد بعث " الرسل " و " الأنبياء " — عليهم الصلاة والسلام — لهدايه الناس الى الايمان به وارشادهم الى ما فيه خيرهم ، فقد كان اجدر به واتم لمراده ان يضطر عقولهم الى الايمان به — تعالى — والى معرفه ما فيه خيرهم .

الرد عليهم

%%%%%%%%%%

* انه يلزم من قولكم هذا انه كان اجدر به اولى فى حكمته واتم لمراده ان لا يدعوا الناس للايمان به والتعرف على شريعته عن طريق النظر العقلى والاستدلال المنطقى سيما وانه — تعالى — يعلم ان فيهم من لا يستدل ، وفيهم من لا يحسن الاستدلال ، فكان اولى به ان يضطر عقولهم الى الايمان به ولا يكلفهم مئونه النظر والاستدلال ، وان يلطف بهم الطافا يختار جميعهم منها الى الايمان كما فعل بالملائكه،

* فان قلتم : ان الله — تعالى — قد راى فى تكليفهم بالايمان عن طريق النظر والاستدلال مصلحه لعقولهم ، وتكريما لعقولهم .

قلنا : وما المانع من ان يبعث اليهم رسولا منهم ؟

٥- **قالوا :** ان كان الغرض من ارسال رسول او نبى هو استحقاق الثواب بالايمان والطاعن ، واستحقاق العقاب بالكفر والمعصيه فبمكاننا ان ننظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره لنعمائه علينا ، واذا عرفناه وشكرنا وكنا اهلا لثوابه

ونعمه ، واذا انكرنا وكفرنا بنعمائه كنا جديرين بعقابه ، وعليه فىلا موجب لبعثه " الأنبياء " و "الرسل "

الرد عليهم
%%%%%%%%

* ان العقول لا يمكنها الاهتداء الى حقيقه الايمان وشرئطه ، والمعارف ووجوه الطاعات وما هو اللائق فى مقام شكره من دون بيان من الله — تعالى — على لسان رسول أو نبى من الله عز وجل ،
* وادل دليل على هذا : ما نراه قبل الرسالات الالهيه من الضلال الذى شمل العالم فى ذلك الزمان القديم بل ما نراه بعد ان خفت صوت الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — وضاعت معالم الرسالات الماضيه الى قبيل رساله خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد — عليه أفضل الصلاة واتم التسليم —
* اذ كان الناس يعبدون ما شاءوا من حجر او شجر ، وما ينحتون من تماثيل واصنام ويؤلهون بعضهم بعضا ، واستذل بعضهم بعضا ، بل أن المصريين القدماء مع عبقريتهم فى الفلسفه والعلم وكانوا وثنيين — اى يجعلون الاله اثنين — ومثلهم الرومان القدامى مع حظهم الموفور من الفلسفه والاخلاق والقانون ، فكيف بغير هذه الامم الراسخه الاقدام فى التفكير تلك الامم التى حرمت الاستعداد العقلى والفكرى .

٦-**قالوا** : إن مما يبطل الرسالات والنبوات انا وجدنا المدعيين لها يستدلون على صدقهم بمستحيلات عقليه مثل : فلق البحر وخلق ناقه من صخر ، وقلب العصا حيه واحياء الموتى و"ابراء الاكمه والابرص ، والمشى على الماء و انطاق الذئب والحصا ونحوذلك ، ولما كان ذلك مالا ممتعنا فى العقل بطل ما يدعونه .

الرد عليهم
%%%%%%%%

ان امتناع هذه الامور — فى نظركم — لا يخلو اما ان يكون فى قدره " الصانع " عزوجل او فى العادة ؟

فان قالوا : انه ممتنع فى قدره الصانع — عز وجل — فقد الحدوا وتركوا دينهم ، لأن المفروض انهم يؤمنون باله ومن صفات الإله القدرة وانه فعال لما يريد وانه لا يعجزه شىء فى السموات او فى الارض

وان قالوا : بل ذلك ممتنع فى العادة.

قيل لهم : وما المانع من ان ينقض الله ــ تعالى ــ العادات ويظهر المعجـزات على ايدى " رسله " وانبيائه " ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كبرهـــان ساطع ودليل قاطع على صدقهم وصحه دعواهن

٧- **قالوا:** ان ما اتى به " الرسل " والانبياء " ــ عليهم الصلاة والسـلا م " مثـل اعمال " الصلاة " من قيام وقعود وركوع وسجود ،واعمال الحج " مـــن سعى بين الصفا والمروة ، وطواف بالبيت ، وتقبيل الحجـر الاسـود ، ورمى الجمار ، واعمال " الصيام " من جوع وعطش جميعها مســتقبح عن العقول ،وحينئذ لا تكون من اوامر الحكيم ــ تعالى ــ لانه لا يــامر بما هو مستقبح عند العقول فوجب ان ترد عليهم ولا تقبل منهم .

الرد عليهم

%%%%%%%

* إنا لا ننكر ان من بين هذه الاعمال ما هو غير معقول المعنى ،أى لا تزهر وجه الفائدة فيه الا ان امتثال اوامر الله ــ تعالى ــ حسن فى ذاته وان لم نلحظ منفعه خاصه به ، ثم لا شك ان فى هذه الاعمال وما شابهها حكمه لا يدركـها " العقل " فجاء الرسول والنبى منبها له لكونها وسيله لصلاح كثير مـــن الخلـق وداعيه لهم الى توحيد الله ــ تعالى ــ والثناء عليه وغير ذلك مما ينال العباد به جزيل الثواب والعطاء فى الدنيا والاخرى (١) .

وبعد : فهذه بعض المزاعم التى تفوه بها منكروا الرســالات والنبـوات السماويه بوجه عام ، وكيف وصلت عقولهم وافكارهم الى مثـل هذه الخرافات والضالات التى لا تصدر الا من قلب طبع عليه فاصبح لا يميز بين الامور ، وعقل مختل لا يعى مـــا يقـول ، ورؤوس قد اعياها التخبط والبوار ،

* ورأينا كيف كانت ردود علماء الدين المنطقيه التى تخــاطب العقول السليمه ،والقلوب المؤمنه ، وقد اقتنع بها من اقتنـــع ، واعرض عنها من اعرض ، فماذا ينفع الدواء اذا كانت الطبــاع طباع سوء فانه لا شك ــ لا ينفع أدب ولا أديب .

---

(١) راجع العلامه الحلى : كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقـــاد ص ٢٧٣ ، الامام الباقلانى : تمهيد الاوائل ص ١٠٤ وما بعدها ، الامام ابن حزم : الفصل فىالملل والنحل ج١ ص ٦٩ /٧٠ د/ محمد يوسف : الاسلام وحاجه الانسانيه اليه ص ٢٢٣ ، الامام عبد الجبار : شرح الاصول الخمسه ص ٥٦٣ بتصـوف يسير .

* وماذا يبقى — بعد هذا — من تمايز بين الايمان والكفر ، بين التصديق والتكذيب بين من يصدق بها قال الله — تعالى — وما يكذب به ؟

* أن الايمان " بالرسل " " والانبياء ،عليهم الصلاة والسلام " من اركان الايمان واصوله وبدونه لا يكون هناك تصديق ولا يكون هناك ايمان بالمرة ،

* وهل " العقل " يستطيع وحده — دون عون من الله وكتبه ورسله — ان يعقل عن الخالق المدبر اوامره ونواهيه " ؛ ام ان الامر اتباع وتسليم وتصديق دون اعطاء فرصه اومجالا للعقل ان يقول ما يشاء وفيما يشاء ؟

* وفى محاوله يائسه لاقناع بعض العقول القاصرة والقلوب المريضه ان بعثه " الانبياء و" الرسل " — عليهم الصلاة والسلام — لا ثمرة فيها ولا فائدة منها " ما نشاهده من شقاء الكثير من الأمم والشعوب والجماعات ، فهم دائما ما يكونوا متخالفين لا متوافقين ، متحاربين لا متناصرين ، كثير منهم يضمر الحقد والعداوة لبنى جنسه ، ناهيك عن ظهور البدع والضلالات والمفاسد والامراض والمجاعات فى كثير من الاماكن والبلدان ممن لم يرتفع فوقها رايه الدين ، ورفرفت فوق ربوعه شمس الهدايه الالهيه والعنايه الربانيه .

* ومع اعتراف المعتدلين والمنصفين من أئمه الدين بهذه السلبيات او تلك المفاسد والضلالات التى ظهرت بين أبناء الآمه الاسلاميه خاصه ، وغيرها عامه ، الا انهم يقولون : —

* " نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن " الانبياء" — عليهم الصلاة والسلام " وانقضاء عهدهم ووقوع الدين فى ايدى من لا يفهمه او يفهمه ويغلوا فيه اولا يغلوا فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه : او متزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعه عقله عن تصريفه تصريف "الأنبياء " — عليهم الصلاة والسلام — انفسهم او الخيرة من تبعتهم ،

* والا فقل لنا : اى " نبى " لم يات امته بالخير الجم ، والفيض الآعم ولم يكن دينه وافيا بجميع ما كانت تمس اليه حاجتها فى افرادها وجملتها " (١)

* وبهذا يتاكد : أن بعثه " الرسل " و" الأنبياء " — عليهم الصلاة والسلام — حاجه من الحاجات الانسانيه ، وضرورة من الضرورات الاجتماعيه لا يمكن لاى انسان عاقل ان يستغنى عنها ، او يقلل من فائدتها وثمرتها مثلها فى ذلك مثل الهواء والماء والغذاء والشراب واللباس وغيرها من حاجات ضروريه للانسان وبنى الانسان ،

* ولان الانسان مركب من جسم وروح ، وان الجسم له حاجاته التى لا يستغنى عنها ، وكذلك الروح له حاجاته التى لا يتستغنى لها ، ذلك .

* فغذاء " الجسم " : الأكل والشراب واللباس .وغذاء " الروح " : الايمان والذكر والدعاء وعلى الانسان — العاقل — ان يسعى للاخرة سعيه للدنيا بل أشد لانها الابقى والادوم نفعها الله — تعالى — لبعثه " الرسل " والانبياء " — عليهم الصلاة والسلام — وهدايتهم وجعلهم لنا نورا وهدايه فى الدين والدنيا والاخرة بمعونه الله وتوفيقه .

---

(١) راجع الامام محمد عبده : رساله التوحيد ص ٩٣ ، ٩٤

الأدلة علي عصمة " الأنبياء "

****

* ان الناس – على اختلاف ازمنتهم وامكنتهم – قد وقفت من عصمه " الأنبياء " " والرسل " موقفين متباينين ، فريق يقول : بعصمتهم من الصغائر والكبائر ، قبل البعثه وبعدها الا في امور بسيطه جدا لا تقدح فى عصمتهم ومنزلتهم عند مرسلهم وهو " الله " جل جلاله ،

* وفريق : يذهب الى عدم عصمتهم مطلقا لا قبل البعثه والا بعدها ، سواء من الصغائر او الكبائر ، ولم يكتفوا بهذا بل حاولوا بشتى الوسائل ان يجدوا شبهه ولو صغيرة يجعلونها دليلا اوشبه دليل على ما يزعمون .

* ونرجىء الحديث عن الفريق الثانى – الرافض لعصمه الانبياء والرسل على انهم معصمون فى امور اربعه هى : –

١ – الاعتقادات ٢ – تبليغ الشرائع والاحكام ٣ – الفتاوى

٤ – الافعال والاحوال .

وهذا اجمال يحتاج الى شىء من التفصيل والبيان :

<u>الاول " ما يتعلق بالاعتقادات " :</u> فقد اجمعت الامه – الاسلاميه – على ان " الأنبياء " و"الرسل" – عليهم الصلاة والسلام – معصمون من الكفر والبدعة الا فرقه الفضليه من الخوارج فقد جوزوا الكفر عليهم لانهم يجوزون الذنب منهم ، وكل ذنب فهو كفر – عندهم – وأما الروافض " فانهم يجوزون عليهم اظهار كلمه الكفر على سبيل " التقيه " (١)

<u>الثانى ما يتعلق بتبليغ الشرائع والاحكام من الله تعالى :</u> " فقد اجمعت الآمه على انه لا يجوز على " الأنبياء " و" الرسل " – عليهم الصلاة والسلام – التحريف او الخيانه لا بالعمد ولا بالسهو ، والا لم يبق الاعتماد على شىء من امور الشرائع والاحكام .

---

(١) التقية : هى اظهار الانسان خلاف قوله او عمله ، او خلاف الواقع والحقيقة / أو خلاف العقيدة والمذهب والمسلك ، وهى من مبادىء "الشيعة" الاسلاسيه ، وان التقيه الشيعيه مخالفه للكتاب الكريم والسنة النبويه حيث ان معناها : الكذب المحض ، والنفاق الخالص / ولم ترد فى الكتاب الكريم آية واحدة تبيح الكذب والنفاق ، ولا روايه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجيزها بل على العكس من ذلك وردت أيات كثيرة فى الكتاب الكريم روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرم الكذب والنفاق اللذان يقابلان التقيه .

راجع الشيخ محمد منظور نعمانى : الثورة الايرانيه فى ميزان الاسلام ص ١٧٨ / احسان الهى ظهير : بين الشيعه واهل السنه ص ١٦٥ بتصرف يسير

الثالث" ما يتعلق بالفتوى ": فقد اجمعت الامه على انه لا يجوز تعمد الخطا منهم ، اما على سبيل السو فهناك خلاف فيه ما بين مجوز ومانع .

الرابع " ما يتعلق بافعالهم واحوالهم" : فقد اختلفت فيه الامه على خمسه مذاهب : ـ

١-قول الحشويه / التى ذهبت الى انه يجوز عليهم الاقدام على الصغائر والكبائر .

٢- قول " أكثر المعتزله " الذين ذهبوا الى انه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة واما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط الا يكون منفرا ، اما ان كان تعمد الصغيرة منفرا ؟ فذلك لا يجوز عليهم مثل التطفيف بما دون الحبه

٣- قول " الجبائى ـ من المعتزله ـ الذى ذهب الى انه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة ولكن وأما ان كان تعمد الكبيرة الصغيرة ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطا فى التأويل .

٤- انه لا يجوز الكبيرة ولا الصغيرة ـ من الانبياء والرسل ـ لا تعمدا ولا تاويلا ، واما السهو والنسيان فجائزان عليهم ثم انهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان بسبب ان علومهم اكمل ، ومن باب المبالغه فى الصدق والتحفظ والتيقظ

٥- انه لا يجوز على الأنبياء " والرسل " ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الصغيرة ولا الكبيرة لا بالعمد ولا بالتاويل ، ولا بالسهو ولا بالنسيان وهذا مذهب الروافض.

* واختلفت الامه فى وقت وجوب هذه العصمه ؟ فالروافض قالت : انها من أول الولادة الى اخر العمر وقال " الكثرون : هذه العصمه انها تجب فى زمان النبوة / واما قبل النبوة فى غير واجبه وهو قول " اكثر الاشاعرة " وقول " ابى الهذيل " وأبى على الجبائى " (١)

* وبعد استقرائنا للمذاهب الاسلاميه فى عصمه " الأنبياء " و" الرسل " ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ننظر اليها مرة اخرى لنرى ما فيها من صواب ومن خطأ .

فالمذهب الاول: يجوز اقدام " الأنبياء " و" الرسل " علىالكبائر والصغائر .

ونقول لاصحاب هذا المذهب ماذا يبقى ـ بعد هذا ـ من فرق او تمايز بين هؤلاء المصطفين الأخبار وبين باقى البشر الذين يرتكبون الصغائر والكبائر مع ان الانسان العاقل ـ غيى النبى وغير الرسول لايقدم على هذه المخالفات فما بالك بهؤلاء " الأنبياء " و " الرسل " الذين يعرفون اوامر الله ـ تعالى ـ ونواهيه حق المعرفه فضلا عن ان هذا المذهب يتعارض مع قوول الله عز وجل فى كتابه المبين : ،

* " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (٢) فكيف يامرنا الله ـ تعالى ـ بالاقتداء بمن يرتكب الصغائر والكبائر؟ ،اما يعلمون ان ارتكاب الصغائر يؤدى الى ارتكاب الكبائر وارتكاب الكبائر يؤدى الى الكفر والعياذ بالله تعالى وعلى هذا فان هذا المذهب يتعارض مع النقل الصحيح والعقل السليم .

---

(١) راجع الامام فخر الدين الرازى : الاربعين فى اصول الدين ج٢ ص ١١٥ ،١١٦ ، التفتازنى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٢،١٤٣ بتصرف يسير.

(٢) سورة الانعام الايه ٩

أما المذهب الثاني: الذى يجوز تعمد الصغيرة من الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فهو غير مقبول من جمهور المسلمين الذين اتفقوا على عدم ارتكاب الأنبياء والرسل للصغيرة بطريق العمد لانهم فى هذه الحاله يكونون متعمدين الذنب او المعصيه ، ومع ان الناس ـ العاديين ـ يفعلون ذلك فماذا يبقى من فرق او تمايز بينهم وبين غيرهم ان هذا المذهب مخالف لجمهور المسلمين لذا فهو غير مقبول كسابقه

أما المذهب الثالث: الذى يجوز صدور الذنب من الانبياء و" الرسل " ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عن طريق الخطأ فىالتاويل .

* فنقول لاصحاب هذا المذهب اى تاويل تقصدونه ، اما تعلمون انهم لا يتكلمون ولا يفعلون الا لامر الله ـ تعالى ـ ولا يسكتون عن شىء الا بوحى ، ذلك خاصه فى الامور الدينيه التشريعيه ، وهذا المعنى هو ما يشير اليه قول الله تبارك وتعالى فى كتابه المبين :
* "وجعلناهم ائمه يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الذكاة وكانوا لنا عابدين " (١)

اما المذهب الرابع: الذى لا يجوز ارتكاب النبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ للصغائر والكبائر سواء كان ذلك بطريق العمد او الخطأ فى التاويل .

* فهذا المذهب يتوافق مع منطوق الايات القرآنيه ومفهوم الأحاديث النبويه ، ويتوافق مع العقول السليمه التى تؤدى بالأنبياء والرسل باعتبارهم افضل خلق الله ـ تعالى قولا وفعلا وتطبيقا لاوامر الله ونواهيه .

اما المذهب الخامس: والذى تفرع لمذهبين : أصحاب الروافض الذين يمنعون صدور الذنب من الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مطلقا سواء كان صغيرة او كبيرة ، عمدا اوسهوا ، تاويلا او نسيانا .

* فاننا مع موافقتنا عليه بوجه عام الا اننا لا نوافق عدم صدور الذنب من الأنبياء والرسل مطلقا لانه قد صدر من بعض الأنبياء والرسل بعض الأمور غير المعتمدة مثل

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧٣

* اكل ابينا **وسيدنا آدم** — عليه الصلاة و السلام — من الشجرة بعد ان نهه الله عن الاكل منها ومراجعه **سيدنا نوح** — عليه الصلاة والسلام — لربه عز وجل فى شان ابنه وقول **سيدنا ابراهيم** — عليه الصلاة والسلام — قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون " (١)

* **وقتل سيدنا موسى** — عليه الصلاة والسلام — للرجل المصرى ، وغير هذا من أمور نعرض لها فى موضعها بمشيئه الله وتوفيقه ، وان الله — برحمته وفضله — لا يعاقب على السو والنسيان والخطأ .

الأدلة على عصمة الأنبياء والرسل

عليهم السلام

&&&&&&&&&

* هذا وقد برهن " **علماء الدين** " على عصمه الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — بأكثر من دليل وبأكثر من طريقه ، وهذه إحداهما : —

١-لو صدر الذنب من الأنبياء " والرسل — عليهم الصلاة والسلام — لزم أمورا كلها منفية عنهم كعدم اتباعهم لكن اتباعهم واجب بالإجماع وبقوله تعالى : —

" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبك والله غفور رحيم " (٢)

٢- لو صدر الذنب من الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — لردت شهادتهم مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

" يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " (٣)

لكنه منتف للقطع بان من يرد شهادته فى القيل من متاع الدنيا لا يستحق القبول فى امر الدين القائم الى يوم الدين .

٣-وجوب منهم وزجرهم لعموم أدله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكنه منتف لاستلزامه ايذائهم المحرم بالاجماع ولقوله تعالى:

" ان الذين يؤذنون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا و الاخرة واعد لهم عذابا مهينا " (٤)

٤-استحقاقهم العذاب واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قول الله تبارك وتعالى :

" ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا " (٥)

---

(١) سورة الانبياء الآيه ٦٣
(٢) سورة آل عمران الآيه ٣١
(٣) سورة الحجرات الأيه ٦
(٤)سورة الأحزاب الأيه ٥٧
(٥)سورة الجن الآيه ٢٣ .

لكن ذلك منتف بالاجماع ولكونه من اعظم المنفرات .

٥-عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تبارك وتعالى :

" لا ينال عهدى الظالمين " (١)

فان المراد به النبوة او الامامه التى دونها .

٦- كونهم غير مخلصين لأن المذنب قد اغواء الشيطان ، والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى :

" لاغونيهم اجمعين الا عباك منهم المخلصين " (٢) لكن الازم منتف بالاجماع وبقوله تعالى فى ابراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام " انا اخلصناهم بخالصه ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار " (٣)

٧- لو أذنبوا لكانوا منجرِّب الشيطان ويتبعيه لكن اللازم قطعن البطلان .

٨- عدم كونهم مسارعين فى الخيرات ومعدودين عند الله ــ تعالى ــ من المصطفين الاخيار اذ لا خير فى الذنب لكن اللازم منتف لقوله تبارك وتعالى :

" انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " (٤)

* وحصول المطلوب من هذه الوجوه محل بحث لان وجوب الاتباع انما هو فيما يتعلق بالشريعه وتبليغ الاحكام (٥)

* هذه هى ادله علماء الدين على عصمه الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وهى ادله صحيحه قويه تخاطب الفطرة السليمه ، والعقول الخالصه التى لم تتلوث بسموم التيارا الفكريه الالحاديه او المثلثه عافانا الله ــ تعالى ــ من الشرك واهله ، والكفر وسبيله ، والظلم وعاقبته ــ وعصمنا من الزلل فى الدين والدنيا والاخيرة كما عصم الأنبياء والرسل ــ عليه الصلاة والسلام ــ والصغائر والكبائر .

---

(١) سورة البقرة جزء من الآيه ١٢٤

(٢) سورة من الآيتان ٨٢،٨٣

(٣) سورة ص الآيتان ٤٦،٤٧

(٤) سورة الأنبياء جزء من الأيه ٩٠

(٥) راجع التفتازنى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٣ بتصرف واختصار

شبهات الطاعنين في عصمة الأنبياء والرد عليهم
@@@@@@@@@@

* رغم وضوح الأدله والبراهين على عصمه الأنبياء ــ عليهم الصــلاة والسلام ــ بحيث لاتحتاج اكثر من التسليم بها والتصديق بصوابها لانـــها ادله نقليه ، وبراهين عقلية مستنبطه من نور الأدله النقلية ،
* نقول مع هذا ظهرت شرذمه قليلون ــ على مر التاريخ الانســـانى ــ تطعن فى عصمه الأنبياء وترميهم بالبهتان والفساد ،
* وقد حاولوا بشتى السبل والوسائل ان يبحثوا لهم عن نقيصه او خلـــلا بتعلق بهم ويسيؤتهم المباركة ، فقاموا بتقليب صفحات " الكتاب المبيـــن " مدققين النظر فيه علهم يجدوا ضالتهم المنشودة وهى : الطعن فى عصمــه الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ فى محاولة لصرف الناس عن الأيمان بهم وتصديق ما جاءوا به من شرائع واحكام واخلاق ،
* وهذا ما يفعله " المستشرقون " ــ فى العصر الحاضر ــ بقصد البرهنه على تناقض الكتاب الكريم بعضه مع بعض ، وتناقضه والســنه النبويــة المباركة من جهة ، وتناقضهما من الكتب السماوية من جهة أخرى ولكن هيهات لهم ذلك فكتاب الله ــ تعالى ــ لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه ، وهو باق ببقاء الدهر ، وسيظل شاهدا على ضلالهم وفســادهم الى يوم الدين ومن يطعن في عصمه الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ لا يخرجون فى نظري عن **فريقين** :

١- اما ان يكونوا من المأجورين من قبل أعــداء الله واعــداء الديــن ، وناقمين على المتمسكين باصول الدين .
وهؤلاء قد أشار الكتاب الكريم إليهم فى قوله تبارك وتعالى :
" ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثـــم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشـــرون " (١)

٢- واما ان يكونوا من السفهاء الذين لا يعبأ بهم وبأقوالهم وافعالهم لانـــهم لا يزنون عند الله ــ تعالى ــ جناح بعرضه ومع هذا فانهم يحملـــون أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم وسيسألون يوم الدين عما كانوا يعملون .

---

(١) سورة الأنفال الأيه ٣٦

وقد طعن هؤلاء واولئك فى الأنبياء عامة ، وسيدنا : ـــ

١- آدم عليه الصلاة والسلام .
٢- نوح عليه الصلاة والسلام .
٣- إبراهيم عليه الصلاة والسلام .
٤- يوسف عليه الصلاة والسلام .
٥- موسى عليه الصلاة والسلام .
٦- داؤد عليه الصلاة والسلام .
٧- سليمان عليه الصلاة والسلام .
٨-محمد عليه الصلاة والسلام خاصة .

* وسوف تعرض لشبها تهم ـــ أو بعضها ـــ ورد علماء الدين وبيـــان وجـــه الحقيقة فيها ليهلك من هلك عن بينه ،ويحي من حي عن بينه .

١- آدم عليه الصلاة والسلام .

* كان لابينا وسيدنا آدم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ من طعن الطاعنين ، وحقد الحاقدين أعداء الله ورسوله والدين نصيب .

فقالوا : ان الكتاب الكريم قد تحدث عن عصيان آدم لربه ـــ تعالى ـــ وذلك عندمـــا نهاه عن الأكل من شجرة معينه فى الجنه إلا انه عصى أمر ربـــه عـــز وجل واكل منها ، وهذا يعد عصيانا من آدم لربه عز وجل مما يطعن فى عصمته .

وقد جاء ذكر العصيان فى مواضع متفرقه من الكتاب الكريم منها : ـــ

١- قول الله تعالى : " فاوزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه " (١)
٢-قول الله تعالى : " وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (٢)

رد علماء الدين

قام علماء الدين بالرد على هذه الشبهه ، وتوضيح المراد من الآتين الكريمتين فقالوا : ـــ

* " ان عصيان ادم ، عليه الصلاة والسلام ـــ كان نسيانا منه لعهد الله ، ولـــم يكن عن ارادة وقصد ، ومعلوم لكل عاقل أن الله ـــ تعالى ـــ لا يؤاخـــذ علـــى الخطأ والنسيان رحمه منه وفضلا ، وان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها كما قضى ذلك فى كتابه الكريم :

---

(١) سورة البقرة الأيه ٣٦
(٢) سورة طه الأيتان ١٢١،١٢٢

* " وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما " (١) ومما يؤكد ان عصيان " آدم " — عليه الصلاة والسلام — كان نسيانا وعن غير عمد قول الله تبارك وتعالى :

" ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما " (٢)

* وانما اعتبر الكتاب الكريم نسيان آدم — عليه الصلاة والسلام — معصيه وذلك نظيرا لمقامه عند ربه تعالى ، لانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، واسكنه جنته ، وعلمه الاسماء كلها ،

* وان معصيه من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ، كذلك كان عصيانه — عليه الصلاة والسلام — وكيف انهم حاولوا ان يصوروا الامر على غير حقيقة ومضمونه كمدخل خبيث للوصول الى مرادهم وهو : الطعن فى عصمته وعصمتهم — عليهم والسلام —

* وليقولوا للناس اذا كان هذا حال ابينا وسيدنا آدم — عليه الصلاة والسلام — مع ربه عز وجل فكيف بحالنا نحن ابناء " آدم " ؟

* وهذه دعوة مسمومه استعملها شرذمه قليلون من الناس — على مر التاريخ الانسانى — فى محاوله لتبرير معاصيهم وذنوبهم مع الله ومع الناس ، أي انهم يقولون : ان المعصيه مكتوبه علينا منذ الأزل بدليل عصيان " آدم " لربه عز وجل ،

* ولكن ليس لهم الحق فى هذا القول او ترديده بين ابناء الآمه الاسلاميه لان الله لايامر بالمعصيه ولا يرضى عنها ، ولكنه يريد الخير والشر يحب الخير ويكره الشر ، يحب الطاعة ويكره المعصيه ، ويامر بالخير وينهى عن الشر ،

* وقد اتفق جمهور المسلمين على ان الله — برحمته وفضله — لا يؤاخذ على الخطأ والنسيان ولكنه يؤاخذ على الاصرار او العمد فقط .

---

(١) سورة الاحزاب جزء من الآيه ٥

(٢) سورة طه الآيه ١١٥

(٣) راجع السيد سابق : العقائد الاسلاميه ص ١٦٠ ، ١٦١ ، التفتازانى : شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٣ بتصرف ويسير

* كما ان الانسان العاقل لا يتعلل باخطاء الآخرين ـ مهما كان شانها ـ لتبرير خطأ نفسه وال لو فتحنا هذا الباب ما انسد ابدا .

٢- نوح عليه الصلاة والسلام

****

* أما الشبهه التي جاءت بشان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ـ ورددها النافين اعصمه الأنبياء بوجه عام ، وعصمته بوجه خاص فهى :

* سؤاله لربه ـ تعالى ـ عن سبب هلاك " ابنه " مع من هلك من قومه لعدم ايمانهم به وبدعوته وذلك كما حكاه الكتاب الكريم فة قةله تبارك وتعالى :

" رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به على انى اعظك ان تكون من الجاهلين ، قال رب انى اعوذ بك أن اسالك ما ليس به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين " (١)

رد علماء الدين

@@@@

* وقد اجاب علماء الدين على هذه الشبهه وابانوا حقيقة سؤال سيدنا " نوح " لربه عز وجل قائلين : ـ

" ان سؤال نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس اعتراضا على الله عز وجل ، او تكذيبا له عندما قال " ان ابنى من اهلى " (٢) فقال له ربه تعالى " انه ليس من اهلك " (٣)

* فكلام نوح ـ عليع الصلاة والسلام ـ ليس للتكذيب بل للتنبيه على ان المراد بالاهل فى الوعد هو الاهل الصالح ، او المعنى : انه ليس من اهل دينك أوانه اجنبى منك وان اضفته الى نفسك بابنائك لما روى من انه كان ابن امراته والاجنبى انما يعد من آل النبى " اذا كان له عمل صالح .

* كما لم يكن لسيدنا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ على بار[illegible] ابنه اليه قد انتفى بكفره واعرضه عن دعوى الله فسال الله ـ تعالى ـ [illegible] هلك مع الوعد بنجاة اهله وابنه من علمه ؟ فعلمه الله ان الصله الدينيه والنسب الروحى واقوى من صله الدم فاذا انقطعت هذه الصله ذهبت بصله النسب والدم ،

* وكان على نوح — عليه الصلاة والسلام — وهو الاب الثانى للبشر ، وقد بذل حياته لله — تعالى — ولبث فى قوة الف سنه الا خمسين عاما يدعوهم للايمان بالله عزوجل كا ن عليه ان يفطن لهذا المعنى وان يدركه فلما يتنبه وغلبت عليه عاطفه الابوة اعتبر ذلك نقصاً بالنسبه لمقامه الرفيع ومنزلته الكبرى التى حباه الله — تعالى — بها (١) .

* ونقول : ان أى اب او اى ام واى عاقل لو تعرض لمثل هذا الموقف الذى تعرض له سيدنا نوح — عليه الصلاة والسلام — من هلاك لابنه وغرقه مع من غرق من قومه المكذبين لفعل مثل ما فعل نوح — عليه السلام ،

* لا سيما فى بدايه الفعل ورد الفعل يكون الانسان مندهشا غير متملك لاعصابه ولا يخفر على كل عاقل ان السؤال ينقسم الى نوعين : —

١- سؤال علم **٢-سؤال انكار و تكبر .**

وسؤال سيدنا نوح — عليه الصلاة والسلام — كان من النوع الاول وليس الثانى كيف ؟

* لان مقام النبوة ومقامه عند ربه عز وجل لا يليقان به ان يعترض على امر قدرة الله عز وجل وكيف يعترض على امر الله ودعوته كلها ترتكز على تبليغ اوامر الله ونواهيه ؟

٣- إبراهيم عليه الصلاة والسلام

* اما بالشبهه التى الحقوها بنبى الله ابراهيم الخليل — عليه الصلاة والسلام — فهى كذبه وعدم قوله الحقيقة لذا فان كذبه يعتبر عصيانا لله عز وجل مما يوجب الطعن فى عصمته ويخل بمروءته .

* وقد جاء ذكره فى الكتاب الكريم فى مواضع متفرقه منها : —

١- **قول الله تعالى :** . واذ قال ابراهيم لابيه ازر انتخذ اصمناما ألهه وانى اراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين ، فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ، فلما راى الشمس بازغه قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون " (٢)

---

(١) راجع التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٤ ، السيد سابق : العقائد الاسلاميه ص ١٦١ /١٦٢ بتصرف يسير

(٢) سورة الانعام الآيات ٧٤- ٧٨ .

٢-قول الله تعالى : . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون " (١)
٣-قول الله تعالى : ." فنظر نظرة فى النجوم ، فقال انى سقيم " (٢)

* فهذه المواقف الثلاثه ــ التى تعرض لها خليل الرحمن صلوات الله وسلامه وعليه ــ كانت مدخلا او سببها للطعن فى عصمته ببوجه خاص والأنبياء بوجه عام .

رد علماء الدين
@@*

* قام علماء الدين بالرد على هذه الشبهه التى الحقوها بنبى الله ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وبينوا المعنى الحقيقى من كلام سيدنا ابراهيم فقالوا : ــ

" **والجواب ان الاول :** على سبيل الفرض والتقدير كما يوضع الحكم الذى يراد ابطاله ، او على الاستفهام ، او على انه فى مقام النظر والاستدلال وذلك قبل البعثه .

والثانى : على التعريض والاستهزاء

والثالث : اى عندما قال انى سقيم ــ على ان به مرض الهم والحزن من عنادهم او الحمى على ما قيل :" (٣)

* ونقول لاصحاب هذه الشبهه التى حاولوا بها ان يطعنها فى عصمة الأنبياء بوجه عام وعصمه ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ بوجه خاص وينسون اليهم واليه الكذب كيف يكون ما صدر من ابراهيم كذبا ؟ وقد كان فى موقف الداعى لقومه للايمان بالله ــ تعالى ــ وبه عليه الصلاة والسلام ــ وبان هناك جنه ونار وثواب وعقاب فى الاخرة فكيف يكذب عليهم مع ان دعوته تريكز علىالصدق ، والامانه والبعد عن الكذب ووما يؤدى اليه ، والخيانه وما ينتج عنها ،

* ونقول لكل عاقل بوجه عام ولمن يردد هذه الشبهه بوجه خاص : ان الكذب محرم على الأنبياء وان ما فعله سيدنا ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وكان فى مقام المحاجه والمجادله لمن عصى وتكبر ، وهذا ما يشير اليه قول الله تعالى : ــ

" وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفه درجا ت من نشاء ام ربك حكيم عليم " (٤)

ولماذا يتعلقون بهذه الامور البسيطه ويغفلون عما سواها من امور تدعو من أمور تدعو الى : الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر و، وتدعوا الى الفصليه والصدق والامانه ، وغيرها من امور عظام ؟

---

(١) سورة الأنبياء الآيه ٦٣ (٢) سورة الصافات الآيتان ٨٩،٨٨

(٣) راجع التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٤

٤- " يوسف " عليه الصلاة والسلام

@@@@@@@

* اما الشبهه التى جاءت بشان نبى الله يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ فلن ثلاثه اتجاهات : ــ

الاول : من جهه ابيه يعقوب ــ عليه الصلاة والسلام ــ بسبب افراطـــه فـــى محبته لابنه يوسف وحزنه وبكائه عليه .

الثانى : ــ من جهه اخوته وما فعلوه معه من القائه فى الجب، وكذبهم علـــى ابيهم بان الذئب قد اكله ، وقد وضعوا على قميصه دم كذب .

الثالث : ــ من جهه يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ وهمه بامراى العزيـز ، وجعله السقامه فلا رحل اخيه ، والرضا بسجود اخوته وابوبه له .

* هذه هى مجمل الشبه التى الحقوها بسيدنا يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ قاصدين بها الطعن فى عصمه الأنبياء بوجه عام ، وعصمته بوجه خاص .

رد علماء الدين

@@*

والجواب : انه لا معصيه فى ميل النفس سيما من يلوح عليه اثار الخير والصلاح وانواع الكمال ولا فى بث الشكوى والحزن الى الله ــ تعالى ــ فى مصائب تكون من جهه العباد سيما .

وقيل : انه كان من خوف ان يموت يوسف عليه السسلام على غيردين الاسلام ومن جهه الاخوة ما فعلوا بيوسف ــ عليه الصلاة والسلام وما قالوا من الكذب .

والجواب : انهم لم يكونوا انبياء " ،

* وقد اختلفت اقوال الناس وعباراتهم فى هذا المقام ، وقـــد روى عـــن ابـــن عباس ، مجاهد وسعيد ابر جبير وطئفه من السلف فى ذلك ما رواه ابن جرير " وغيره والله اعلم ،

وقيل : المراد بهمه بها ؟ خطرات حديث النفس حكاه " البغوى " عن بعض اهـــل التحقيق ثم أورد .البغوى هاهنا حديث " عبدالرزاق عن معمر عن همـــام عن ابى هريره " رضى الله عنه .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" **يقول الله تعالى :** اذا هم عبدى بحسنه فاكتبوها له حسنه ، فغن عملها فاكتبوها به بعضر امثاها وان هم بسيئه فلم يعملها فاكتبوها حسنه فانما تركها من جرائى ، فان عملها فاكتبوها بمثلها : وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وله الفاظ كثيرة هذا منها .

وقيل : هم بضربها ، وقبل تمناها زوجه ، وقبل : هم بها لولا ان راى برهان " ربه "

* اى فلم يهم بها ، وفى هذا القول نظر من حيث العربيه حكاه ابى جرير وغيره واما البرهان الذى راه . ففيه اقوال ايضا :
* فعن ابن عباس ، ومجاهد وسعيد بن جرير ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتاده ، وابى صالح ، والضحاك ،ومحمد ابن اسحاق " وغيرهم : راى صورة ابيه " يعقوب عاضا على اصبعه بفمه .
* وقيل عنه فى روايه : فضرب فى صدر يوسف .
* وقال العوفى عن ابن عباس : راى خيال الملك يعنى سيده .
* وكذا قال محمد بن اسحاق فيما حكاه عن بعضهم انما هو خيال قطفير سيدة حين دنا من الباب .
* واما جعل السقايه في رحل اخيه ؟
* فقد كان باذنه ورضاه بل باذن الله — تعالي — ونسبه السرقه الى الآخوة " توريه عما كانوا فعلوا بيوسف — عليه الصلاة والسلام مما يجرى مجرى السرقه او هو قول المؤذن ، والسجدة كانت عندهم تحيه وتكرمه كالقيام والمصافحه كانت مجد انحناء وتواضع لا وضع جبهة (١)
* هذا ما رد به علماء الدين على الطاعنين في عصمه الأنبياء المرسلين من قبل الله الرحمن الرحيم ، وكيف برأوا ساحه نبى الله يوسف — عليه الصلاة والسلام — مما نسل اليه من المعصيه او الذنب العظيم وهو : فعل الفاحشة " بامراة العزيز ، وغيرها من شبهات
* والعقل السليم يقول : اذا كان سيدنا يوسف عليه السلام — قد هم بالفاحشة بامراة العزيز فما يبقى من فوق او تمايز بينه وبيين بقيه الناس ؟
* ان كل عاقل يعلم ان هذا الامر — وهو الهم بالفاحشة — بعيد كل البعد عن الأنبياء بوجه عام ، ونبى الله يوسف بوجه خاص .
* لا سيما ان الكتاب الكريم قد براة ، وامراة العزيز نفسها — قد براته — وشاهد يوسف قد براه فهل هناك : عقل سليم بهذه الادله ولا يصدقها ، ويصدق بهذه الضلالات والمفاسد التى يرددها اعداءالله والدين والمخلصين لله رب العاملين ؟

---

(١) راجع التفازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٤ ، ابن كثير : تفسير القران العظيم ج٢ ص ٤٧٤

٥ – " موسى " عليه الصلاة والسلام

****

* اما الشبهه التى الحقوها بنبى الله موسى – عليه الصلاة والسلام – فتتعلق باربعه امور هى : –

الاول: قتله لرجل قبطى بعد ان استغاث به رجلا من قومه
وقد اشار الكتاب الكريم الى هذا فى قوله تعالى :
" ودخل المدنيه على حين غفله من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين" (١)

الثانى: اتنه للسحر باظهار سحرهم للناس ، وقد اشار الكتاب الكريم الى هذا فى قوله تعالى :
" فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اننا لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ، قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون " (٢)

الثالث: القائه الالواح واخذه براس اخيه ، وقد اشار الكتاب الكريم الى هذا فى قوله تعالى :
" والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فى تشمت بى الاعداء ولا تجعلنة مع القوم الظالمين " (٣)

الرابع: تعجبه من افعال الخضر – عليه السلام – سواء ما يتعلق منها بحرقه السفينه او بنائه لجدار الغلامين اليتيمين دون اخد اجرة عليه ، وقتله للغلام ، وهذا ما اشار اليه الكتاب الكريم فى قوله تعالى :
" لقد جئت شيئا نكرا " (٤)

* هذا مجمل الشبهه التى تتعلق بنى الله موسى – عليه الصلاة والسلام – محاولين بها الطعن فى عصمه الأنبياء وبانهم يرتكبون المخالفات والمنهيات بدليل هذه الامور التى اشرنا اليها ، نافذين من هذا الطعن فى سيدنا موسى وغيره من الانبياء .

---

(١)سورة القصص الأيه ١٥
(٢)سورة الشعراء الآيات ٤١،٤٣
(٣)سورة الاعراف جزء من الايه ١٥٠
(٤)سورة الكهف جزء من الآيه ٧٤ .

رد علماء الدين

@@*@*

* قام علماء الدين بالرد على هذا الشبه وما يتعلق به الطاعنيين فى عصمه الأنبياء موضحين المفهون الخقيقى من وراء هذه الامور — الاربعه التى ايتندوا اليها — فقالة: —

" واما فى قصه موسى — عليه الصلاة والسلام — فقتل القبطى وتوبته عنه واعترافه لكونه من عمل الشيطان ؟ محمول على انه خطأ وقبل البعثه .

واذنه للسحرة فى اظهار السحر بقوله " القوا ما انتم ملقون" (١) ليس رضا به بل الغرض لظهار ابطاله ، واما اظهار معجزته ولا يتم الا به ، وقبل : لم يكن حراما حينئذ .

والقاء الالواح : كان عن دهشه وتحير لشدة غضبه .

والاخذ براس هارون وجره اليه : لم يكن على سبيل الايذاء بل كان يدينه الى نفسه ليتفحص منه حقيقه الحال فخاف هارون — عليه الصلاة والسلام — ان يحمله بنى اسرائيل على الايذاء وفضى الى شماتة الاعداء فلم يثبت لذلك ذنب له ولا لهارون فانه كان ينهاهم عن عبادة العجل .

وقوله للخضر : " لقد جئت شيئا نكرا " (٢) اى عجبا ، وما فعله الخضر كان باذن الله تعالى (٣)

هذه هى خلاصه الردود التى رد بها علماء الدين على الطاعنين فى عصمه الانبياء المرسلين — عليهم افضل الصلاة واتم التسليم — وقد وضح فيها وجه الصواب وحقيقه المراد

ونقول لهؤلاء الطاعنين : لو كنتم تعقلون او تنظرون ما اقدمتم على هذه الامور التى كشفت عن حقيقة امركم ، وما تخفونه فى ضدركم نحو انبيائكم ونحو كتاب ربكم وسنه نبيكم محمد — صلى الله عليه وسلم كيف ؟

لان كل عاقل يعلم ان الله — برحمته وفضله — لا يؤاخذ على الخطأ والنسيان ، وكل عاقل يعلم ان كل شىء يقع فى هذا الكون لحكمه وغايه ، وكل عاقل معلم ان الامور كلها تقع بمراد الله وقضائه ،

فكيف تنسبون الى سيدنا موسى — عليه الصلاة والسلام — [illegible] الامور عن عمد ؟

مع انكم لوتدبرتم حقيقه الامر لعلمتهم ان كل ما اقدم عليه موسى واخيه هارون — عليهما الصلاة والسلام — كان فى سبيل الدعوى لله رب العالمين ، واطمع فى دخول الناس افواجا فى دين الله ولكن ليس كل ما يتمناه الانسان يدركه تاتى الريا بما لا تشتهى السفن .

---

(١) سورة الشعراء الأيه ٤٣

(٢) سورة الكهف جزء من الأيه ٧٤ .

٦- داؤد "عليه الصلاة السلام"

****

اما الشبهه التى الصقوها بنبي الله داؤد ــ عليه الصلاة والسلام ــ فهى : ــ

* انه كان قد خطب " امرآة قد خطبها رجل أخر يدعى اوريا وتمنى نبــى الله داؤد " ان ينزل اوريا عنها او يطلقها ليخطبها هو .
* هذا ملخص الشبهه التى اخذوها على" داؤد ــ عليه الصــلاة والسـلام ــ متهمين اياه بانه قد اكره اوريا على تطليق امراته التى لم يتزوجها بالفعل بــل خطبها فقط فيقولون كيف يقدم " داؤد على خطبه امراة قد خطبها رجل اخر ؟
* وقد استغل اعداء الاسلام ومن فى قلوبهم مرض هذا الموقف ليجعلوا منــه قصه ومدخل للطعن فى الانبياء بوجه عام وسيدنا " داؤد" بوجه خاص ،
* ومقصدهم من هذه الشبهه : تصوير الانبياء بوجه عــام ونبــى الله داؤد ــ عليهم جميعا الصلاة والسلام ــ بوجه خاص فى صورة الانسان الذى يفرط فى حب النساء ، وينصرف الى تصريف شهواته اكثر من تصريف ملكه ورعيته ،
* ولكن الله ــ تعالى ، قد برا ساحه داؤد ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى كتابه الكريم ، وذلك عندما صورة فى صورة الانسان المتضرع الخائف النادم علــى فعلته هذه مما يدل على كرامته ومنزلته عند ربه تعالى ، والعقل السليم يقول :
* اذا كان داؤد ــ عليه الصلاة والسلام ــ يتصرف هذا التصرف مــن نــدم واستغفار وخوف من الله ــ تعالى ــ على فعل بسيط كهذا فما حاله فى غــير هذا .
* مما يؤكد ان الانبياء هم اشد الناس خوفــا وتضرعــا واســتغفارا لله رب العاملين ولم لا ؟ وهم قدور حسنه للناس الى يوم الدين ،

وقد سجل الكتاب الكريم قصه داؤد ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى قوله تعالى :

* " هل اتاك نبوء الخصم اذ تسيروا المحراب ، اذ دخلوا على داؤد ففزع مهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بــالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخى له تسع وتعسون تعجه ولــى نجعه واحده فقال اكفلفيها وعزنى فى الخطاب ، قل لقد ظلمــك بسـؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعــض الا الذين امنونوا وعملوا الصالحات وقليل ما هو وظن داؤد انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ، فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مئــلب " (١)

---

(١) سورة ص الآيات ٢١ ،٢٥

@@*@*

* رد علماء الدين على هذه الشبهه التى جاءت بشان نبى الله داؤد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وأبانوا الحقيقة من تصرفه انطلاقا من ان الانبياء لا يجوز عليهم المعصيه فقالوا : ـــ

* " وسياق الأيات ، ـــ الكريمه ـــ يدل على كرامته عند الله تعالى ونزاهته عما ينسبه اليه "الحشويه " الا انه بالغ فى التضرع والتخرن والبكاء والاستغفار استعظاما للزله بالنظر الى ماله من رفيع المنزله ،وتقرير الملكين تمثيل وتصوير للقصه لا اخبار بمضمون الكلام ليلزم الكذب ويحتاج الى ما قيل : ان المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقه فلما راهما اخترعا الدعوى او كانا راعى غنم ظلم احدهما الآخر والكلام علىحقيقة " (١)

* هذا ما جاء فى آيات الكتاب الكريم من خبر داؤد ـ عليه الصلاة والسلام ـــ مما تعلق به الطاعنون فى عصمة الانبياء بوجه عام ، وكيف ان الله ـــ تعالى ـــ برا ساحته مما رموه به الكذب والضلال ،

واغلب الظن ان الطاعنين فى عصمه الانبياء بوجه عام وعصمه داؤد بوجه خاص نظرا الى ما تتحدث عنه الايات الكريمه من توبه وندم واستغفار فقالوا : ان هذه الامور لا تحصل الا بعد ذنب ،

* واقول : ان الندم والتوبه والاستغفار لا يشترط فيها ان تكون بعد ذنب او معصيه بل التوبه واجبه على كل حال ، وفى اى زمان ، ولان الانبياء والعلماء هم اشد الناس خشيه من الله ـــ تعالى ـــ فهم اكثر الناس ندما واستغفارا وشكرا لله رب العابمين لانهم قدوة حسنه لقومهم ولمن ياتى من بعدهم الى يوم الدين .

٧- سليمان عليه الصلاة والسلام

* اما الشبهه المتعلقه بنبى الله سليمان ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ فتتمثل فى ثلاثه امور : ـــ

١- اشتغاله باستعراض افراسه حتى غربت الشمس ولم يتمكن من صلاة العصر ..

٢-خوفه على ابنه من الموت فقام بوضعه فى سحابه فى مكان [illegible] ثم وجد ملقيا على كرسيه ميتا .

٣-طلبه من ربه ـــ تعالى ـــ عدم اعطاء الملك لاحد من بعد .

وقد جاءت هذه الامور ـــ الثلاث فى كتابه الكريم فى قوله الله تبارك وتعالى : ـــ

* " ووهبنا لداؤد سليمان نعم العبد انه اواب ، اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى اجببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق ، لقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر .

---

(١) راجع التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٥ .

* وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب " (١)
هذا فيما يتعلق بالشبهه المتعلقه بنى الله سليمان ابن سيدنا داوّد — عليهما الصلاة والسلام — ثم قال علماء الدين بتوضيح المقصود الحقيقى من هذه الامور .

رد علماء الدين
@@*@*

والجواب : ان ذلك كان على سبيل السهو والنسيان ، وعقر الجياد وضرب اعناقها كان لاظهار الندم وقصد التقرب الى الله — تعالى — والتصدق على الفقراء من احب ما له ،

* على ان من " المفسرين " من قال : المراد حبه للجهاد واعلاء كلمه الله ،وضمير " تورات " الجياد لا للشمس ، وانما طفق مسحا بالسوق والاعناق ؟ تشريفا لها او امتحانا او اظهارا لاصلاح اله الجهاد بنفسه،

* فهذا مما لا باس به وغايته ترك الاولى وليس فى التحفظ ومباشرة الاسباب ترك الامتثال لامر التوكل على ما قال عليه الصلاة والسلام :

* " اعقلها وتوكل " الجواب : ان ذلك لم يكن حسدا بل طلبا للمعجزة على وفق ما غلب فى زمانه ولاق بحاله فانهم كانوا يفتخرون فى ذلك العهد بالملك والجاه ، وهو كان ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما ،

* او اظهارا لامكان طاعه الله — تعالى — وعبادته مع هذا الملك العظيم ، وقيل : أراد ملكا لا يورث منى وهو ملك الدين لا الدنيا ، أو ملكا لا اسلبه ولا يقوم فيه غيرى مقامى كما وقع ذلك مره ، وقيل : ملكا خفيا لا ينبغى للناس وهى القناعه ، وقيل : كان ملكه عظيما فخاف ان لا يقوم غيره بشكره ولا يحافظ فيه على حدود الله " (٢)

* هذا ما رد به علماء الدين " على الطاعنين فى عصمه " الانبياء بوجه عام ونبى الله سليمان — عليه وعلى جمييع الانبياء الصلاة والسلام — بوجه خلص وقد وضح من خلال ردهم تبراتهه ممانسب اليه او من رمى به من حب اللذات والشهوات على الخير والطاعات ، ولو كانوا يعقلون عن الله — تعالى — شيئا ما قالوا هذا الكلام وطعنوا فى اشرف مخلوقات الله ولفهموا ان الله لا يؤاخذ على السهو والنسيان ، وان ما فعله نبى الله سليمان من خسوف على " ولده" لم يكن عصيانا لامر الله عز وجل ولكنها المحبه والاخلاص اللذين اودعها الله فى قلبه — عليه الصلاة والسلام — كما ان طلبه عدم ذهاب الملك من باب الاخلاص والتفانى فى القيام بامر الله .

---

(١) سورة ص الآيات ٣١،٣٥
(٢) راجع التفتازانى : شرح المقاصد ج٢ ص ١٤٥ باختصار .

٨- محمد" صلى الله عليه وسلم

* ونختم بخاتم النبيين وامام المرسلين سيدنا محمد ـ عليه افضل الصلاة واتم التسليم هذا النبى الامى الذى كان له النصيب الاكـــبر مـــن طعـــن الطاعنين وحقد الحاقدين وحسد الحاســدين وكــذب المكذبيـــن الضــالين المضلين ،

* فقد تفنن المنافقون والمشركون ومن فى قلوبهم مرض من اليهود والنصارى للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى محاوله ـ يائسه ـ لصرف الناس عن الايمان به ويدعوه التى جاءت الانسانيه وانقاذهـا مـن ظلمـات الجـهل والشرك الى نور العلم والتوحيد ، واخراجها من عبادة العباد الى عبـادة رب العباد ـ

* وقد سجل الكتاب الكريم بعض ضلاضلاتهم وشباتهم كما قالوهـا موضحـا فسادها وبطلانها وهذا جانب من مفاسدهم وضلالاتم رد الكتاب الكريم عليها :

١- قول الله تعالى : " وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثـم لا ينظروت ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسـنا عليـهم مـا يلبسون " (١)

٢- قال الله تعالى : " وقالوا الذين كفروا ان هذا الا افك افتراء واعانه عليه قـوم اخرون فقد جاءوا ظلما وزورا " (٢)

٣- قال الله تعالى : قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق لـولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، او يلقى اليه كنز او تكون له جنه ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسـحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فلا يستطيعون سبيلا ، وتبـارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتـها الانهار ويجعل لك قصورا ، بل كذبوا بالساعه واعتدنا لمـن كذب بالساعه سعيرا " (٣)

٤- قال الله تعالى : وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القرآن جمله واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " (٤)

---

(١) سورة الانعام الايتان : ٨،٩
(٢) سورى الفرقان الآيه ٤
(٣) سورة الفرقان الايات ٧ ، ١١
(٤) سورة الفرقان الأيه ٣٢ .

* ثم جاءت المستشرقون " والعلمانيون " — واذنابـــهم فىالعـــالم الاســلامى والعربى — ليفشوا فى الكتاب الكريم عن اى شبهه تتعلق بـــالنبى الخـــاتم — صلى الله عليه وسلم —

* كاستغفار ، او عتاب ، أو هم بفعل شيء ، او الرجوع عن شيء ، وغـــير ذلك من امور تتعلق بالعبادات او المعاملات ليجعلــوا منـــها قضيـــه كــبرى ياخذونها ويصوروهاـــ وفق اهوائهم — ليففذوا منها الى الطعن فى الانبيـــاء" بوجه عام وفيه صلى الله عليه وسلم بوجه خاص ،

فمن الآيه الكريمه التى وقفوا عندها وجعلة منها شبهه تتعلق بالنبى " محمـــد " صلى الله عليه وسلم :

١- **قول الله تعالى :** " لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الـــذين اتبعوا فى ساعه العسرة من بعد ان كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم " (١)

٢- **قول الله تعالى :** " فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك والمؤمنيـــن والمؤمنات والله يعلن ناقلبكم ومثراكم " (٢)

٣- **قول الله تعالى :** " انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهدبك صراطـــا مستقيما " (٣)

* فقال الطاعنون فى عصمه سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ومـــا دام هناك استغفار ، وتوبه وندم فيكون هناك ذنب لا محاله مما يـــدل علـــى عـــدم عصمه الأنبياء بوجه عام والنبى محمد بوجه خا ص.

وقد أشرنا — اكثر من مرة — ان الندم والتوبه والاستعفار لا يشترط فيه ان يكـــون بعد ذنب اومخالفه او بمعى أخر .

* ان ندم واستغفار غير " الانبياء " يكون بد ذنب غالبا ، واما ندم واســتغفار الأنبياء المرسلين فيكون لرفع الدرجات وزيادة القربات وقدره لمن ياتى بعدهم الى ان يقف الناس حفاه عراه امام مسبب السباب وقابل التوب ، وغافر الـذلات وهادى الناس الى طريق الجنات

رد علماء الدين

@@*@*

* ولتوضيح المراد من هذه الآيات الكريمه التى استشهد بها الطـــاعنون فـــى عصمه سيدنا "محمد " — صلى الله عليه وسلم — ذهبنا الى علماء التفسير فقالوا : —

---

(١) سورة التوبه الأيه ١١٧
(٢) سورة محمد الأيه ١٩
(٣) سورة الفتح الأيتان ١ ، ٢

* روى البخارى وغيره عن كعب بن مالك قال : لم اتخلف عن النبــى ــ صلــى الله عليه وسلم ــ فى غزوة الا " بدرا" حتى كانت غزوة " تبوك " وهى اخر غزوة غزاها واذن الناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله وفيه : فأنزل الله ــ تعالى ــ توبتنا " لقد تــاب الله على النبى والمهاجرين " الى قوله : ان الله هو التواب الرحيم " (١) وفينا انــزل " اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (٢)

* وقال " مجاهد " وغير واحد : نزلت هذه الآيه ــ الكريمه ــ فى غــزوة تبـوك وذلك انهم خرجوا اليها فى شدة من الامر فى سنه مجديه وحر شديد وعسر من الـزاد والماء ،

* قال " قتادة " : خرجوا الى الشام عام " تبوك "" فى لهبان الحر على ما يعلــم الله من الجهد اصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا ان الرجلين كانــا يشـقان التمــرة بينهما ، وكان النفر يتد ولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ، ثم يمصــــها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم واقفلهم من غزوتهم " (٣)

* ومن خلال هذا التوضيح من ائمه التفسير فيما نقلوه عن التابعين الاجلاء نقول :

* ان الآيه الكريمه ــ التى استشهد بها الطاعنون ــ ليس فيها ما يشير الى ذنــب أو مخالفه ارتكبها " النبى " صلى الله عليه وسلم او اصحابه بل نتحدث عن فضــل الله ــ تعالى ــ وبنته على نبيه " محمد " ومن امن معه ، وذلك بعــد اختبــار عصيــب لايمانهم وصبرهم ففرجت بعد ان ضاقت ، ويسرت بعد ان عســرت ، وذاد ايمانــهم بعد ان كاد يزيغ قلوب فريق منهم ،

* وهذه سنه الله ــ تعالى ــ فى كل زمان ،وفى كل مكان ، فاليسر يتبع العســر ، والفرج يتبع الضيق ، وهكذا لابد المؤمن ان يصدق بحكم الله وخبره لكى يستريح هـو ويريح غيره كذلك .

* اما الايه الثانيه التى : استشهدوا بها للطعن فى عصمه سيدنا " محمد | صلــى الله عليه ويلم فقال فى توضيحها أحد ائمه التفسير : ــ

* " وتقدير هذه هو انه عليه الصلام لما دعا القوم الى الايمان ولو يؤمنوا ولم يبــق شىء يحملهم على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور ، وكان ذك مما يحــزن " النبى " عليه الصلاة والسلام فصلى قلبه وقال : انت كامل فى نفسك مكمل لغيرك فان لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالة بهم خيرا فانت فى نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث تعلم ان الله واحد وتستغفر ، وانت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وانــت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فاثبت على ما انت عليه وان لم يعرفــك كفــرهــم ومعنى طلب الغفران ؟ ان لاتفضحنا ، وذلك قد يكون بالعصمه منه فلا يقع كما كان " للنبى " صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو فــى حــق المؤمنين والمؤمنات ،

---

(١) سورة التوبه الآيه ١١٧
(٢) سورة التوبه جزء من الآيه ١١٩
(٣) راجع تفسير الامامين الجليلين بهامش القرآن الكريم ص ٢٥٠ .

* وفي هذه الايه لطيفه / وهى ان " النبى " صلى الله عليه وسلم لــه احوال ثلاثه :

* حال مع الله ــ تعالى ــ وحال مع نفسه / وحال مع غيره ، فامــا مه الله فوحدة ، واما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمه مناالله ، واما مع المؤ منين فاستغفر لهم واطلب الغفران من الله " (١)

* اما الآيه الثانيه : هى قوله تعالى : أما فتحنا لك فتحا مبينــا " (٢) هذه الآيه الكريمه التى استشهد بها الطاعنون فى عصمه خاتم النبييــن فقال فى توضيحها احد أئمه التفسير : ــ

"حكمنا لك حكما بينا لمن شهده اوبلغه انا قضينا لك بـــالنصر والظفــر على من خالفك وناصبك من كفار مكه قومك ، وقيل : عنى بـــه فتــح الحديبيه وكان الفتح المبين فيها ان بويع : بيعه الرضوان " وغفـــر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ، وظهر الروم على فارس ، وبلغ الـــهدى محله ، واطعموا نخل " خبير "وفرح المؤمنين بتصديق " النبى " صلـــى الله عليه وسلم وبظهور الروم على فارس ، وعرف المؤمنين مدخلهم وما اعد عنده لهم " (٣)

فهذا ما جاء ــ من ائمه التفسير ــ فى توضيح المراد من الآيـــات التـــى استشهد بها اعداء الله واعداء الدين واعداء عباد الله الصالحين للطعن فى خاتم المرسلين .

* وهى ــ كما نرى ــ لا تحتاج الى توضيح لانها واضحه وضـــوح الشمس فى كبد السماء لا تحتاج الا الى اعمال العقل وتحيكم المنطق والواقع لا تحكيم الهوى والضلال .

شبهه اخرى

* وهناك شبهه قديمه حديثه ~~رددها المبطلون~~ فى الماضى ــ وما زالـــوا ــ تتعلق بالبنى محمد صلى الله عليه وسلم وهى قولهم :

* ان البنى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يحب الشـــهوات والملــذات بصورة ملفته للانظار بدليل انه تزوج باكثر من واحدة

---

(١) راجع الامام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب المجلد الرابع عشر العع ٩٤ ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ باختصار

(٢) سورةالفتح الأيه ١

رد علماء الدين

@@*@*

* قام علماء الدين بتعريه هذه الشبهه وأبانوا الحكمه من تعدد زوجات النبى " محمد " ــ صلىالله عليه وسلم ــ ليهلك من هلك عن بينه ، ويحى من حى عن بينه ،

* فاشاروا ان الحكمه من هذا الازواج المبترك متعدد ومثمر علموا منـــه مـــا علموا ، وفوضوا علم مالم يعلمونه الى مسبب الاسباب ورافع السموات .

فالحكم متنوعه منها : ــ

١- حكمه تعليميه **٢- حكمه تشريعيه**

٣- حكمه اجتماعيه **٤- حكمه سياسيه .**

* ثم قام علماء الدين بتوضيح هذه الحكم وابانوا المقصود من تعدد زوجـــات الرسول " محمد" صلى الله عليه وسلم ــ مبشرين الى [illegible]ين اساسيين فى زواج النبى " محمد" صلى الله عليه وسلم ، هما : ــ

١ - ان سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم لم يعدد زوجاته ــ اطـــاهرات ــ الا بعد بلوغه سن الشيخوخه اى بعد ان جاوز الخمسين من عمره .

٢- ان جميع زوجات النبى ــ صلى الله عليه ويلم ثيبات ــ أى أرامل ــ ماعدا السيدة / عائشه ــ رضى الله عنها وعن ابيها الصديق ، فهى الوحيدة البكـــر " من بين نسائه اللاتى تزوجهن ــ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

* وبهذا يتاكد لكل عاقل ولكل من له ادنى قسط من الحياء مدى تفاهه هـــذه الشبهه وهذه التهمه ، الباطله ــ التى الصقوها بخاتم النبيين سيدنا محمد خـــاتم النبيين والمرسلين .

* لانه لو كان المراد من زواجه ــ عليه الصلاة والســـلام ــ الجـــرى وراء الشهوة او السير مع الهوى او مجرد الاستمتاع بالنساء لتزوج فى سن الشـــباب وليس فى سن الشيخوخه ولتزوج الابكار الشابات وليـــس الارامـــل الثيبـــات (١)صلوات الله وسلامه عليك يا سيدى بارسول الله لقد بلغت الرساله ، واديـــت الامانه ، ونصحت الامه وكشفت الغمه وجاهدت فى الله حق جهاده حتى اتـــاك اليقين .

****

---

(١) راجع محمد على الصابونى : شبهات واباطيل حول تعدد زوجات الرسول ص ١٠ وما يعدها بتصرف واختصار .

فهرس المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المراجع العامة :

١ – إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : للإمام ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ صححه وضبطه جماعة من العلماء . الناشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٢ – أساس التقديس : للإمام فخر الدين الرازى ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ تحقيق د/ أحمد حجازى السقا ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٣ – أصول الدين : للإمام عبد القاهر البغدادى ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . مطبعة الدولة سنة ١٩٢٨ م .

٤ – أصول الدين الإسلامى : للشيخ محمد على ناصر ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .

٥ – التبصير فى الدين : للإمام أبو المظفر الأسفرايينى ، المتوفر سنة ٤٧١ هـ تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، ط . القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

٦ – التحف فى مذهب السلف : للإمام محمد بن على الشوكانى ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ بعناية طارق السعود ، ط . دار الهجرة بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٧ – التشيع : للعلامة السيد عبد الله الغريفى ، دار الثقلين بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٨ – التفسير الكبير أو المسمى " مفاتيح الغيب " : للإمام فخر الدين الرازى ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ نسخة مصورة عن دار الكتب العلمية .

٩ – التفكير الفلسفى فى الإسلام : للإمام الدكتور عبد الحليم محمود ، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م .

١٠ – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : للإمام أبى الحسين محمد الملطى الشافعى ، المتوفى سنة ٣٧٧ هـ قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثرى ، اعداد وتقديم فتحى العقيلى ط . ١٩٩١ م .

١١ – الشيعة بين النظرية والتطبيق : للشيخ هاشم معروف الحسنى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ م .

١٢ – العقائد الإسلامية : للشيخ السيد سابق ، ط . دار الكتاب العربى – بيروت .

١٣ – العقيدة الواسطية : للإمام أحمد بن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ – نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة .

١٤ – الفرق بين الفرق : للإمام عبد القاهر البغدادى ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ حقق أصوله وقدم له وعلق عليه / طه سعد ، الناشر مؤسسة الحلبى وشركاه .

١٥ – الفصل فى الملل والنحل والأهواء : للإمام ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ طبع مكتبة المثنى بالأوفست بغداد .

١٦ – القاموس المحيط : للعلامة مجد الدين الفيروز أبادى ، المتوفى سنة ٨١٧ هـ المكتبة التجارية بالقاهرة .

١٧ – القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى : للإمام ابى حامد الغزالى ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ حققه وخرج أحاديثه الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندى بمصر ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م.

١٨ – القضاء والقدر : للإمام أحمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ تحقيق

أبو الفداء الأثرى ، مكتبة السنة بعابدين . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

١٩ - المذاهب الإسلامية : للشيخ محمد أبو زهرة ، المطبعة النموذجية بمصر ، سلسلة الألف كتاب .

٢٠ - المسامرة بشرح المسايرة : للإمام ابن أبى شريف القدسى ، المتوفى سنة ٩٠٦ هـ مطبعة السعادة بمصر .

٢١ - المسامرة : للإمام كمال بن الهمام ، المتوفى سنة ٨٦١ هـ ،مطبعة السعادة بمصر.

٢٢ - المستدرك على الصحيحين : للإمام الحاكم النيسابورى ، المتوفى سنة ٤٠٥هـ نسخة مصورة .

٢٣ - المعجم الوسيط : قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وشركاه ، إعداد وإصدار مجمع اللغة العربية ، المكتبة العلمية .

٢٤ - المواقف : للإمام عضد الدين الإيجى ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، مؤسسة الحلبى طبعة سنة ١٩٦٨ م .

٢٥ - الرسول : للأستاذ سعيد حوى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م .

٢٦ - الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد : للإمام الخياط ، تقديم ومراجعة / محمد حجازى ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ، مطبعة [illegible] .

٢٧ - الوسيلة فى شرح الفضيلة : للأستاذ عبد الكريم المدرس ، مطبعة الإرشاد بغداد - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م .

٢٨ - تلبيس إبليس : للإمام عبد الرحمن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، المطبعة المنيرية الطبعة الثانية .

٢٩ – حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح : للإمام ابن القيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ مطبعة محمد على صبيح بمصر ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م

٣٠ – حاشية على شرح الخريدة البهية : للعلامة الصاوى ، مطبعة الاستقامة بمصر .

٣١ – دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية : د/ عرفان عبد الحميد ، مطبعة الارشاد بغداد ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨ هـ .

٣٢ – رسالة التوحيد : للإمام محمد عبده ، دار الهلال سنة ١٣٧٦ هـ .

٣٣ – رسالة فى التوحيد والفرق المعاصرة : للشيخ كمال الدين الطائى ، مطبعة سلمان الأعظمى بغداد سنة ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

٣٤ – روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : للإمام شهاب الدين الألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، طبعة مصورة .

٣٥ – سنن أبى داود : للإمام أبى داود ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى وشركاه بمصر سنة ١٩٥٠ م .

٣٦ – سنن ابن ماجه : للإمام ابن ماجه ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى بمصر سنة ١٩٥٢ م .

٣٧ – سنن الترمذى : للإمام ابن عيسى الترمذى ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ تحقيق عزة عبيد الدعاس ، ط . حمص سنة ١٩٦٥ م .

٣٨ – شرح البيجورى على جوهرة التوحيد : للإمام ابراهيم البيجورى ، المتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ط . القاهرة سنة ١٩٦٤ م.

٣٩ – شرح الخريدة البهية : للشيخ أحمد الدردير ، المتوفى سنة ١٢٠١ هـ ، مطبعة الاستقامة بمصر .

٤٠ – شرح العقائد النسفية : للإمام سعد الدين التفتازانى ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، دار إحياء الكتب العربية بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٢ هـ .

٤١ – شرح العقيدة الطحاوية : للشيخ ابن أبى العز الحنفى ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها محمد ناصر الألبانى ، المكتب الاسلامى ببيروت ، الطبعة الثامنة .

٤٢ – شرح المقاصد : للإمام سعد الدين التفتازانى ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، طبعة الأستانة سنة ١٣٠٥ هـ .

٤٣ – شرح المواقف : للسيد الشريف الجرجانى ، طبعة القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ .

٤٤ – شرح جوهرة التوحيد ، المسمى إتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن ابراهيم اللقانى ، المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ، مطبعة السعادة بمصر . الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م .

٤٥ – شرح المسايرة : للشيخ قاسم بن قطلون ، المتوفى سنة ٨٧٩ هـ ، مطبعة السعادة بمصر .

٤٦ – صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

٤٧ – صحيح مسلم بشرح النووى : للإمام يحى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، طبعة بولاق – مصر سنة ١٣٢٣ ه .

٤٨ – صفوة التفاسير : للشيخ محمد على الصابونى ، دار الفكر بيروت – لبنان .

٤٩ – عقائد الإمامية : للشيخ محمد رضا المظفر ، مطابع النعمان – النجف .

٥٠ – علم أصول الفقه : د/ عبد الوهاب خلاف ، الطبعة السابعة بمصر سنة ١٩٥٦م.

٥١ – فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال : لأبى الوليد بن رشد ، المتوفى سنة ٥٩٥ هـ دار المعارف بمصر .

٥٢ – فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه : د/ ابراهيم مدكور ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الفلسفية .

٥٣ – كبرى اليقينيات الكونية : د/ محمد سعيد البوطى ، دار الفكر ، الطبعة السادسة سنة ١٣٩٦ هـ .

٥٤ – لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة : للإمام عبد الملك الجوينى ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، تقديم وتحقيق د/ محمود الخضيرى . عالم الكتب – بيروت . الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٥٥ – مذاهب الاسلاميين : د/ عبد الرحمن بدوى ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى.

٥٦ – مسائل الجاهلية التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام من طبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٦ هـ .

٥٧ – مسند احمد : للإمام أحمد بن حنبل ، طبعة مصورة فى بيروت على طبعة الميمنة بمصر ، المطبوعة سنة ١٣١٣ هـ .

٥٨ – مشارق أنوار العقول : للشيخ أبو محمد عبد الله السالمى ، المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ تصحيح الشيخ أحمد الخليلى ، د/ عبد الرحمن عميرة ، دار الجبل بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .

٥٩ – مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : للإمام أبو الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة

الأولى سنة ١٣٦٩ هـ .

٦٠ – مقدمة ابن خلدون : للعلامة ابن خلدون ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٦١ – مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة : للحكيم أبو الوليد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ، تقديم وتحقيق د/ محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة .

٦٢ – نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : د/ على سامى النشار ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة .

٦٣ – نهاية الاقدام فى علم الكلام : للإمام عبد الكريم الشهرستانى ، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ صححه الفردجيوم ، نسخة مصورة .

فهرست الموضوعات

النصوص السمعية وصفتي السمع والبصر .

(العقل) وصفتي السمع والبصر .

٥ – العلم .

النصوص السمعية : وصفة العلم .

(العقل) وصفة العلم .

٦ – الحياة .

النصوص السمعية وصفة الحياة .

(العقل) وصفة الحياة .

٧ – الكلام .

النصوص السمعية وصفة الكلام .

(العقل) وصفة الكلام .

التباين بين مذهب (أهل السنة والجماعة) ومن خالفهم .

مسألة خلافية .